إنجي هديب

للقتل ثمن لاحق

رواية

مكتبة ياسمين

تعود المهندسة دينا المرعشلي إلى مسكنها، فتجد أمام بنايتها شخصًا يجري حاملًا سلاحًا ناريًّا فتصدمه بسيارتها. ولكن ما كان حادث دفاع عن النفس يتحول إلى كابوس حين تكتشف الشرطة جثة غارقة في الدماء داخل مسكن دينا. ويتعقد الأمر أكثر حين يُتبين أنها جثة جاسر مرتضى، زوج صديقة دينا والضابط السابق المعروف بدهائه وغموضه.

فكيف انتهى جاسر قتيلًا في مسكن دينا؟

وما علاقته بالقتيل الآخر أمام البناية؟

وبينما تنقلب حياة دينا رأسًا على عقب تتكشف ببطء أسرار غير متوقعة، لتثبت أن ثمن القتل لا بد أن يُدفع... ولو بعد حين.

مكتبة ياسمين

الكرمة

يسعدنا انضمامكم إلى قناة

مكتبة ياسمين

معكم نكبر ونستمر بكل جديد

للقتل
ثمن لاحق

إنجي هديب

للقتل ثمن لاحق

رواية

مكتبة ياسمين
telegram @
yasmeenbook

الكرمة

الكرمة

alkarmabooks.com
facebook.com/alkarmabooks
x.com/alkarmabooks
instagram.com/alkarmabooks

الطبعة الأولى ٢٠٢٦
حقوق النشر © دار الكرمة ٢٠٢٦
© إنجي هديب ٢٠٢٦
الحقوق الفكرية للمؤلفة محفوظة

مكتبة ياسمين
telegram @
yasmeenbook

هذا عمل أدبي خيالي. جميع الأسماء والشخصيات والأماكن والأحداث الواردة فيه هي من نسج خيال المؤلفة، أو مستخدمة بشكل فني خيالي، ويجب عدم تفسيرها على أنها حقيقية. وأي تشابه مع أحداث أو أماكن أو منظمات فعلية أو أشخاص، أحياء أو أموات، فهو من قبيل المصادفة.

هديب، إنجي.
للقتل ثمن لاحق: رواية / إنجي هديب - القاهرة: الكرمة للنشر، ٢٠٢٦.

تدمك: 9789779603681
١- القصص العربية.
أ- العنوان.
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٣٧٧٧٦ / ٢٠٢٥

٢ ٤ ٦ ٨ ١٠ ٩ ٧ ٥ ٣ ١

تصميم الغلاف: أحمد فرج

إهداء

الرواية دي باهديها من قلبي لحد محتاجة أشكره بجد، للكاتب والملهم محمد عباس.

شكرًا على كل كلمة وفصل قريتهم، وعلى كل فكرة شاركتني بيها.

شكرًا على قعدتنا ومكالمتنا اللي كانوا السبب في خروج الرواية دي للنور، وإن شاء الله ربنا يكتب لها القبول والفتح.

السيارة

ديسمبر ٢٠١٠

telegram @
yasmeenbook

هطلت الأمطار بسرعة رهيبة، وارتطمت بعنف بزجاج السيارة التي خيَّم عليها الصمت تمامًا. تحركت المسَّاحات الأمامية والخلفية بسرعة جنونية لعلها تجعل الرؤية التي تعسرت بشدة مقبولة لسائق السيارة، الذي ظل يزفر في صمت وضيق وهو ينظر بطرف عينه إلى السيدة التي جلست بجواره في المقعد الأمامي صامتة متأففة أيضًا. كادت حدة الانفعالات المكتومة بينهما أن تُسمَع حتى وإن خلت السيارة من أي أصوات داخلية، فقط أحاط بها ظلام دامس خيَّم على هذه المنطقة كلها، وظل صوت الأمطار وارتطام الهواء الشديد بجسم السيارة يدوي بهدير مسموع. نظرت بطرف عينها في حنو إلى المقعد الخلفي لتطمئن على زياد الجالس في منتصف المقعد ينظر بعينين مبهورتين إلى المطر الذي لم يعتد رؤيته. دوى صوت مرتفع بشكل مفاجئ فانتفض زياد ذو السنوات الأربع، فقالت نهلة بصوت مطمئن:

- ما تخافش يا زيزو، ده بس صوت الرعد، صوت بس يا حبيبي، ما تخافش!

قالتها وقد أرخت حزام الأمان حول خصرها حتى تتمكن من الالتفاف بجذعها كاملًا فتضع يدها على فخذَي صغيرها الوحيد، وابتسمت قائلة بصوت مطمئن يبث في قلبه الصغير الأمان:

- تحب تيجي تقعد في حضن ماما؟

أومأ برأسه وقد علا وجهه قليل من الخوف، فمدت يديها والتقطت جسده النحيل واحتضنته بذراعيها بقوة وكأنهما حزام أمان، ثم قالت همسًا في أذنه:

- تعالَ نغني يا زيزو لو الصوت مضايقك، إيه رأيك؟

The wheels of the bus go round and round...

swish swish...

غنت أغنية الأطفال الشهيرة، واندمج هو الآخر معها وراح يغني متحمسًا محركًا جسده كله، وجسدها يتحرك مع جسده الذي التصق بها سعيدًا مطمئنًّا وقد نسي تمامًا أمر المطر والرعد، وتناست هي كل شيء إلا صوته المختلط بصوتها والمدندن معها وهي تردد:

round and round...

the baby waaa waaa

- أنا مش عارف أركز! بالعافية عارف أسوق!

قالها بصوت غاضب يشوبه شيء لم يتبين زياد كنهه، وقد التزم الصمت، إذ ألجمه الخوف من صوت أبيه الغاضب. وفجأة التفتت

إليه وهي تُلقي نظرة نارية على الكوب الحراري الذي يحمله في إحدى يديه، وقالت بلهجة ساخرة متحدية:

- يعني صوت الأغنية هو اللي مش مخليك عارف تركز؟! مش الهباب ده؟!

لم يفهم زياد ما الذي تعنيه والدته بالضبط، فقط كان يعلم أن الدقائق التالية ستحمل كثيرًا من الكلمات الغاضبة والأصوات المرتفعة التي لن يفهم فحواها أبدًا. كثيرًا ما يحدث هذا الأمر: تحمر الوجوه وينفجر كلاهما بكلمات سريعة وأصوات مدوية. يصيبه الفزع عادة، إلا أنه اعتاد هذه المواقف وتعلم أنها تنتهي بسرعة كما تبدأ بسرعة. كان جسد أمه يتحرك مع كلامها بانفعال، إلا أن ذراعيها ظلتا ملتفتين حول خصره. شرد وهو ينظر إلى الشارع الخالي من خلف زجاج السيارة، وظل ينظر إلى قطرات المياه التي ما زالت تنهمر، ملتصقة بالزجاج الجانبي للسيارة الذي يجاور مقعده. ظلت أصوات والديه الغاضبة تصول وتجول، وهو لا يسمع سوى صوت الأمطار والرعد الذي لم يعد مخيفًا الآن وقد هز جدران السيارة رعد خلافات والديه العنيفة. انتبه فجأة، وحرك جسده إلى الأمام قليلًا، فقد دلف والده إلى شارع أشد ظلمة من الذي قبله، إذ لم يظهر من معالمه أي شيء تقريبًا. ردته والدته إلى الوراء بشكل لاإرادي وهي تتحدث مع والده بنفس الانفعال. قرَّب هو وجهه ببطء من زجاج السيارة الجانبي لعله يستطيع أن يتبين الظلال التي رآها في كل مكان. لا يدري لماذا تملَّكه كل هذا القدر من الرعب! شعر رغمًا عنه أن هذا الشارع وظلال البنايات غير المكتملة مثل بيت الأشباح الذي

يخشاه في مدينة الملاهي! تشابكت الأصوات في أذنيه، والتحمت في معركة مخيفة: صوت انهمار الأمطار العنيف، وصوت والده الغاضب، وصوت والدته المختنق. ارتجف وارتعشت يداه بعد أن سطع البرق فجأة في السماء المظلمة ليتراجع إلى الخلف برعب حقيقي، وقد صرخت والدته صرخة عالية مدوية:

- حاسب يا جاسر! حاسااااااااب!

جلاب المصايب

ديسمبر ٢٠٢٥

انهمر المطر بسرعة شديدة ليرتطم بزجاج سيارتها الأمامي بعنف، وتحركت المسَّاحات بأقصى سرعة لها في محاولة لجعل رؤية الطريق أمامها مقبولة. ليلة من ليالي ديسمبر المصرية الشهيرة، اشتدت فيها الرياح وتكاثرت الغيوم لتنفجر بشلالات من المطر الغزير. لم تكن الساعة قد تجاوزت السادسة بكثير، ولكن الظلام كان قد حل تمامًا في الأرجاء. تقدمت بمقعدها إلى الأمام فكادت تلتصق بعجلة القيادة، وقطَّبت حاجبيها، وعدَّلت من وضع نظارتها الطبية للمرة المليون حتى تتمكن من رؤية ملامح الطريق التي انطمست تمامًا بفعل الظلام والمطر الشديد. نقرت بأصابعها لثوانٍ على شاشة هاتفها المحمول لتصله بمذياع السيارة ليدوي صوت مصطفى شوقي بأغنيتها المفضلة «ملطشة القلوب». دندنت مع الأغنية:

يا ملطشة القلوب

يا جلاب المصايب

ثم زمت شفتيها بابتسامة ساخرة وهي تفكر: هل يجلب القلب حقًّا سوى المصائب؟!

هاجمتها الذكريات ولاحقتها الأفكار فارتطمت بثنايا عقلها كما ترتطم قطرات المطر بسيارتها من كل جانب، ودوت الأفكار بقوة في أرجاء عقلها المنهك. تنهدت وشفتاها ما زالتا تهمسان بصوت ساخر:

يا جلاب المصايب

شردت في الطريق الذي تناثرت عليه بعض السيارات المتفرقة، حيث لن يخاطر بالخروج في هذا الجو إلا مخبول أو مضطر. كان ظهرها منتصبًا متشنجًا من شدة توترها، لأنه لم يتبقَّ إلا دقائق وتترك الطريق الرئيسي ومعه أي إضاءة خلفها لتدلف إلى أحد الطرق الجانبية غير الممهدة، حيث تقع شقتها الجديدة. تنهدت تنهيدة طويلة وهي تلقي نظرة خاطفة على الوقت الذي تألق على شاشة هاتفها المحمول. ظهر على طرف الشاشة تنبيه برسالة قرأت نصها الذي ظهر بوضوح لثوانٍ ثم اختفى إلى داخل تطبيق الرسائل. أخذت نفسًا عميقًا ملأت به رئتيها ثم أخرجته ببطء كما تفعل في حلقات اليوجا التي تعشقها وتذهب إليها باستمرار. عاد صوت مصطفى شوقي يتردد:

يا جلاب المصايب

هزت رأسها وهمست لنفسها وقشعريرة من الخوف تسري في جسدها رغمًا عنها، وقد تركت بالفعل الطريق الرئيسي وراءها: «وإيه، مش أي مصايب، مصايب لِفل الوحش!».

قطع رنين هاتفها صوت الأغنية، وخمنت المتصل من دون أن

تنظر إلى شاشة الهاتف. تنهدت وضغطت على زر قبول المكالمة، فملأ صوته أنحاء سيارتها الصغيرة عبر مذياعها الموصل بالهاتف:

- وصلتِ؟

- لسه، بس خلاص على وصول، ما تقلقش.

- كلميني أول ما تدخلي البيت.

قالت بضجر وهي تتنهد مرة أخرى:

- حاضر!

في الثالثة والأربعين من عمرها، تعمل في إحدى كبريات الشركات العالمية، ترأس فريقًا من الرجال في منصب قيادي، وما زال عليها أن تتمتم بصوت خاضع: «حاضر»!

كم كرهت هذه الأحرف الأربعة، وتمنت أن تقول أي شيء آخر، بل إنها حاولت استبدال «طيب» بها، لكنه كان ينهرها دومًا ليأمرها بقول «حاضر»، فتقولها بصوت خفيض حانق.

استنشقت نفسًا آخر وهي تفكر. كم تمنت أن تضع خلف ظهرها كل القواعد والقيود وتضرب بجناحين في سماء الحرية، ولكنها لم تستطع قَطُّ. ظلت قدماها مقيدتين بصوت ضميرها الداخلي الذي لم يمنحها السلام يومًا. ظلت القيم التي زُرعت فيها تنازعها رغباتها وأحلامها التي تمنت أن تحققها.

كانت قد وصلت أخيرًا إلى بوابة الكومباوند الذي اشترت فيه شقتها الصغيرة بالتقسيط بشق الأنفس.

بصعوبة أضاءت بعض أعمدة الإنارة جزءًا من الطريق، إذ لم يسلَّم الكومباوند بعدُ، وما زالت شوارعه غير ممهدة، ومواد البناء متناثرة في

كل مكان، ومع ذلك أصرت على تجهيز شقتها والانتقال إليها عقب طلاقها، فلم تكن لتعود إلى بيت والديها أبدًا مهما كلفها الأمر، وإن عنى ذلك أن تسكن وحيدة في هذا الكومباوند النائي. قادت سيارتها ببطء شديد في اتجاه البناية التي بها شقتها. عاد مصطفى شوقي يردد بقية كلمات الأغنية:

خلِّي الناس تعايب

مضيفًا إلى قلبها بعض الونس في هذه الأجواء الرهيبة، وإن صدق في كلماته فقد اتهمها الجميع بالجنون! عاب الكل قرارها، ولكنها أصرت وثبتت - لأول مرة تقريبًا في حياتها - على موقفها، ولم ترضخ لضغط الجميع.

«يوووه! تاني؟!»، قالتها وهي ترى الشارع الذي فيه شقتها وقد فُصلت الكهرباء عنه تمامًا. يحدث هذا أحيانًا بالخطأ لاستكمال بعض أعمال البناء في البنايات التي تجاورها. تتصل بخدمة العملاء صارخة كل مرة فتعود الإضاءة إلى الشارع والبناية والشقة.

«حاجة تجنن! الواحد يدفع ملايين ويعيش في عشوائيات برضو؟!». رغمًا عنها اعترى قلبها الضيق والخوف وهي ترى الشارع غارقًا في ظلام حالك، فهي وحيدة في ليلة باردة شديدة الظلمة، بعيدة عن أي بشر آخرين بعشرات الكيلومترات. قلبت بأصابعها في رسائل هاتفها المحمول للحظات وهي في سيارتها، زفرت بضيق شديد وقد أصابها الإحباط، ثم طرقت عقلها خواطر غريبة: إن نُحر عنقها هنا فلن يعرف أحد! إن صرخت فلن يسمعها أحد! هزت رأسها لتنفض هذه الخواطر التي لا قيمة لها الآن، وظلت جالسة دقائق أخرى

في سيارتها بعد أن توقفت. أضاءت نور السيارة الداخلي ونظرت إلى عينيها في مرآة السيارة، ثم هزت رأسها لنفسها وقالت بصوت مسموع ليطمئن قلبها المفزوع: «you have got this يا دينا. دقايق والموضوع هيخلص».

ابتسمت لنفسها مشجعة وهي تودع عينيها العسليتين وتلملم حقائبها: حقيبة اليد الخاصة بها، وحقيبة حاسوبها المحمول التي لا تفارقها تقريبًا. غير أنها أجفلت وتركت الحقائب حيث هي ووضعت مفاتيح سيارتها مرة أخرى وقامت بتشغيلها وأضاءت نور السيارة الخارجي بعد أن سمعت صوت جلبة ما. التفتت يمينًا ويسارًا فلم ترَ شيئًا، فما زال المطر ينهمر والإضاءة غائبة تمامًا عن المكان. كانت قد صفت السيارة كما تفعل دائمًا أمام البناية بالضبط، موجِّهة مقدمتها إلى الشارع ومؤخرتها إلى البناية. أضاءت المصابيح الأمامية الشارع الخالي أمامها فلم ترَ إلا قطرات المطر المنهمرة، في حين أضاءت المصابيح الخلفية الحمراء مدخل البناية. كانت لا تزال تسمع صوتًا غريبًا غير مفهوم، ولكنها لا ترى شيئًا، فقالت لنفسها بصوت أرادته هادئًا لتهدئ ضربات قلبها المتسارعة بشدة: «يا بنتي مفيش حاجة! ده العادي!».

شوَّش صوت الجلبة على صوتها الداخلي، فانتفضت وأغلقت باب السيارة بحركة لاإرادية. قربت عينيها من مرآة السيارة لعلها ترى مصدر الصوت الذي بدا أنه يأتي من داخل بنايتها التي لا يقطن فيها سواها. ترددت بشدة في دخول البناية. أصابها الهلع، فراحت تتصرف وكأن هناك من يلاحقها بالفعل، فوضعت السيارة على وضع

الاستعداد. أرادت أن تستجمع شجاعتها وتخرج من السيارة بعد أن أغلقت الإضاءة، همت بالنزول، ولكنها كانت محققة في شيء واحد: لن يسمعها أحد وصرخاتها تتردد في أرجاء المكان!

مكتبة ياسمين
telegram @
yasmeenbook

عاصم الحسيني

جثتان

تألقت شاشة هاتفه المحمول بلون أزرق فاتح، فاستطاع أن يرى على أثر الضوء ملامح الغرفة التي استلقى فيها لأول مرة. نظر بطرف عينه إلى السيدة التي استلقت بجواره مستغرقة في النوم. تزوَّجها البارحة وقد تعرَّف عليها منذ أسبوع. عدة مكالمات هاتفية واتفاق سريع بأن يقضي معها بعض الليالي بلا أي قيود، كما يقال في أفلام هوليوود. خلت حياته من دفء الزوجة الحقيقية منذ عدة سنوات بعد أن تركته زوجته الأولى أم ابنه الوحيد؛ حزمت أمتعتها واصطحبت ابنها وتركت كل شيء وراءها. دائمًا ما كان يسمع أن المرأة إذا عقدت العزم على الرحيل فلن تنظر خلفها مرة أخرى، وهذا ما فعلته بالضبط، لم تنظر إليه وإلى حياتها معه، فقط رحلت في صمت. والحق أنها كانت قد ملأت الدنيا ضجيجًا لسنوات لعله ينتبه إليها، شعرت كأنها تنادي أصم، وانتظرت كثيرًا، وحين دقت ساعة الرحيل لم تتردد. نظر إلى المرآة التي تواجه الفراش وهو

عاري الجذع، لم يُمكِّنه الظلام من الرؤية بشكل كافٍ، غير أن تألُّق هاتفه الذي لم يكف حتى هذه اللحظة مكَّنه من رؤية وجهه جيدًا، وجهه باللون الأزرق! ابتسم بسخرية. بدا كبطل خارق بعضلاته التي ارتسمت بشكل باهر، أو ربما جني أو شيطان أزرق مهيب، ضابط في المباحث الجنائية، تخطَّى الخامسة والأربعين، وسيم دقيق الملامح. نادرًا ما احتفظ زملاؤه بهيئة الضابط الرياضي المُعظَّم. تقدمهم الآن بالون كبير في المنتصف؛ علامة الرجل المصري الشهيرة، غير أن عاصم استثمر كل لحظة فراغ وجدها في الرياضة: الجري، وحمل الأثقال في قاعات الجيم الملحقة بنادي الشرطة، فأصبح أعزب وسيمًا قوي البنيان. اصطبغ شعره باللون الرمادي فانهالت عليه عروض كالتي تنام بجواره الآن. ظل مساعده خالد المصري يتصل على هاتفه، وهو لا يزال يتفكر في حياته ولا يرغب حقًّا في الرد. أشعل سيجارة، أخذ منها نفسًا طويلًا، اتسعت ابتسامته الساخرة لوجهه الذي أحاطه الدخان مع تناغم اللونين الأزرق والأحمر ليصبح حقًّا كجنِّي أتى حالًا من الجحيم. أغلق الخط ثم أرسل إلى خالد رسالة نصية:

جثة؟

لحظات وجاءته رسالة من خالد:

اتنين سعادتك! وعلي بيه بنفسه موصِّي.

حدق في الرسالة، وزفر بصوت خفيض. انتهت فترة راحته شاء أم أبى. ضغط على أزرار هاتفه بسرعة وكتب إلى خالد:

ابعتلي اللوكيشن. أنا جاي في السكة.

اجتهد ألا يصدر صوتًا وهو يلتقط ثيابه التي تناثرت على أرض الغرفة من أثر معركة ليلة الدُّخلة. خرج من الشقة فاصطدم وجهه بالهواء البارد فأحكم غلق الجاكت الجلدي الذي يرتديه. كانت آثار المطر الذي انهمر لساعات طويلة ما زالت ظاهرة في كل مكان. وضع عاصم مكان الجريمة الذي أرسله خالد على تطبيق الخرائط، وانتظر لثوانٍ ليقوم التطبيق بالتحميل ليرى بوضوح مكان الجثتين الذي كان تقريبًا في منتصف الصحراء. استخدم إصبعين لتكبير المنطقة ليرى أنه كومباوند مشهور، وفي الغالب لا يزال تحت الإنشاء. لم يكن يفصله عن مكان الجثتين سوى خمس عشرة دقيقة. منطقة نائية من المناطق الجديدة التي توسعت في بنائها مصر الحبيبة، غير أن الكباري والأنفاق التي انتشرت بكثرة أيضًا جعلت الوصول ليس صعبًا أو طويلًا. ظهر الطريق على شاشة السيارة الداخلية بعد أن أوصل هاتفه بها. قاد شاردًا متأملًا الشوارع الخالية أمامه. كانت الساعة الثامنة مساءً تقريبًا، ولكن شدة البرد والمطر الذي أغلق معظم الطرق تسببا في خلو الشوارع بهذا الشكل العجيب. عدة كبارٍ ثم نفق وخرج عاصم إلى طريق مظلم من دون عمود إنارة واحد. اضطر إلى أن يقود ببطء وقد انزلقت السيارة على الحصى والزلط وترجرجت بفعل الطريق الذي لم يكن قد رُصف أو مُهد بعدُ. ابتسم ساخرًا وهو يتذكر إعلانات الشوارع والتلفزيون عن الكومباوند الذي بدا كأنه في الجنة وبدا أن كل الطرق التي تؤدي إليه سحرية! تأمل الطريق وهو يفكر في أنه سيكون من الصعب جدًّا تعقب أحد على طريق كهذا، فليس هناك إضاءة أو كاميرا رادار. الدخول والخروج من هذا الكومباوند ليس

لهما غالبًا إلا هذا الطريق. فجأة انتهى الطريق وعلا صوت تطبيق الخرائط: «لقد وصلت إلى وجهتك».

ابتسم عاصم وهو ينظر حوله في الفراغ المظلم، متذكرًا إفيه فيلم «عسل أسود»: «بطل كذب بقى!».

لم يكن قد وصل بالتأكيد، فهو الآن في منتصف اللاشيء بالضبط، مكان مقفر خالٍ من أي شيء وأي شخص. من المفترض أن يكون خالد وبقية رجال الطب الشرعي والبحث الجنائي في كل شبر الآن إن كانت هذه هي الوجهة الصحيحة. حاول أن يتصل بخالد ولكن هاتفه المحمول لا يلتقط شبكة. نزل من السيارة ووقف بجوارها للحظات. استطاع أن يرى بصعوبة عدة بنايات وراء سور قريب، خمن أن هذا هو الكومباوند المقصود وأنه يقف خلفه بالضبط. هز رأسه وهو يتخيل أن يسكن شخص ما بكامل إرادته في هذه الصحراء ويدفع ملايين في بيت هنا! ركب سيارته مرة أخرى، وبعد بضع مناورات في هذه الشوارع غير الممهدة وصل أخيرًا إلى ما تيقَّن أنه بوابة الكومباوند المقصود. ملأت أضواء سيارات الشرطة والإسعاف المكان، واستطاع أن يرى من مكانه خالد وهو يتحدث مع أحد رجال البحث الجنائي. التقط علبة سجائره وهاتفه المحمول ونزل من سيارته، ثم وقف بجوارها ثواني أشعل فيها سيجارة وأخذ نفسًا عميقًا وانتظر ليخرج الدخان الأبيض بهدوء. حيًّا مساعده خالد المصري بعينيه وتفقد المنطقة بدقة شديدة. وقفت سيارة حمراء من طراز «الإس يو في» أمام بناية بعينها. لم تكن هناك سيارات أخرى سواها بخلاف سيارات الشرطة بالطبع. قبل أن يقترب كثيرًا من

السيارة خمن أنها لسيدة، فاللون الأحمر ونوع الفرش الداخلي الذي ظهر من الزجاج الأمامي يُنبئان عن حس أنثوي بلا شك. اقترب أكثر فرأى بعض الملصقات على الزجاج الخلفي، أحدها وُضع عليه وجه طفولي وآخر وُضعت عليه علامة نادٍ رياضي شهير. توقف عند مقدمة السيارة المواجهة للشارع الخارجي، وأمعن النظر في اتجاه مؤخرة السيارة التي ارتطمت بمدخل البناية وكادت تلتصق بالجدار الذي تلطخ بالدماء. نظر إلى أسفل ليرى الجثة الأولى بوضوح: تحطمت عظامها وتفجرت منها الدماء إثر اصطدامها بالسيارة من الخلف. أخذ نفسًا من سيجارته ونظره معلق بأحد رجال المعمل الجنائي يتفحص إطارات السيارة وآخر ينحني على الجسد المسحوق. لقد دُهست هذه الجثة في الغالب! من خلال النظرة الأولى فإن هذه مجرد حادثة مؤسفة، وليست جريمة قتل بالتأكيد، ولكنَّ عينيه التقطتا سلاحًا ناريًّا ملقى على بُعد بضعة سنتيمترات من جثة القتيل على الأرض!

- مساء الفل يا خالد. إيه الموضوع بقى؟
- والله سعادتك لسه بنشوف، بس الجميل إن معانا الجثث واللي قتلها في نفس الوقت!

رفع عاصم حاجبيه متسائلًا، فأشار خالد بعينيه جهة اليمين، فنظر عاصم إلى حيث أشار. لم يتبيَّن في البداية ما الذي ينظر إليه بالضبط، ثم فطن إلى أنها سيدة تجلس بداخل إحدى سيارات الشرطة متقوقعة تمامًا في المقعد الخلفي. لم تظهر له ملامح وجهها بوضوح، فقد غطته مع نحرها بوشاح زهري اللون. وعلى الرغم من بُعد المسافة والظلام فقد أدرك أنها غارقة في البكاء. هذه إذن صاحبة السيارة

الحمراء حية تُرزق، وغالبًا دهست بالخطأ شخصًا ما. أعطاه خالد بطاقة التعريف الخاصة بها فقرأ بصوت مسموع:

- دينا أحمد إبراهيم المرعشلي. مهندسة.

أشار عاصم إلى الجثة خلف السيارة الحمراء:

- هي اللي قتلت ده؟

أومأ خالد برأسه مؤكدًا، ثم قال:

- وده سعادتك اللي قتل الجثة اللي فوق!

نانسي الرحمي

الآن

لملمت نانسي شعرها الأشقر إلى أعلى بمشبك شعر ذهبي اللون، ثم سارت بخطوات ثابتة إلى حيث سيارتها «البي إم دبليو» السوداء. كانت من النساء القليلات اللاتي أحببن قيادة السيارات الفارهة، ولم ترغب في سائق يقود ويستمتع هو بسرعة السيارة ومتعة قيادتها، كما أنها فضلت أن تكون بعيدة عن عينَي سائق متلصص، في الغالب سيقوم بنقل كلماتها وحركاتها. توقفت للحظات قبل أن تصل إلى سيارتها لتلتفت يمينًا ويسارًا بعد أن شعرت بأن هناك أعينًا تتابعها. ظلت تنظر في كل الاتجاهات فلم ترَ سوى عدة طرق خالية، فلم يستيقظ أحد في الغالب بعدُ. تنهدت وهي تستنشق دفعة من هواء الصباح في رئتيها لتهدئ مخاوف نفسها غير المبررة. أكملت السير إلى سيارتها وهي تلقي نظرة سريعة على شاشة هاتفها المحمول تتفقد الوقت وترى إن كان فارس قد حاول الاتصال بها. ظهرت على شاشة هاتفها صورة لفارس وهو في الخامسة من عمره، احتفظت

بها كخلفية لهاتفها. ابتسمت لصورته للحظات، ثم مررت أطراف أصابعها على الصورة بشيء من الحسرة. تناثر شعره الأسود، وابتسم ابتسامة طفولية ساحرة، وظهرت أسنانه البيضاء، والتمعت في عينيه نظرة شقية. لم تكن حلَّت في عينيه النظرة التي تراها الآن. لم يعد فارس وحيدها طفلًا، بل أصبح يفوقها طولًا بعد أن تخطى التاسعة عشرة من عمره. هبَّت لفحة من الهواء البارد ضربت صفحة وجهها، فدلفت إلى سيارتها وهي تنفض أي أفكار محزنة من عقلها. يكبر الأطفال ويجري الزمن ونستيقظ على أحلام انقضى وقت تحقيقها، أو ربما نستيقظ على كابوس بغيض نتمنى أن نفر منه بأي شكل. اتخذت وضع القيادة، وعدَّلت من وضع مرآة المنتصف لترى خلفها بوضوح. وضعت هاتفها المحمول على المقعد المجاور ثم ضغطت على أزراره سريعًا، وسمعت بعد عدة ثوانٍ: «bluetooth connected»، أي جرى وصل الهاتف بمذياع السيارة. انسابت الأغاني التي تحبها وقد ظهرت على شاشة السيارة الواجهة التي وضعتها بأطراف أصابعها التي زينها طلاء الأظافر الأحمر الداكن. الجمعة هو يوم الساونا والجاكوزي وبعض الماسكات التي تحتاج إليها بشدة بعد أن تخطت الأربعين، وهذه الجمعة بالذات تحتاج إلى الاسترخاء أكثر من أي يوم آخر. لن تقلق على فارس، فقد دسَّت له بعض حبوبها المنومة في كوب من العصير أصرت على أن يشربه البارحة. أرادت أن تتأكد أنه سيغط في نوم عميق لتحظى ببعض الوقت بلا مقاطعة. زمَّت شفتيها وهي تتذكر عيد ميلادها الأربعين منذ عدة أشهر. كانت لا تزال بلا شك متألقة، غير أنها لن تضاهي ذوات

العشرين مرة أخرى أبدًا. مر الزمن أسرع من أن تلاحظ. تراصت الأحلام الواحد تلو الواحد، واكتملت قِطع الأحجية لتحصل على كل ما أرادت. بدا أنها حصلت على كل شيء وحوت الدنيا وما فيها. سكنت القصور، وحصلت على ذرية، وقادت سيارات فارهة. شردت في فراغ الشوارع من أمامها، وتمثلت صورة فارس وهو في الخامسة أمام عينيها مرة أخرى، ثم قفزت في عقلها فكرة: هل هي سعيدة حقًّا؟ هزت رأسها يمينًا ويسارًا كأنها تنفض هذه الأفكار من عقلها. لا يتوقف المرء ليسأل هذه الأسئلة في الغالب، فقط يُكمل طريقه بخطوات ثابتة، فثمة أشياء إن افتقدها فسيفتقد ما هو أثمن من السعادة نفسها.

علا صوت تنبيه على مجموعة تطبيق الواتساب الخاص بالمدرسة، فنظرت بطرف عينها لتقرأ كلمات عزاء تتناقل بين أعضاء المجموعة. هدأت من سرعة السيارة والتقطت الهاتف لتتمكن من قراءة الرسائل، ولكن هاتفها تألق واهتز في اللحظة نفسها، فأجفلت وأسقطته من يدها. تردد في صوت المذياع بالإنجليزية: «Wael El Adl is calling». التقطت الهاتف ببطء حتى لا تفقد السيطرة على السيارة، ونظرت إلى الشاشة التي ظهر عليها اسم وائل العدل. خففت ضغط قدمها على دواسة البنزين لتهدئ من سرعة السيارة قليلًا وهي تفكر واجمة: ما الذي يحمله لها وائل العدل في الصباح الباكر؟ لكم تمنت لو لم تنصع لدخوله السافر في حياتها، تمنت لو أخرجته عنوة حين أتيحت لها الفرصة، ولكنها لم تستطع، فقد أصبح - شاءت أم أبت - جزءًا من حياتها المبعثرة. آثرت أن تقف

على جانب الطريق بعد أن رأت أن المكالمة مرئية. ضغطت على زر الانتظار على الرغم من خلو الشارع خلفها. فتحت المكالمة ونظرت إلى وجهه الذي ظهر بوضوح من خلال شاشة الهاتف في هذه المحادثة التي أصر على أن تكون مرئية:

- هاي يا وائل، إيه الأخبار؟

جاء صوت وائل مصحوبًا ببحة غريبة لم تعتدها، ولم يخفَ عليها أن ملامح وجهه قد شابها شيء غريب:

- هاي يا نانسي.

راحت تتأمل ملامح وجهه التي اعتراها القلق. ظل صامتًا لبضع لحظات، ولم تتحدث هي مترقبة كلماته التالية، ولكن صوت أنفاسه الثقيلة أخبرها أن ثمة خطبًا عظيمًا أخرج وائل العدل عن ثباته بهذا الشكل. قالت أخيرًا:

- فيه حاجة يا وائل ولا إيه؟ شكلك مش مظبوط!

- جاسر!

نطق حروف اسم جاسر بشيء من الأسى الذي اختلط بشيء آخر لم تفهمه بالضبط. كان يقصد جاسر مرتضى بالتأكيد.

- ماله جاسر؟ اتخانقتوا تاني؟ لسه بيبعبع بكلام فاضي من آخر مرة اتكلمتوا؟

أخفض وائل عينيه إلى الأسفل، ثم قال وقد لاح على خديه ما بدا لنانسي دموعًا:

- جاسر مات يا نانسي!

- إنت بتقول إيه يا وائل؟!

اختنق صوته، واقشعر جسدها. تردد صوت الإشارة في السيارة المغلقة مختلطًا بصوت أنفاس وائل الذي قال أخيرًا:

- جاسر لقوه مقتول في شقة دينا!

عاصم الحسيني

التحقيق الآن

في مكتب العقيد عاصم الحسيني ليس ثمة صوت إلا نحيب دينا المكتوم. جلست على الأريكة السوداء وقد تبعثر شعرها الكستنائي، واختلطت دموعها بالكحل الأسود، فأصبح وجهها كلوحة زيتية ذابت ألوانها بفعل الحرارة. جلس خالد المصري وعاصم الحسيني في مواجهتها على المقاعد الجلدية السوداء، في حين جلس على رأس المكتب اللواء علي الكردي نفسه، وأمامه رجل قوي البنية يبدو على مشارف الستين. لم يبذل عاصم جهدًا ليعرف أنه والد دينا المرعشلي، فقد تشابهت ملامحهما بشكل ملحوظ، وإن احتفظت هي بجانب أنثوي جميل. والد دينا اللواء أحمد المرعشلي ضابط شرطة متقاعد، كان ذا ثقل في الداخلية وصديقًا مقربًا للواء الكردي. ثبَّت عاصم عينيه على دينا وهو يتأملها بعينين متفحصتين لعله يتبين الحقيقة وراء هذه الدموع. خطرت في عقله خاطرة غريبة: إنها على الرغم من كل شيء بدت جميلة جدًّا. زم شفتيه ونفض رأسه برفق

مُذكرًا نفسه أنها متهمة في جريمة قتل مزدوجة، بل هي بلا شك قد قتلت أحدهما بالفعل.

كانت بعض الصور والأوراق قد تناثرت على الطاولة التي وُضعت أمام الأريكة: بعض المعلومات الأساسية التي جُمعت عن القتيلين، وبعض صور مسرح الجريمة. لم تكن دينا تنظر إلى عاصم أو إلى الطاولة، بل كانت تنتحب وقد شردت تمامًا. علم عاصم يقينًا أنها في حالة صدمة شديدة، فقد تحولت فجأة من مهندسة وأم لطفلين إلى قاتلة، ويجري التحقيق معها في جريمة قتل أخرى.

طرق الباب أحد المجندين ثم دلف بعد أن سُمح له بالدخول. وضع فناجين القهوة أمام الجميع وكوبًا من الليمون الدافئ أمام دينا التي أشار إليها عاصم كي تشربه. تحركت ببطء ثم انحنت إلى الأمام وأمسكت بالكوب وارتشفت منه كأنها تنشد الدفء والهدوء.

- ها؟ أحسن شوية يا باشمهندسة؟

سألها خالد المصري بتعاطف بدا لها حقيقيًّا، فهزت رأسها ببطء وقد شعرت بشيء من الامتنان تجاهه، فقال لها عاصم بعد أن تبادل مع خالد نظرات سريعة:

- طيب ممكن تحكيلنا كده بالراحة يا باشمهندسة إيه اللي حصل بالظبط تاني؟

اعتدلت دينا قليلًا، ثم قالت بصوت خرج بصعوبة من بين شفتيها بعد أن تبادلت نظرة خاطفة مع والدها الذي شجعها بعينيه على التحدث:

- زي ما قلت لحضرتك، خلصت شغل وروَّحت على البيت،

بس الشارع كله كان مضلم، الكهربا كانت مقطوعة. فضلت قاعدة في العربية شوية، وقبل ما أنزل سمعت دوشة زي ما تكون حاجة خبطت في الأرض. مش عارفة ليه اتخضيت. الجو كله كان مرعب وضلمة كحل. لمحت ضل خارج من باب العمارة وفي إيده حاجة شبه المسدس. اتخضيت أكتر واتلخبطت وعملت العربية على R بدل D، فرجعت لورا بدل ما أطلع لقدام، و...

أجهشت بالبكاء وهي تتذكر مشهد الدماء المتناثرة على الحائط إثر ارتطامها بهذا الظل الذي تبين أنه رجل قضى نحبه بسبب ارتطامها به. ارتطمت بالحائط بشكل قوي، و«فعصت» هذا الشخص تمامًا. انتظر عاصم بضع لحظات لتهدأ، ثم وضع صورة أمام عينيها فيها وجه شاب لا يبدو أنه تخطى الثلاثين من عمره، وقال:

- رضا السيد. تعرفيه؟ أو شفتيه قبل كده؟

هزت رأسها نافية وهي لا تزال تبكي. وضع صورة رضا جانبًا ثم وضع صورة أخرى أمام عينيها وقال:

- جاسر مرتضى. تعرفيه، مش كده؟

أشاحت بنظرها كي لا ترى صورة جاسر وقد رقد في غرفة معيشتها قتيلًا. اختلف صوت نحيبها بشكل لم يخطئه عاصم قَطُّ. ظهر الحزن جليًّا على ملامحها وبين همهمات دموعها. اهتمت بلا شك بجاسر بشكل أو بآخر. عاد سؤاله يدوي في عقلها الذي خيَّم عليه ضباب الصدمة وتلاحُق الأحداث: هل كانت تعرف جاسر؟

كانت تعرف جاسر بالتأكيد. طافت في عقلها رغمًا عنها عشرات

المواقف التي جمعتهما. تمثَّلت صورته وهو حي يُرزق مبتسمًا واثقًا بنفسه. تمثَّل أمامها وقد وضع ذراعيه القويتين حول كتفها مواسيًا حين وقع طلاقها. استنشقت عطره الذي طالما تسلل إلى أنفها كلما اجتمعت به في أي مكان. يصعب عليها أن تتخيل أنه يرقد الآن في ثلاجة باردة وقد ترك وراءه زياد وحيدًا. لم تقوَ على التفكير في زياد الآن، فقد تُوفِّيت والدته نهلة صديقتها منذ عدة سنوات، والآن قُتِل والده. أي حظ عاثر يلاحق هذا الفتى؟!

ظل عاصم ينتظر إجابة، فهزت رأسها بـ«نعم»، ثم قالت بصوت اختلطت فيه أنواع عجيبة من المشاعر:

- أيوه كنت أعرفه. إحنا أصحاب من زمان، ومراته نهلة الله يرحمها كانت صاحبتي وزميلتي في الشغل، وابنه زياد كان مع ولادي في نفس المدرسة.

- كان؟

- أيوه هو دخل أول سنة جامعة السنة دي.

هز خالد رأسه متفهمًا، ثم سأل:

- عندك فكرة كان بيعمل إيه عندك في الشقة؟

قالت بصوت خنقته الدموع وهي تهز رأسها نفيًا:

- لأ.

ثبَّت عاصم نظره على وجهها وقد شعر بأنها لا تكذب، ولكن البيت لم يُدخَل عنوة، إذ لا توجد أي آثار لاقتحام. دلف جاسر من باب الشقة ببساطة، وفي الغالب كذلك فعل رضا القتيل الآخر الذي دهسته دينا.

- إنتِ عايشة لوحدك في البيت ده يا مدام دينا؟
سألها عاصم هذه المرة وقد شاب سؤاله تلميح ما لم يخفَ على دينا، فامتقع وجهها وهي تنظر بطرف عينها إلى والدها نظرة لم تخفَ على عينَي عاصم الذي لاحظ بسهولة تغير ملامح وجه والدها وحمرة الغضب التي لاحت عليه، ولكنها اعتدلت وقالت بصوت قوي اختفت منه خنقة الدموع:
- عايشة مع ولادي لارا وعمر، بس الخميس بيباتوا عند أبوهم، ومحدش بيزورني في البيت ده أبدًا! وأنا ما كنتش موجودة طول اليوم في الشقة، وفيه مليون حد شافني في الشغل والنادي والسوبر ماركت!
- فيه حد معاه مفتاح البيت غيرك يا باشمهندسة؟
سألها خالد بصوت قوي حازم متجاهلًا تلميح اللواء الكردي بمعاملتها برفق. لم يخفَ أيضًا عليها ما يقصده، فقالت وقد تبدلت للحظة ملامحها تمامًا لتصبح أكثر صلابة، واعتدلت في جلستها وقالت بحزم شديد:
- لأ، مفتاح البيت مش مع حد غيري أنا والولاد، وما حصلش إن جاسر أو أي راجل غيره زارني في البيت لوحدي أو حتى في وجود الولاد! ويا ريت يبقى كلامي واضح! دخل إزاي ومين قتله؟ أعتقد دي شغلة حضرتك مش شغلتي!
ظلت تنظر إليه بتحدٍّ غير عابئة بأي شيء، فتدخَّل اللواء الكردي وهو ينظر إليها بهدوء وسألها بجدية:
- طيب يا باشمهندسة، إنتِ عندك حد بينضف؟ أي حد ممكن

تتخيلي إنه يكون عمل مفتاح إضافي؟ جاسر دخل البيت بالمفتاح. حاولي تفكري كده ممكن يكون جاب مفتاح الشقة منين.

ظهر التردد عليها للحظة، ونظرت مرة أخرى إلى والدها الذي بدا أنه ينتظر سماع إجاباتها. خطر على بال عاصم أن هذه الفتاة لم تغِب في الغالب عن عينَي والدها قَطُّ. لا بد أنه أحكم عليها الوثاق دائمًا. قالت بعد قليل من التفكير الصامت:

- هو فيه مفتاح زيادة فعلًا غير اللي معايا أنا والولاد.

- موجود فين يا باشمهندسة؟

قالت بعد تردد شديد وقد احمرَّ وجهها بشدة وتعمدت ألا تنظر إلى عينَي والدها:

- في الزرعة!

جاسر مرتضى

عدة أشهر قبل الحادث

ألقى جاسر نظرة سريعة على شاشة هاتفه المحمول، وتأفف وهو ينظر إلى ما ظهر أمامه. تستطيع أن تحصل على كثير من المعلومات من نظرة واحدة على هذه الشاشة الصغيرة، ضغطة واحدة تأتي بكثير مما تحلم به. تفكر: كيف كان البحث والتحريات وعمل الشرطة الحقيقي قبل أن تظهر هذه التكنولوجيا اللعينة؟ ضابط شرطة متقاعد يعمل الآن مدير أمن إحدى الشركات الخاصة، ويقضي يومه جالسًا على المقعد يحدق في بضع شاشات. يكره هذا العمل الذي يبدو مهينًا جدًّا بعد أن كان يمتلك نفوذًا حقيقيًّا في عمله في الداخلية. أقصى إثارة يحصل عليها في هذه الوظيفة هي أن يصر شخص لا يعمل في الشركة على الدخول، أو ربما يختفي هاتف مملوك لأحد العاملين بالشركة فيأمر بالبحث في الكاميرات فينتهي الأمر في ثوانٍ. افتقد القضايا التي تستثير حدسه الأمني وترفع مستوى الأدرينالين في دمه. كان مدمن أدرينالين

وإثارة إن صح التعبير: يقود سيارته وقد أكمل عداد السرعة حتى النهاية، فقط ليشعر بقشعريرة جسده مع هذا الفعل، يقفز بالمظلة من الطائرة كما كان يفعل في تدريبات قوات الأمن الخاصة، فقط لتهدأ روحه قليلًا.

لم يستكن أو تطمئن نفسه منذ أن تُوفيت نهلة والدة زياد ابنه الوحيد، بل لم يكن مستكينًا قبل أن يقابلها، فقط استكان بين ذراعيها ثم سقط في بئر عميقة حين تركته وحيدًا. تعرَّف عليها وهو ملازم شاب مشاغب يتجاهل القواعد ويشعر بقوة جسده وذكائه. تسللت هي بشكل غريب إلى روحه فصنعت طريقًا ممهدًا إلى قلبه، فتغيرت شخصيته تمامًا حين تزوجها. «عِقل» كما تقول الثقافة المصرية عن الرجل بعد الزواج: «هيعقل»، وقد صدق هذا القول فيه. اشتاق إليها وإلى وجهها المنمق فاعتدل، ثم مر بأصابعه على ملف الصور ليظهر وجهها الجميل مبتسمًا وقد حملت زياد بين ذراعيها طفلًا. افتقدها بشدة، فقد كانت رفيقة دربه وتوأم روحه بلا شك، والوحيدة التي استطاعت كسر حاجز الجليد الذي أحاط بقلبه. لم يحنَّ أو يشعر بأي شيء تجاه امرأة سواها. مرت على فراشه الكثيرات، لم يكن ملاكًا، بل كان للشياطين أقرب، ولكنه لم ينسها قَطُّ. انحرفت السيارة وهوت في غياهب حفرة عميقة لتسقط هي جثة هامدة ويسقط هو في غياهب بئر عميقة بعدها. خرج بصعوبة من الحفرة حيًّا، ولم يخرج من البئر حتى الآن! لقد رحلت ببساطة وبلا أي ضجيج.

كادت عيناه تفضحانه بدمعة وهو يتذكر، ولكنه تمالك نفسه

ونظر بطرف عينه إلى قدمه اليسرى التي لازمتها عرجة خفيفة من أثر الحادث، وإن لم تمنعه من أن يعود إلى كونه ضابطًا مشاغبًا. والحق أنه لم يخرج من الشرطة بشكل مُشرِّف، ولولا بعض النفوذ الذي امتلكته أسرته لقضى عدة سنوات خلف القضبان، ولكن روحها التي قبعت في زياد أدارت دفة حياته مرة أخرى نحو الاتجاه الصحيح في هذه السنوات الأخيرة، فقد اجتهد في جمع شتات نفسه ليكون الشخص الذي تمنته هي حتى وإن غابت عنه. أخرجه صوت جلبة شديدة من ذكرياته المؤسفة، فخرج من غرفته يتفقد سببها:

- إيه يا ابني؟! إيه الدوشة دي؟!
- خناقة سعادتك في الدور الرابع.
- خناقة؟!

سار بخطوات سريعة نسبيًّا وقد ظهرت بوضوح عرجة قدمه اليسرى التي تفادى الضغط عليها واستند بمعظم جسده إلى قدمه اليمنى كما اعتاد منذ وقوع الحادث. اتجه إلى المصعد ثم استقله ووقف بجوار بابه متأهبًا للخروج. ما إن فُتِح باب المصعد حتى انحنى بسرعة، فقد طار شيء ما نحوه. حمد ربه أن رد فعله من تدريباته السابقة ما زال كما هو سريعًا، وإن كاد يفقد توازنه ويهوي إلى الأرض من أثر اختلال قدمه وسرعة انحنائه، ولكنه تبين خطورة الموقف. أمر جميع رجال أمن البناية بالصعود، فقد اشتبك بعض الموظفين معًا في معركة دامية. لم يفكر فيما يمكن أن يدفع مجموعة من العاملين إلى التجمع على شخص ما وركله وضربه هكذا، بل

فكَّر في كيفية إنهاء الأمر واحتوائه، فهذا يوم سعده، فقد حدث أخيرًا شيء يستحق تدخله. استطاع بحكمته وقيادته السريعة لرجال الأمن إنهاء الأمر.

- إيه اللي حصل يا ابني إنت وهو؟ هتموتوا بعض ليه؟!

تبادل الرجال النظرات الحانقة، ثم قال أحدهم بغضب مكتوم:

- ابن الكلب عايز ينط على لقمة عيشي!

رفع جاسر حاجبيه متسائلًا، يعلم أن شركة العقارات التي يعملون بها تُسوِّق العقارات باهظة الثمن، وكل واحد من هؤلاء يعمل بالعمولة، فإن أتم الصفقة أتاه المال، وإن لم يُوفَّق فقد أمضى شهرًا آخر بلا طعام لأسرته.

- عمل كده إزاي؟

- دخل على الأكونت بتاع الواتس بتاعي سعادتك، وخد العميل اللي كان خلاص بيدفع، فالعمولة راحتله بدل ما تجيلي! ابن كلب حرامي!

- ما تلم نفسك بقى!

كادا يشتبكان من جديد، ففصل بينهما رجال الأمن مرة أخرى. وقال جاسر وقد أعجبه رغمًا عنه فعل السارق الذي لم يبدُ أن لديه مهارة تقنية أو أي مهارة من الأساس، بل بدا كبلطجي أقرب منه إلى مندوب مبيعات:

- وعرفت تدخل على الواتس بتاعه عادي كده؟

- طبعًا!

التفت الجميع إلى قائل العبارة الذي استند بكتفه إلى باب غرفة

المكتب وعقد ذراعيه مبتسمًا. ابتسم جاسر بدوره وهو ينظر بشيء من السعادة إلى شاب يبدو في بداية العشرينيات أو أقل، وقد حمل على ظهره حقيبة حاسوب محمول. ثم رفع الشاب يده بهاتفه المحمول وقال ببساطة:

- أي حد يقدر يعمل أي حاجة بالبتاع ده يا بابا!

دينا المرعشلي

عدة أشهر قبل الحادث

تسللت أشعة الشمس على استحياء إلى غرفتها، ففتحت عينيها ببطء. لم تكن الساعة قد تخطت السابعة بعدُ، ولم تكن نائمة، فقد جافاها النوم منذ وقع الطلاق بينها وبين زوجها، وانتقلت إلى هذه الشقة مع عمر ولارا. ماذا يقولون في الروايات التي تحب قراءتها؟ ظلت تحدق في فراغ الغرفة إلى أن طلعت الشمس، ثم تابعت دقات الساعة التي تسير ببطء حتى أتى الصباح أخيرًا. لم تشترِ ستائر بعدُ لهذه الغرفة، وما زالت ترى بوضوح البنايات التي لم تكتمل تحيط ببيتها الجديد من كل جانب. وضعت قدميها بثقل في الخُفين بجوار الفراش، واستقامت وقد وضعت على جسدها الرشيق روبًا قطنيًّا أبيض اللون. التقطت نظارتها الطبية وتأكدت من وضعها جيدًا على عينيها العسليتين، فهي لن تستطيع أن ترى انعكاسها في مرآة الغرفة من دون نظارتها. ابتسمت لنفسها في قليل من الحسرة وهي تمر أمام المرآة. تذكرت الميمز التي تنتشر على بعض مواقع التواصل الاجتماعي: «مُزة على الفاضي!».

كانت بلا شك «مُزة»، كما يقال باللغة المصرية الدارجة على النساء اللاتي لا يظهر عليهن العمر، ويمتلكن جسدًا رائعًا كجسدها. سارت بين الغرف إلى أن وصلت إلى غرفة عمر أولًا. طرقت الباب برفق ثم دلفت لتجلس على طرف الفراش وتضع يدًا حانية على كتفه وتهمس في أذنه بعد أن وضعت قُبلة حانية على جبينه:

- يلَّا يا عمريكو يا حبيبي عشان المدرسة.

تمتم عمر بكلمات غير مفهومة، في الغالب تعبر عن غضبه على حياة بها مدرسة وتعليم واستيقاظ مبكر. ابتسمت وقالت بصوت حنون حازم:

- يلَّا معلش. عارفة «life is not fair»، بس لازم كلنا نروح المدرسة. يلَّا، عشر دقايق وتكون جاهز عشان تفطر.

خرجت نفس الأصوات منه، ولكنه تحرك من الفراش متجهًا إلى الحمَّام. تركت غرفته ووقفت مترددة أمام غرفة لارا. اقتربت لارا من الثامنة عشرة، تحولت بين عشية وضحاها إلى امرأة كاملة النمو، «مُزة» أيضًا، وأي «مُزة»؟! بل «مُزة المُزز». ملامح شرقية منمقة، وشعر أسود طويل ناعم، وجسد يضاهي جسد جينيفر لوبيز. لم تقوَ على طرق الباب، فقط وضعت يدها على طرفه الخشبي وهي تفكر: هل عليها أن تدخل؟ تستطيع أن تسمع صوت موسيقى يتسرب من أسفل باب الغرفة. استيقظت لارا بالتأكيد، وفي الغالب ارتدت ثياب المدرسة، بل إن صدق حدس دينا فستكون قد تناولت طعام الإفطار: وضعت بعض الزبادي اليوناني وشرائح الموز فوقه والتهمته أمام شاشة هاتفها بعد أن ركضت على ماكينة الركض الإلكترونية،

فلارا مثل أي مراهقة، تهتم بشدة بطعامها وتدريب الركض اليومي. اشترت لها دينا هذه الماكينة «التريدميل» لأنها كانت حانقة من عدم قدرتها على التريض في الكومباوند الذي تربت فيه، حيث بيت والدها الآن. ظلت دينا مترددة: هل تطرق الباب أو تدخل فتتلقى نظرة نارية لا تدري ما فعلته لتستحقها من عينَي ابنتها؟ لكنها تتفهم مشاعرها بلا شك. تغلي الدماء في عروق صغيرتها رغمًا عنها، لا تريد أن تصدق أن والدها، بطلها الأول، قد تركهم بلا رجعة! حسمت دينا أمرها أخيرًا وتركت باب الغرفة، ربما يُفتح في لحظة ما في يوم آخر، ولكن بالتأكيد ليس هذا اليوم.

تنهدت وهي تضغط على زر تشغيل ماكينة القهوة وتضع بعض التوست لعمر في المحمصة. أمسكت بفنجان القهوة الذي امتنت لوجوده في حياتها القاسية، ثم أغلقت اللانش بوكس الخاص بعمر وهي تبتسم بامتنان. ما زالت تضع له بعض الفاكهة والعصير الذي يحبه، وما زال يحتضنها بقوة قبل أن يخرج من البيت. لم تتلقَّ منه بعدُ النظرات النارية التي تحدق بها لارا الآن.

- يلَّا يا لارا، الباص جه تحت.

سمعت صوت باب غرفتها يُفتَح بشيء من العصبية، ووقفت على باب الشقة وقد وضعت سماعتيها على أذنيها. تستطيع دينا أن تسمع من حيث تقف صوت المزيكا المرتفع. كلاهما، عمر ولارا، يعشق البيت المرتفع والمزيكا الصاخبة. احتضنها عمر وطبع قُبلة على يدها التي التفت حول جسده الصغير، في حين لم تقل لارا أي كلمة، بل وقفت فقط على باب الشقة منتظرة مجيء عمر. نظرت إليها

دينا بشيء من الرجاء، تتمنى أن تحصل على تحية صباحية أو نظرة بسيطة تخبرها أنها ربما عفت عنها، ولكن لارا لم تنطق، وتفادت عن عمد أن تتلاقى عيناها مع عينَي والدتها. أرادت دينا أن تحتضن جسدها وتشعر بقربها، هل فقدتها كما فقدت زوجها؟

– أه، بليز، ما تنسيش تبعتي ميل إني هاروح by car مع زياد.

حدقت لارا بتحدٍّ في عينَي دينا التي آثرت الصمت. ظلت النظرات الثاقبة بين دينا ولارا ممتدة، وعمر يقلِّب نظره بتململ بينهما. تحب زياد بلا شك، ولكنها تعلم أن الأمر ليس إلا لإغاظتها. قالت دينا أخيرًا:

– هو إنتو مش هترجعوا على هنا بعد المدرسة إنتِ وزياد؟

هزَّت لارا رأسها نفيًا بنفس التحدي وقد سرى الأسى في عروق دينا رغمًا عنها. أن تُفضِّل ابنتها قضاء الوقت في بيت أبيها وزوجته الجديدة شيء يثير غيرتها وضيقها بالتأكيد، ولكن أن تذهب هي وزياد بالتحديد فهو ما يثقل على قلبها بشدة! قالت دينا بصوت مختنق بعد أن تحاملت على نفسها:

– ابقي خلي بابا يبعت الميل بنفسه!

– على فكرة، بابا مش هيقول لأ، هو أصلًا بيحب زياد أوي.

رمقتها دينا وقد رفعت حاجبيها بتعجب مصطنع، ثم قالت مقلدة عمر ابنها بجملته الشهيرة:

– Good for you.

خرجت لارا كالعاصفة من باب الشقة، وتبعها عمر وهو ينظر إلى أمه كأنه يواسيها. دوى صوت غلق الباب في الأرجاء لتقف وحيدة

بفنجان قهوة أصبح باردًا كالثلج، وضعته على سطح المطبخ وقد عزمت على أن تصنع غيره بعد أن تخرج من أسفل المياه الدافئة. تتساقط أفكارها مع تساقط قطرات المياه عن جسدها، فتنظر شاردة إلى المياه التي تجري لتتسرب من فتحة المغطس. تمنت أن تنسل هي الأخرى من هذه الحياة بأي شكل، تهرب من نظرات لارا الغاضبة، وكلام أمها اللاذع عن الطلاق، لكن أين المفر؟ هل يعطيها القدر فرصة أن تكتب قصتها من جديد؟ خرجت من المغطس بعد أن سمعت صوت هاتفها المحمول الذي لم يتوقف عن الضجيج، لم تكن في حاجة إلى الوصول إلى الهاتف لتعرف من المتصل، زفرت بعد أن وصلت إلى الهاتف وقد صدق حدسها، ردت بصوت أرادته حازمًا قويًّا:

- لو ما سبتنيش في حالي أنا هاقتلك! فاهم؟!

عاصم الحسيني

التحقيق الآن

دار عاصم بمقعده المتحرك دورة كاملة حول نفسه وهو يصدر صفيرًا من شفتيه، مغمض العينين يفكر في جثتَي جاسر ورضا. خرجت دينا من القسم وعادت إلى منزلها بعد أن دفعت كفالة وتعهدت ألا تترك البلد. نسختها من الرواية منطقية جدًّا، وفي الغالب حقيقية، تتوافق تمامًا مع كل شيء: رضا كان في شقتها بالفعل، هناك آثار لوجوده، امتلك في يده سلاحًا ناريًّا وُجد بجوار جثته التي اصطدمت هي بها بعنف. لن يُوجِّه إليها أي تهم في الغالب، فالأمر ببساطة كان حادثة ودفاعًا عن النفس من معتدٍ دخل إلى شقتها بلا وجه حق، ثم إن الظلام والمطر وكونها امرأة وحيدة في هذا المكان النائي جعلت قصتها واقعية جدًّا. تملَّكها الرعب فساقها إلى قتل رضا في لحظات. كانت القضية ستُغلق إن لم يرقد جاسر مرتضى في غرفة معيشتها قتيلًا.

فكرة خالد الأولى - أن يكون رضا هو من قتل جاسر - لطيفة وتنهي الأمر وتغلق القضية، ولكنها لا تتوافق مع مسرح الجريمة

وكيفية قتل جاسر. لم يكن تقرير الطبيب الشرعي قد ظهر بعدُ، ولكن مسرح الجريمة وقوة جسد جاسر لا يتوافقان مع كون رضا قاتله، ثم ما الذي جاء بهما إلى شقة دينا أساسًا؟ جاء رضا ليسرق، ولكن ما الذي كان ينوي سرقته؟ لم يكن معه حين تُوفي تحت إطارات سيارة دينا أي شيء، ودينا كذلك أكدت أن الشقة لم يُسرق منها أي شيء، ثم إن الكومباوند خالٍ تقريبًا إلا من شقة دينا وعدة شقق متفرقة وإن لم تكن في نفس المبنى، فلا يُعقل أن يأتيها شخص سارقًا بهذه الطريقة العجيبة!

تنهد عاصم وفكَّر وهو مغمض العينين: ما الذي يجمع بين ضابط شرطة متقاعد وفتى نكرة لم يكمل تعليمه الجامعي ويعمل في أحد متاجر الهواتف والحواسيب المحمولة؟ ثم ما الذي يجمعهما مع مهندسة شابة حسنة السلوك؟!

- مساء الفل يا عاصم باشا.

فتح عاصم عينيه ليجد مساعده خالد المصري يقف على طرف باب المكتب. لا بد أنه طرق الباب ولم يسمعه، وقد كان مستغرقًا في أفكاره فلم ينتبه. اعتدل وابتسم مشيرًا إلى خالد بالدخول.

- إزيك يا خالد؟ تشرب قهوة ولا عايز حاجة تانية؟

- ولا حاجة سعادتك، لسه شارب.

طلب عاصم لنفسه فنجانًا من القهوة السادة، ثم نظر متسائلًا إلى ملف في يد خالد:

- ملف دينا؟

- أيوه سعادتك، دينا وجاسر.

صمت عاصم حاثًّا خالد على أن يتحدث.

- والله سعادتك إحنا تقريبًا ما لقيناش حاجة. دينا دي ست عادية خالص، بتشتغل مهندسة برمجيات في شركة مالتي ناشونال بقالها سنين، كانت متجوزة ظابط وتقاعد وبقى رجل أعمال بيشتغل في الاستيراد والتصدير، واتطلقت من حوالي سنة أو أقل شوية. عندها منه ولد وبنت، لارا ١٨ سنة وعمر ٧ سنين، وطبعًا هي بنت اللوا أحمد المرعشلي. كان راجل تقيل أوي في الداخلية زي ما سعادتك عارف، وكان مرشح يبقى وزير داخلية بس اعتذر عشان بقى صحيًّا مش قادر. اشترت الشقة دي أول ما اتطلقت على طول، ووضبتها ونقلت فيها أول ما خلصت.

- وجاسر؟

- جاسر بقى سعادتك موال بصراحة! ملفه في الشرطة كبير جدًّا، مليان مصايب ومخالفات. كان ظابط لبط ووراه بلاوي كتيرة، بس مفيش حاجة سعادتك ثبتت عليه، عشان كده ما قضاش مدة طويلة، طلعوه بدري بدري سعادتك. مراته ماتت في حادثة من حوالي خمستاشر سنة، ومن ساعتها وهو عايش مع ابنه زياد لوحدهم. بيشتغل من يوم ما طلع معاش مبكر مدير أمن في شركة كده أي كلام سعادتك، وطبعًا زياد ابنه ولارا بنت دينا كانوا أصحاب في المدرسة وبيتمرنوا كمان مع بعض في النادي، واللي واضح إن دينا تقريبًا متبنية زياد من ساعة ما أمه ماتت. دينا ونهلة مامت زياد كانوا يعرفوا بعض كويس، ونهلة اشتغلت في نفس الشركة اللي اشتغلت فيها دينا فترة،

وكانوا قريبين جدًّا من بعض، وزياد بيقضي وقت طويل جدًّا في بيت دينا.

- بس كده؟ مفيش حاجة بين جاسر ودينا؟

فهم خالد على الفور تلميح عاصم، ولكنه هز رأسه نافيًا، وقال:

- محدش جاب سيرة لكده، ولا فيه أي شواهد بكده سعادتك. جاسر معروف عنه إنه نسوانجي، بس مفيش أي غبار على دينا. هو زياد بس اللي أكيد عينه من لارا ولازقلها في كل مكان.

زم عاصم شفتيه مفكرًا، يدور في عقله شيء ما عن دينا، ويشعر بأنها متورطة في الأمر بشكل ما. إلى أي مدى؟ وما علاقتها الحقيقية بجاسر؟ هذا ما سيظهر حتمًا في التحقيقات مع بقية الأطراف.

- بس فيه حاجة سعادتك برضو أعتقد ممكن تكون مهمة...

رفع عاصم حاجبيه لخالد متسائلًا، فأكمل الأخير:

- جاسر كان صديق مقرب جدًّا لوائل العدل!

النادي

صيف ٢٠١٠

- أووووه! حلوة أوي! برافو!

ارتطمت كرة التنس الصفراء بمضرب وائل العدل وقد تلقاها ببراعة، وتعالت حوله عبارات التشجيع من أصدقائه متابعي المباراة الودية اللطيفة التي انتهت لصالحه بهذه الضربة الأخيرة. صافح وائل منافسه بابتسامة وترك ملعب التنس ليسير بخطوات ثابتة إلى إحدى الطاولات المنتشرة في النادي. اتخذ مقعدًا وحيدًا ثم طلب فنجانًا من القهوة وهو يشعل سيجارًا ضخمًا اعتاد أن يدخنه. طافت عيناه شاردتين في ردهات النادي ورواده. معظم الوجوه مألوفة له، فهو من رواد هذا النادي الراقي منذ أن كان طفلًا. اعتدل قليلًا للأمام ودقق النظر بعد أن لمح نانسي الرحمي وهي تخرج من صالة النادي الصحي الخاص بالأعضاء. همَّ أن يذهب إليها لكنه آثر ألا يفعل، خصوصًا أنها مرت من أمامه من دون أن تحييه؛ لا تريد أن تتحدث معه إذن على الملأ. تابعها بعينيه من بعيد، وتفحص بعناية كل جزء

في جسدها الرشيق بينما لا يزال يدخن سيجاره الفاخر. غابت عن عينيه في إحدى زوايا النادي فتنهد وقد تخبطت أفكاره وتناقضت مشاعره. لم تمر دقائق حتى التقطت عيناه جاسر مرتضى وهو يتقدم نهلة زوجته وزياد ابنه متجهًا إليه. اتسعت ابتسامته وهو يلقي نظرة سريعة على ساعته. لا يتأخر جاسر أبدًا، لا يحب القوانين لكنه يحب الانضباط. انتصب واقفًا ليحتضنه بترحيب حقيقي، فقد كان يكنُّ له كثيرًا من المشاعر الصادقة، ثم حيا نهلة بنظرة وابتسامة خفيفة، وبادلته التحية بالطريقة نفسها وإن زمَّت شفتيها بشبه ابتسامة. التقت عيناها بعينَي جاسر لثوانٍ ثم أشاحت بوجهها وقالت وقد احتضنت كفها كف زياد:

- أسيبكم براحتكم وأروح أنا ألاعب زياد شوية في الـ«playing area».

- دينا جيالك؟

قالها جاسر متسائلًا في حين ظل وائل صامتًا وعلى شفتيه نفس الابتسامة الخفيفة التي لم يخفَ على نهلة مغزاها. قالت وهي تتحرك بزياد في اتجاه صالة الألعاب:

- أه، قالت أصلًا إنها جت من شوية.

- طيب يا حبيبتي، enjoy.

هزت رأسها وأولته ظهرها وسارت مبتعدة، وسار زياد بجوارها بنفس الخطوات. اعتلت وجه جاسر لمحة من الحزن. ينقبض قلبه رغمًا عنه كلما سارت مبتعدة، تراوده الهواجس أنها ستتركه، ستستيقظ يومًا مدركة أنها أطهر وأنقى من أن تظل زوجة له،

ستعلم أنها ربما أخطأت في اختيارها وتصطحب زياد ولن يراها مرة أخرى. يتعجب من مشاعره تجاهها دائمًا، فقد كان قويًّا صلبًا قبل أن يعرفها.

- إيه يا ابني هتفضل سرحان فيها كده كتير؟ مش خلاص بقى جو النحنحة ده؟ بقالكم ييجي أربع ولا خمس سنين متجوزين!

التفت إليه جاسر كأنه أدرك الآن فقط أن وائل لا يزال بجواره. تنهد واتخذ مقعدًا مع صديقه وقال بصوت أراده رجوليًّا قويًّا:

- لا نحنحة ولا حاجة، باتطمن بس على الولد.

- على الولد برضو؟!

قالها وائل ساخرًا وإن ظلت مشاعره متفهمة لما يشعر به جاسر. لم يكن هو الآخر بعيدًا عن الحب، وإن تعددت علاقاته، ولكن حب امرأة واحدة تملك كيانه شيء مختلف، يعلمه وائل بالتأكيد، وإن لم يمتلك شجاعة جاسر في ملاحقته.

- سيبك منهم بقى وخلينا في المهم، إنت خلصت موضوعك خلاص؟

التفت وائل يمينًا ويسارًا ببطء كأنه يتأكد من أن أحدًا لن يسترق السمع إلى هذه المحادثة، ثم قال بصوت خفيض:

- لأ لسه، محتاج مساعدتك يا جاسر.

هز جاسر رأسه من دون أن ينطق كأنه يقول اعتمد عليَّ وسينتهي هذا الأمر بسلام. لانت ملامح وائل المتوترة وأخرج سيجارًا وأعطاه لجاسر الذي أرخى ظهره على المقعد وراح يدخنه. لم يتبادلا الكثير من الكلمات، ولكن الوقت مضى عليهما بأنس لا تخطئه عين، ثم

مرت نانسي مرة أخرى فانتبه جاسر للحظات. حيَّته بابتسامة واسعة ثم أكملت طريقها، فضحك وائل بصوت مرتفع وقال:

- يا ابني إنت مش كنت لسه بتنحنح لمراتك؟!

- ما تبس يا وائل بقى وخليك في حالك!

- حالي إيه بس يا ابني؟! يموت الزمار... وبعدين خد بالك إن نانسي غارزة معايا في الموضوع إياه.

عقد جاسر حاجبيه وحدق في وائل وقال بجدية:

- إزاي؟! وهي إيه دخلها أصلًا؟!

- إزاي بقى؟! مش جوزها هو اللي كان ممول الصفقة؟!

- طيب ما هو جوزها اللي هيلبس لو حصل حاجة، مش هي.

انحنى وائل إلى الأمام وقال بصوت خفيض:

- لأ، ما هو جوزها أصلًا ما يعرفش!

اتسعت عينا جاسر الذي فهم على الفور ما يعنيه صديقه، وأخذ نفسًا عميقًا من السيجار المستقر بين شفتيه، ثم هز رأسه قائلًا:

- كده الدنيا عايزة تتظبط بشكل مختلف!

- إنت قدها وقدود بقى يا جاسر.

- إنت ما بيجيش من وراك إلا المصايب!

زوى وائل شفتيه بابتسامة ساخرة، فقد كان جاسر محقًّا فيما يقوله، ينخرط في مصيبة ما فيهرع إلى جاسر فينزلق كلاهما بسرعة البرق إلى الهاوية.

- اقطم يا جاسر! مراتك ودينا داخلين علينا!

رفع جاسر عينيه واتسعت ابتسامته وهو ينظر إلى زياد الذي ركض

إليه مسرعًا ومن ورائه لارا ابنة دينا المرعشلي. ارتمى كلاهما بين ذراعيه فاحتضنهما بحنان حقيقي. وقف وائل لتحية دينا وقال لها بابتسامة جذابة:

- إزيك يا دينا؟ مختفية بقالك كتير. Long time no see.

- مشغولة شوية. You know how things are.

جاء الرد من نهلة التي لاحقتهم وقد أطالت النظر إلى عينَي وائل بنظرة بدت لجاسر أنها نظرة تحدٍّ. لم يفهم بالضبط ما وراء هذا الأسلوب. يعلم أن نهلة لا تحب وائل أبدًا، ويتفهم مخاوفها جيدًا، ولا ينكر أنها محقة في كثير من الأحيان، ولكنه لن يخسر أقرب أصدقائه إرضاءً لها مهما بلغت محبتها. اصطبغ وجه دينا بحمرة خفيفة وتمتمت لوائل بكلمات ليست مفهومة تمامًا. التمعت في عينيه ابتسامة تسلية كمن يشاهد مشهدًا كوميديًّا في فيلم أطفال، وإن ظلت نهلة متحفزة وجاسر لا يمتلك أدنى فكرة عما يحدث بالضبط، ولكنه قال ليخرج الفيل الذي ملأ المكان:

- إيه اللي معاك ده يا زيزو؟

- دي شنطة لارا.

- طيب وإنت شايلها ليه؟

- عشان إيديها جوعاها.

- إيديها جوعاها!

دوت ضحكات الجميع على صوته الطفولي وحروفه المختلطة وهو يعبر عن شهامته مع صديقته الصغيرة التي كانت تصغره بسنة وشهرين تقريبًا، في حين جاء صوت نانسي التي بدا أنها ظهرت فجأة من خلفهم:

- شهم زي أبوك يا زيزو!

أجفلت نهلة وتغير وجهها تمامًا، وامتقع وجه جاسر الذي تراجع خطوة إلى الوراء بشكل لاإرادي، فتدخل وائل الذي يعلم يقينًا وقع وجود نانسي بالقرب من عائلة جاسر، وقال وهو يتحرك في اتجاهها:

- إنتِ مش كان عندك ماتش يا ناني؟ أنا جاي أتفرج، يلَّا بينا.

ظلت متخشبة لا تتحرك وقد التقت عيناها بعينَي نهلة في نظرة طويلة معبرة، في حين ظل جاسر يقلِّب نظره بينهما في توتر، إلى أن قالت نانسي أخيرًا وهي تتحرك مع وائل:

- أه عندي ماتش، ومحتاجة أستعد، عشان الروند دي أنا اللي هاكسب أكيد!

telegram @
yasmeenbook

دينا المرعشلي

في البيت الآن

- دينا جت الحمد لله.

- ماما.

ركض عمر إلى حضن دينا التي وقفت على باب بيت والديها في إعياء شديد. وضعت ذراعها على ظهره في حضن تحتاج إليه أكثر مما يحتاج إليه هو. كانت والدتها تقف بجوار الباب وقد اعترى القلق وجهها. في نهاية الردهة وقفت لارا بجوار باب غرفة والدتها القديمة حين كانت صغيرة. التقت عينا لارا بعينَي دينا في نظرة طويلة.

- سيبها تدخل وترتاح يا عمريكو يا حبيبي، دي ما نامتش من إمبارح. ادخلي يا حبيبتي خدي دش وأنا هاعملك حاجة تاكليها.

هزت رأسها لوالدتها بامتنان، وربتت على ظهر عمر في حنان، وتحركت إلى حيث غرفتها القديمة. أفرجت عنها النيابة بضمان محل إقامتها، وتدخَّل نفوذ والدها لينهي الأمر عند هذا الحد، على الأقل

حتى الآن. حمدت ربها أنه امتلك هذا القدر من النفوذ، فلم تكن لتقوى على ليلة أخرى كالتي قضتها البارحة. لم تكن التحقيقات المبدئية تناقض قصتها، فقد كان رضا في شقتها بالفعل، والكهرباء مقطوعة بسبب عطل في أحد المولدات التابعة للكومباوند. وُجد سلاح ناري بجواره، فلم تكذب حين قالت إنه كان يحمل سلاحًا في يده، فمن يمكنه أن يلومها في لحظة خروج رجل في الظلام والمطر ينهمر بينما يحمل في يده سلاحًا ناريًّا. لم تقتله عمدًا، وإن فعلت لكانت خرجت من الحبس أيضًا، فقط جثة جاسر هي ما عقَّد الأمور وجعل لهذه القضية ذيلًا لا تدري متى سينقطع، ولكن الجميع أكد أن دينا كانت في مكان مختلف في الوقت الذي حدده الطب الشرعي للحظة موت جاسر التي كانت قبل ساعتين على الأقل من وجود دينا أمام المنزل. حتمًا لم تقتله، ما الذي جعل شقتها النائية مسرح جريمة لم يُعرف سببها إلى الآن؟ لا أحد يدري، ولكنها متأكدة أن هذا الضابط عاصم لن يترك الأمر أبدًا من دون أن يعرف ما حدث بالفعل.

أرادت أن تتناسى كل شيء الآن وتغتسل وتغمض عينيها، متمنية أن يكون مجرد كابوس سيأتي الصباح فتنساه. أغلقت باب الحمَّام، ونزعت عنها ثيابها لتنهمر المياه الدافئة على شعرها الذي كان في حالة يُرثى لها. جلست على أرض المغطس ثم أجهشت بالبكاء وقد وضعت كلتا يديها على الأرض بجوارها. ظلت رغمًا عنها تتذكر صوت ارتطام رضا بسيارتها، الرعب الذي اعتراها، عينَي رضا اللتين خبا بريقهما وهما تحدقان في السماء، والدماء التي

تناثرت على حائط البناية، ثم جاءها طيف جاسر، جاسر مرتضى. لم ترَ جثته، فقط الصورة التي وضعها أمامها ضابط الشرطة، ولكن ابتسامته التي دائمًا تُظهر غمازتين لاحقتها، شعره الأسود، عضلات ذراعيه، رائحة جسده التي كانت دائمًا ما تتسلل إلى أنفها كلما وقفت بجواره... يصعب عليها تصديق أنه لم يعد هنا. لن تستطيع أن تتصل به أو تطلب منه المساعدة. ماذا سيفعل زياد الآن وقد فقد كلا والديه؟ تركت مشاعر الحزن والغضب والخوف تخرج فترتطم وتختلط بقطرات المياه المنهمرة على رأسها، لعلها بعد ذلك تستطيع أن تجد المخرج من هذه الأحداث العجيبة وتتجاهل أنها أصبحت قاتلة!

- دينا، أنا عملتلك أكل يا حبيبتي وحطيتهولك جنب السرير.

لم ترد، وأغلقت المياه ثم استندت إلى الحائط لتقف مرة أخرى على قدميها، وخرجت من المغطس بعد أن غطت جسدها بالمنشفة. وقفت لثوانٍ تنظر إلى وجهها في مرآة الحمَّام بعد أن مسحت بيدها البخار الذي تراكم عليها مانعًا الرؤية. هزت رأسها لنفسها وقالت بصوت لم يسمعه سواها: «you have got this يا دينا. ما تخافيش».

ابتسمت بسخرية لنفسها وهي تتذكر صوت عبد المنعم مدبولي في أحد إفيهات الأفلام المصرية الشهيرة: «أنا مش قصير أزعة، أنا طويل وأهبل». ربما إن كررتها عدة مرات فستتغير حالها وتصبح المرأة الحديدية، سترونج إندبندنت وُمان كما يقول الجميع. ارتدت منامتها واندست في الفراش ووضعت بعضًا من الطعام في فمها

بشرود. طرق عمر الباب فدعته للدخول، فدلف إلى الغرفة واندس في الفراش بجوارها بلا أي كلمة، ومن ورائه وقفت لارا باستحياء على باب الغرفة، فرفعت دينا عينيها إليها وأشارت إليها أن تأتي، دفنت لارا وجهها في حضن دينا وانتحبت. كانت أطول من أن تندس بكامل جسدها بين ذراعَي دينا، ولكن دينا وقفت منتصبة لتحتضنها بالكامل في حين ظل عمر في الفراش ينظر بتأثر. أصبحت هذه عائلتهم الآن، لارا ودينا وعمر. مرت الشهور الماضية بكثير من المشاعر وعبارات الغضب والاتهامات، ولكن ثواني من تخيُّل أنهما فقدا دينا نفسها جعلت وجودها ثمينًا يحتاج إلى الامتنان بالتأكيد. همست لارا في أذن دينا بصوت لم يصل إلى أذن عمر:

- أونكل جاسر مات فعلًا؟

أعادت دينا رأسها إلى الوراء لتلتقي عيناها بعينَي لارا، ثم انهمرت الدموع من كلتيهما في اللحظة نفسها. لم يحرك عمر رأسه، لم يفهم ما يحدث بالضبط، فقط علم أن أمرًا جللًا تمر به أسرته. لم تتقبل لارا بسهولة فكرة موت جاسر، وليس لديها تخيل عن مشاعر زياد. لعب جاسر دائمًا دور الأب الصديق في حياتها. لم تتمكن قَطُّ من الحديث مع والدها في أمور كثيرة، وظلت أذن جاسر تسمعها باستمرار. يشق عليها أن تتخيل أنه لم يعد موجودًا الآن. مسحت دينا بأطراف أصابعها دموع لارا التي كانت تنهمر بغزارة، ثم قالت بصوت أرادته أن يكون مطمئنًا:

- أيًّا كان اللي هيحصل إحنا هنعرف نعدي يا حبيبتي، ما تخافيش!

- يا ولاد سيبوا مامتكم بقى ترتاح.

- حاضر يا نانا.

قالتها لارا، وهز عمر رأسه، ثم تركا الفراش وخرجا من الغرفة، بعد أن جاء صوت والدة دينا يدعوهما لتركها كي ترتاح قليلًا. ودعت لارا عينَي أمها بنظرات بها كثير من التأثر. فكرت دينا: ستفعل أي شيء من أجل أولادك، قد تُغيِّر مسار حياتك، قد تُلقي بنفسك في الجحيم مقابل حمايتهم! أغلقت الستائر والأنوار ليعم الظلام الغرفة، ولتضع كل شيء خلفها الآن وتغرق في نوم عميق. مرت بضع ساعات وقد تصارعت أحلامها بوجوه خائفة وذكريات أليمة. علا أزيز هاتفها المحمول فتداخل مع نسيج أحلامها، فلم تستيقظ في البداية، ولكن وقع أقدام لارا التي دلفت إلى الغرفة لتُصمِت الهاتف أيقظها. فتحت عينيها بصعوبة واستطاعت أن ترى خيال لارا يقف بجوار الفراش.

- فيه حاجة يا لارا؟

- لأ يا ماما، كنت هاقفل التلفون عشان ما تصحيش.

ابتسمت ابتسامة حانية لم ترها ابنتها من شدة ظلام الغرفة بعدما خبا ضوء الهاتف، ثم قالت:

- هو مين أصلًا اللي بيتصل؟

- مفيش حد بيتصل، بس في notification عمالة تيجي.

- طيب يا حبيبتي سيبيهولي واطلعي.

هزت لارا رأسها وخرجت من الغرفة بهدوء، في حين التقطت دينا نظارتها الطبية وألقت نظرة على شاشة الهاتف بعينين متفحصتين. لم تفهم ما كُتب للوهلة الأولى، ثم نقرت بأصابعها على الشاشة لتقرأ

ما كُتب. ظلت ثواني صامتة، لم تعِ الأمر بعدُ، ثم اعتدلت وضغطت على بعض الأزرار مرة أخرى لتشهق بصوت مسموع ثم تضرب برأسها ظهر الفراش بقوة وهي تغمض عينيها بشدة، فقد ظنت أن الأمر قد انتهى، إلا أنه يبدو على وشك البدء!

نانسي الرحمي

عدة أشهر قبل الحادث

وقفت نانسي منتصبة وهي تضم يديها على فنجان من القهوة الأمريكية التي خلت من اللبن والسكر، سوداء تمامًا كحياتها. تخشَّب ظهرها قليلًا وشعرت بألم في كل جزء من أجزاء جسدها. وقفت في مواجهة زجاج شرفتها الذي امتدت وراءه حديقة فيلَّتها. هل يعقل أن تمتلك الدنيا بحذافيرها وتظل حزينًا وحيدًا إلى هذا الحد؟ هل الأرض التي تقف عليها اهتزت بما يحدث الآن؟ مر على حياتها كثير من الزلازل ولم تهتز داخليًّا قَطُّ. لا، إنها الآن تشعر بأنها لا تقف على الأرض أساسًا، لم تركض وراء أحلامها أو تبذل أي جهد للحصول على أي شيء، بل أتتها الدنيا على طبق من ذهب وليس من فضة: جمال رباني رهيب، وعائلة قوية ثرية، ورجال تهافتوا عليها، ولكن زواجها تم بصفقة أُبرمت في عدة أيام، والحب؟

تنهدت وهي تتابع هدهدًا صغيرًا على طرف حديقتها، ينقر بمنقاره ويتحرك على قدميه الصغيرتين. الحب للضعفاء، هكذا شعرت دائمًا،

الحب لمن لا تمتلك جمالها أو سلطتها، أما هي فلديها ما هو أهم من الحب، لديها الماس. أزاحت خصلات شعرها الأشقر وهي ترتشف رشفة من القهوة المُرة. زمَّت شفتيها وانعقد حاجباها في ضيق. تمنت لو أنها وضعت بعض قطرات اللبن في الفنجان فيتغير المرار الذي تحسه في فمها، ولكنها علمت يقينًا أنها لن تفعل.

.Good morning, Madam. Someone is here for you –

التفتت نانسي إلى خادمتها، أو بالأحرى مدبرة منزلها، التي وقفت بالقرب منها تخبرها أن شخصًا ما يريدها بالأسفل. أشارت إليها برأسها وهي تنظر إلى شاشة هاتفها المحمول تتفقد الوقت. جاء إذن في موعده بالضبط. زفرت ثم وضعت نظارتها الشمسية على عينيها، فهي لا تحب أن تجلس في شمس الحديقة وعيناها في مواجهة الشمس، لأنها تعلم ما تفعله أشعة الشمس بملامحها، خصوصًا بجوار عينيها. نزلت الدَّرج بثبات وخيلاء يليقان بها تمامًا، ثم نظرت إلى مدبرة منزلها التي أشارت إلى مكانه في الحديقة. تأملته من بعيد. بدا كما توقعته، لم يُخيِّب ظنها في أي شيء حتى ثيابه. أعطتها فنجان القهوة الفارغ وأمرتها أن تصنع لها فنجانًا آخر. دلفت إلى الحديقة فانتفض واقفًا منتظرًا إياها حتى تتخذ مقعدها في مواجهته. مد يده إليها ليصافحها، فحيَّته برأسها تحية باردة، فأعاد يده مُحرجًا، ثم جلس بعد أن جلست. تأملها بعينين مبهورتين. لا يكاد يصدق أن هذه السيدة مكتملة الأنوثة هي والدة شاب على أعتاب الرجولة كفارس. التمع شعرها بانعكاس الشمس عليه وبدا كخيوط من الذهب اللامع، وتلونت شفتاها بلون لم يدرِ كنهه وإن

مال إلى الأحمر الداكن، وإن لم يكن أحمر بحقٍّ، وقد تحددت به شفتاها الممتلئتان. تسللت عيناه إلى جسمها فكاد يشهق وهو يرى مفاتنها التي ظهرت بوضوح من وراء ثوبها الشفاف الذي ارتدته بلا أي اعتبار لجلوسها معه. لم تخفَ عليها عيناه قَطُّ، كما لم تخفَ عليها أعين الرجال أجمعين تقريبًا. الرجال كالأطفال، يسيل لعابهم على الحلوى مهما اختلفت أعمارهم أو وجهاتهم. اعتدلت وقالت بلهجة حازمة قوية:

- جبتلي التفاصيل التي طلبتها منك؟

- أيوه حضرتك، اتفضلي.

مد يده ببروشور أنيق ملون، فالتقطته واجمة. بدت الصور عليه مبهجة كقفص ذهبي تُسجَن فيه الطيور. شعرت بتوتر شديد: هل تقوى حقًّا على هذه الخطوة؟ هل ستجرؤ على فعلٍ بهذه القسوة؟ التمعت الدموع في عينيها رغمًا عنها وتمنت ألا يرى هذه الدموع. أزاحت بطرف إصبعها دمعة قبل أن تتسلل متخطية إطار نظارتها الشمسية. ظل ينظر إليها متسائلًا منتظرًا ردها على التفاصيل التي قدمها إليها، وهل يبدأ في تحضير الخطوة التالية، في حين تساءلت هي في صمت: ما الحب الحقيقي إذن إن لم يُغلَّف بالقسوة والحزم في لحظات الاحتياج؟ همَّت بأن تقول شيئًا ما، ولكن صوت هاتفها المحمول قاطعها. نظرت إلى اسم المتصل على الشاشة وتنهدت، ثم قامت من مكانها غير عابئة به. سارت مبتعدة حتى لا يتمكن من سماع محدثها، وإن أرهف هو السمع ليسمع من دون أي سبب معين. قالت بصوت خفيض تناهى بصعوبة إلى مسامعه:

- آه جه.

صمتت وهي تستمع إلى محدثها على الطرف الآخر، ثم قالت بعد بضع ثوانٍ:

- إنت متأكد؟ مفيش حل تاني؟

صمتت مرة أخرى تستمع إلى محدثها وقد استنشقت نفسًا عميقًا ملأت به رئتيها، لعلها تستطيع أن تتنفس بشكل طبيعي.

- حاضر.

اعتدل الرجل سريعًا في مكانه بعدما تبين أن صوت خطواتها يقترب. دلفت إلى الحديقة مرة أخرى ونظرت إليه وقالت:

- أنا موافقة. قُلي تفاصيل الـ«next step».

العزاء

الآن

تأنق عاصم في بدلة رمادية اللون وقميص أبيض سادة، وتعمَّد ألا يضع رابطة عنق لتظهر سلسلة معدنية كبيرة الحلقات حول عنقه. بدا كالعادة رجل أعمال وسيمًا أكثر منه ضابط شرطة محنكًا. كان يهوى التأنق، وساعده أنه لم يكن يعتمد على راتبه من الشرطة، بل على ما ورثه من والده الذي كان رجل أعمال بحقٍّ. أبى تمامًا أن يتبع خطواته، وترك عن طيب خاطر إدارة أعمال والده لأخيه الأكبر، وأصر بعد صدام بسيط مع والده على دخول كلية الشرطة. كان يعشق عمل الشرطة، خصوصًا أعمال المباحث والتحقيقات. يسري في دمه الأدرينالين منتشيًا إذا استطاع حل إحدى القضايا المعقدة. لا ينكر أنه قلما وقعت في طريقه قضية تحتاج إلى البحث والتفكير، عادةً ما تكون قضايا بسيطة ودوافعها واضحة وضوح الشمس، ولكن في بعض الأحيان تطرق بابه قضية تثير حماسه وتوقظ حنكة ضابط المباحث القابع بداخله. وقد كانت بلا شك قضية قتل رضا السيد وجاسر مرتضى من نوعية هذه القضايا.

مرت عدة أيام ولم يظهر شيء جديد يساعد في حل هذه القضية العجيبة. بالطبع أُخلي سبيل دينا المرعشلي ولن تواجه في الغالب أي حكم قضائي عن قتلها لرضا الذي كان في شقتها بلا وجه حق، والظلام والمطر أيضًا كانا في صالح قصتها، ولا يوجد أي دليل دامغ على أن رضا لم يقتل جاسر بنفسه، وإن ظلت الشواهد متناقضة، فالسلاح الناري الذي وُجد بجوار جثة رضا كان سلاح جاسر ومرخصًا باسمه منذ أن كان ضابطًا في الشرطة. جاء تقرير الطب الشرعي محملًا ببعض الغموض. كان جاسر قد فقد كثيرًا من دمائه إثر جرح غائر في رأسه، ولكنه تُوفي إثر انقطاع الهواء عن رئتيه، فإن كان قاتله رضا فلماذا لم يطلق عليه النار وينتهي الأمر؟

العجيب كذلك أن الطاولة الزجاجية التي تتوسط غرفة المعيشة المحطمة هي فقط أثر العراك الوحيد. لا، هناك من هوى على رأس جاسر بشيء حاد متعمدًا قتله، أو بالأحرى متعمدًا إزاحته من الطريق، فلم يكن جرح كهذا ليقتله، والواضح كذلك أن الجرح نفسه قد جاء مصادفةً، فهو فقط ارتطم بالطاولة إثر سقوطه.

كذلك جاء في التقرير آثار بعض التشوهات والكسور القديمة في قدم جاسر اليسرى، وكذلك عُثر على مسامير مثبتة في ذراعيه وساقه الأخرى. يؤكد التقرير أن هذه الآثار بسبب حادث قديم في الغالب. سبب الوفاة هو الخنق، وهو يتناقض بشكل أو بآخر مع العراك البسيط، ثم السر الأكبر: ما الذي يجمع بين رضا وجاسر في شقة دينا المرعشلي؟ كلها أسئلة لم يجد لها إجابة بعدُ.

امتلأت حياة جاسر بالمعارك غير الأخلاقية، فله بكل تأكيد أعداء

قد يتربصون به، حيث تورط في أعمال كثيرة مختلفة: إخفاء أدلة، ودس أدلة غير حقيقية في بعض التحقيقات، وأعمال عنف وتعذيب وقسوة لعدد من المتهمين، وقضاء الليالي مع نساء وعاهرات، ولم يسلم ملف خدمته في الداخلية من أي مخالفة تقريبًا. تعجب عاصم بشدة حين قرأ الملف: لماذا لم يُزج به إلى السجن؟ ولكن الحق أنه لم تثبت عليه تهمة قَطُّ، فقط ظل الدخان يحوم حول نار لم يرها أحد بعينيه. في حين خلا ملف رضا من أي شيء تقريبًا. شاب صعيدي يتيم، محدود الذكاء، يعمل في متجر للهواتف والحواسيب المحمولة، ولكنه قطع مسافة كبيرة إلى كومباوند ناءٍ، في الغالب لا يستطيع نطق اسمه، ثم شقة دينا المرعشلي.

دوى صوت خالد في عقله مذكرًا إياه بأن جاسر مرتضى صديق مقرب لوائل العدل. قصة أخرى وبُعد آخر لمقتل جاسر. فوائل رجل أعمال معروف وله نفوذ عظيم، حامت حوله شبهات عديدة منذ عدة سنوات، بل تناولت الصحف والقنوات الفضائية أجزاء من قصة تورطه وتورط شركته في أعمال فساد تجمع بينه وبين مسؤولين في الدولة، ثم هدأ كل شيء فجأة، خيم الصمت على القضية كأن لم تكن، لم تُوجَّه له أو لغيره أي اتهامات بشكل رسمي، ثم علا صخب شديد حوله وحول شركته وتصاعد مرة أخرى منذ عدة أشهر، ولكن العجيب أنه أيضًا ظل دخانًا لم يرَ ناره أحد!

شعر بأنه ربما تكون لجاسر يد في إخماد هذه النار. هل لهذا علاقة بقتل جاسر في بيت دينا؟ يزعجه بشدة مكان الجريمة أكثر من الجريمة نفسها. ظل يشعر بأن هناك شيئًا وراء الأمر، بل يكاد يجزم أن هذه

القضية كلها تحوم حول شقة دينا ودينا نفسها، وإن ظلت الشواهد تقول إنها كانت في المكان الخطأ في الوقت الخطأ. كان اليوم هو عزاء جاسر الرسمي. تقيم عائلته مراسم للعزاء في إحدى قاعات أحد المساجد القريبة. لم يكن له كثير من الأقارب الأحياء، فقط عم مُسن، وتناثرت بقية أسرته بين غربة وموت، ولكن سيقام عزاء اليوم، وقد قرر عاصم أن يذهب إلى العزاء، فلا شك أن الجلوس في صمت وتفحص الوجوه التي ارتسم عليها حزن مصطنع سينسجان قصة في ذهنه عن جاسر. أراد أن يرى ابنه زياد، وتمنى كذلك لو يرى وائل العدل.

ألقى نظرة أخيرة على نفسه في المرآة، ثم قاد سيارته بصمت وشرود حتى وصل إلى قاعة العزاء، ووقف بسيارته جالسًا على مقعده. أشعل سيجارة وهو ينظر من مسافة بعيدة نسبيًّا إلى باب القاعة التي انقسمت إلى قاعتين: إحداهما للرجال والأخرى للنساء. استطاع أن يرى بلا جهد دينا المرعشلي تجلس على أحد المقاعد بجانب الباب مباشرة. تبدو حزينة بلا شك، تجلس بجوارها فتاة شديدة الجمال، لا تخطئ عيناك الشبه بينهما. نفث دخان سيجارته وهو يتأمل ملامح لارا. بدت حزينة كذلك، بل بدت شديدة الحزن والتأثر. يعلم أن زياد صديق مقرب لها، فهل هذا سبب تأثرها، أم أن شيئًا آخر يعتمل في نفس هذه الفتاة الجميلة؟

نقل بصره إلى قاعة الرجال، ورأى زياد وقد انتصب واقفًا أمام الباب لتلقي عزاء والده. وسيم، رياضي، مفعم بالرجولة، يرتدي بدلة رمادية أنيقة، وقد انتفخت عيناه اللتان توارتا قليلًا وراء نظارته

الطبية، وارتسم على ملامحه مزيج غريب من المشاعر لم يستطع عاصم من مكانه أن يتبين كنهه. لم يتحدث مع زياد بما يكفي، فقد كان منهارًا لا يقوى على الحديث في بداية التحقيقات منذ عدة أيام. أشفق عليه عاصم، فقد أصبح يتيم الأبوين وهو لا يزال في الثامنة عشرة من عمره. غادر عاصم سيارته واتجه إلى مدخل قاعة العزاء، ولكنه توقف للحظات يتأمل إحدى النساء التي توجهت إلى القاعة. التهمها بعينيه وقد بدت كعارضات الأزياء؛ ثوب أسود قصير شديد الضيق يُظهر من جسدها أكثر مما يُخفي. أخبره حدسه بأنها مهمة للقضية. قال لنفسه بتمتمة ساخرة: «مهمة للقضية ولَّا لحاجة تانية يا عاصم باشا؟ ما تتلم بقى!». ولكن عينيه تابعتا شابًّا أقرب إلى عمر زياد يسير بجوارها ثم يتركها عند الباب حيث مفترق قاعة النساء وقاعة الرجال، ثم يقف ليحتضن زياد بحرارة. ورأى عاصم من حيث وقف دموعًا تنسل بصمت من عينَي زياد، أطلق لها العنان في كنف صديقه. زم شفتيه وهو يفكر في أن هذا بالتأكيد صديق مقرب لزياد، وبالتبعية للارا.

- البقاء لله يا زياد. شد حيلك!

شد عاصم على يد زياد الذي لم يتذكره للوهلة الأولى، ثم تذكَّر فاقشعرت ملامحه قليلًا، ولكنه لم يقل شيئًا محددًا، فقط تمتم بكلمات لم تظهر حروفها بشكل واضح، فهز عاصم رأسه بتفهم واتخذ مقعدًا بجوار الصديق الذي جلس صامتًا. مد عاصم يده إليه وقال:

- العقيد عاصم الحسيني.

أجفل الشاب قليلًا، فلم يكن يتوقع أن يتعرف على أحد في العزاء، فما بالك بضابط شرطة! ولكنه مد يده مصافحًا وقال بصوت منخفض يتناسب مع صوت القرآن الذي ينساب من ورائهم:

- فارس.

- صاحب زياد، مش كده؟

أومأ برأسه ونظر أمامه وكأنه ينهي الحوار، فتجاهل عاصم ما فعله وأكمل حديثه معه متعمدًا:

- تعرف لارا برضو؟

التفت إليه فارس وقد اعتلى وجهه الضيق، ثم هز رأسه بـ«نعم» من دون أن ينطق. ظل عاصم في مكانه يتابع بصمت كل من يدخل ويخرج من قاعة العزاء، وإن ظل ينظر إلى فارس بطرف عينه. لحظات ودخل رجل طويل القامة بشكل ملحوظ. عرفه عاصم على الفور، إنه وائل العدل. احتضن زياد لدقائق طويلة. استطاع عاصم أن يسمع صوت نحيب زياد بين ذراعَي صديق والده. اغرورقت عيناه هو الآخر بالدموع، ومرت هذه اللحظات المؤثرة ليربت كلٌّ منهما على ظهر الآخر، ويدلف وائل إلى الداخل ويظل زياد واقفًا مكانه. حيًّا وائل فارس برأسه وجلس بجواره شاردًا، وإن بدا حزينًا بحق. لم يرَ عاصم أي شيء غريب أو مثير للانتباه.

انتهى الشيخ من قراءة القرآن في حين كان أذان العشاء يرتفع من داخل المسجد، فقام عاصم وحيًّا الجميع بإيماءة صغيرة من رأسه. خطا خارج القاعة وأشعل سيجارة وأطال النظر إلى الأبواب التي وقف حولها الناس. انتبهت عيناه إلى نانسي مرة أخرى، وقد سارت

بجوار فارس إلى سيارتها السوداء الفارهة. توقفت هي لثوانٍ لتتحدث مع وائل العدل، في حين اتخذ فارس مكانه في سيارتها. لم تظهر ملامحهما بوضوح من حيث وقف، ولكن عينيه الخبيرتين التقطتا يده وهي تربت على كتفها بحميمية. تأمل لغة جسديهما. ظهر التوتر في وقفتها في حين ظهر الإصرار والحزم في وقفته، وإن ظلت لمسته فيها شيء من الخصوصية. نفث عاصم دخان سيجارته وتابعها وهي تمضي بسيارتها عكس الاتجاه الذي وقف هو فيه. التقط بحنكة رقم سيارتها، فهو يكاد يكون متأكدًا أنها ضلع في هذه القضية بشكل ما. تابع أيضًا وائل الذي ظل في موضعه حتى اختفت سيارة نانسي. تنهد عاصم وأخرج من فمه دخان سيجارته المحبوس، ثم أعطى ظهره للمسجد وهو يفكر في أن هذه القضية لن تكون سهلة، ثم ضغط على أزرار هاتفه المحمول وأرسل إلى خالد رقم السيارة وكتب:

هاتلي قرار صاحبة العربية دي!

وائل العدل

عدة أشهر قبل الحادث

ركض وائل وقد غطى عينيه بنظارة شمسية فخمة. استمع إلى وقع نغمات أتته من سماعات الأذن التي كانت أيضًا عصرية حديثة. تعالت أنفاسه وتسارعت ضربات قلبه. لم يلتفت إلى شيء سوى الطريق أمامه، بل في الحقيقة هو لا يرى الطريق أمامه، إنما يرى شريط حياته كلها يركض بجواره. اعتاد الركض كل صباح منذ أن كان في العشرين من عمره. الاستيقاظ مبكرًا وممارسة الرياضة بانتظام من شيم الناجحين السعداء. هذا ما غُرس فيه منذ صغره. لا ينكر أبدًا أنه يجد متعة بالغة في هذا الفعل: تضع حذاءً مريحًا في قدميك، تترك العالم كله وراء ظهرك، ثم تغطي أذنيك بما تريد أن تسمع فقط، تنعزل عن العالم في عالم منفصل لا ترى فيه سوى خطواتك الثابتة، يختلط صوت أنفاسك مع صوت الأغاني التي تعبِّر عن ذوقك ورؤيتك اليوم. لو يستطيع أن يركض إلى نهاية العالم! تمنى أن تتوقف محطات حياته العاثرة من اللحاق به بهذه السرعة

الغريبة. اليوم لا يركض في النادي كما تعوَّد طوال عمره، إنما انتقى مكانًا بعيدًا عن الأعين، قاد سيارته إليه ثم وضعها في مكان آمن بمحاذاة الشارع، ثم أطلق لساقيه العنان.

في الثانية والخمسين من عمره، لكنه منتصب الظهر، شديد القوة. حافظ بمهارة على صحته وجسده، ولكنه لم يستطع أن يحافظ على ثروته وميراث والده. مجموعة من القرارات المالية الخاطئة أنهت حياته في عالم البيزنس تمامًا. كان الأمر سيصبح بسيطًا إن انتهى عند هذا الحد، فقدَ جزءًا من ثروته وانتهى الأمر، ولكنه فقدَ مع ثروته سمعته كذلك. تناثرت الأقاويل عن أفعال غير أخلاقية في شركته. كان قد تنفس الصعداء وشكر ربه على مرور مثل هذه الزوبعة بأمان منذ سنوات بعيدة. زفر وهو يلوم نفسه على غبائه: كيف ينزلق بلا حكمة مرتين؟ ضربت عواصف الأقاويل ومحاضر الشرطة التي تدخلت برتم حياته الهادئة عرض الحائط. لم تثبت إدانته، ولكنه لم يخرج بعدُ من دائرة الخطر، وما حدث في شركته أصبح ترند على مواقع التواصل الاجتماعي. احتاج إلى أن يعتزل مناسبات اجتماعية كثيرة ليتفادى أعين الناس الفضولية وأسئلتهم الجارحة. توقف للحظات ليلتقط أنفاسه، فقد ضاق صدره فجأة بعدما ذهبت أفكاره إلى الشهور الماضية التي كانت بلا شك مثل كابوس هاجمه في لذة نوم عميق مريح.

أطلقت الساعة الرقمية التي تلتف حول معصمه أزيزًا معلنة عن وصول مكالمة هاتفية. نظر إلى الاسم الذي ظهر على شاشة الساعة، ثم آثر ألا يجيب الآن. مئات التفاصيل تداخلت الآن في حياته

وازدادت تعقيدًا، ولم يعد هو في الثلاثين من عمره. علا أزيز الساعة مرة أخرى. لن تكف إذن عن الاتصال به! التقط هاتفه من حقيبة الوسط التي يستخدمها وهو يركض عادة، ثم فتح تطبيق الواتساب وأرسل إليها رسالة:

ما تكلمنيش تاني. الموضوع خلاص خلص!

ثم ضغط بحزم على زر «block»!

خالد المصري ورضا

الآن

صف المقدم خالد المصري سيارته بمحاذاة الطريق وهو ينظر إلى لافتة «ممنوع الوقوف» التي انتصبت شامخة في المنتصف بالضبط. كان الشارع ينبض بالحياة في هذا الوقت من النهار: السيارات تتزاحم في حركة لا تهدأ، وأبواقها تتعالى بصخب يعكس توتر السائقين، ونسمات الهواء البارد حملت معها رائحة القهوة الطازجة المختلطة بدخان عوادم السيارات.

رأى على مرمى بصره المول التجاري الذي يقبع بداخله متجر الهواتف والحواسيب المحمولة الذي عمل فيه رضا السيد، القتيل الأول في هذه القضية. التقط حافظته وهاتفه المحمول، ثم وضع نظارته الشمسية على عينيه ببطء، ثم جعل بصره مثبتًا على شرطي المرور وقد تحرك نحوه بخطوات سريعة وقال بلهجة حازمة ما إن وصل إليه:

- المقدم خالد المصري، المباحث الجنائية. نازل أحقق في جريمة قتل. خلي بالك على العربية من فضلك.

- تحت أمرك يا باشا، عيوني لسعادتك.

وضع خالد يديه في جيبيه وهو يرمق الشرطي الواقف بجوار سيارته بنظرة سريعة، متأملًا كيف أن الرجل لم يطلب منه تحقيق شخصية أو إثباتًا لما قاله. مجرد حضوره وطريقته في الحديث وثقته المعتادة جعلت الشرطي يقف بجوار السيارة كحارس غير رسمي، وكأن وجوده هناك كان أمرًا بديهيًّا. ألقى عليه تحية مقتضبة قبل أن يستدير لينطلق نحو المكان الذي كان يعمل فيه رضا، القتيل.

كانت التحريات الأولية قد كشفت أن رضا شاب في منتصف العشرينيات، لم يكمل تعليمه، وعمل عاملًا بسيطًا في أحد المتاجر الصغيرة المتخصصة في إصلاح الهواتف المحمولة والحواسيب. لم يكن هناك سجل يُذكر عنه، لا في عالم الجريمة ولا حتى في مخالفات السير أو العراك مع الآخرين. بدا كأنه شاب عادي، مجرد مواطن مصري نزح من إحدى قرى الصعيد باحثًا عن لقمة العيش في القاهرة. أرسل خالد في طلب تحريات أعمق عنه وعن أسرته في بلدته الأصلية وما زال ينتظرها.

سار بخطوات ثابتة، ودلف داخل المول التجاري الضخم، واستقل السلم الكهربائي، ثم سار بضع دقائق مفكرًا أن مفتاح القضية في معرفة سر وجوده ووجود جاسر في شقة دينا. لا شك أنه جاء متلصصًا إلى بيت دينا المرعشلي، ومع ذلك لم يُعثَر بجوار جثته على أي أداة سرقة، ولم يُفقَد شيء من منزلها، فقط انتهى به الأمر تحت إطار سيارتها الحمراء. لم تكن هناك آثار لعراك قوي، لا دماء متناثرة ولا دلائل على صراع طويل، حتى مقتل جاسر كان هادئًا بشكل غير منطقي،

وكأن القاتل لم يحتج إلى بذل أي جهد، فقط بعض الزجاج المتناثر من الطاولة التي سقط عليها قبل أن يهوي جسده على الأرض بلا حراك. مهما كان ما حدث في شقة دينا فقد كان سريعًا وبسيطًا، وفي الغالب لم يكن مرتبًا.

ما استقر في قلب خالد أنه شخص ما يعرفه جاسر، يثق به، اقترب منه بلا تخوين منه، وإلا فلماذا لم يشهر سلاحه دفاعًا عن نفسه، على الرغم من أن هذا يتناقض كذلك مع كونه قد خُنق؟ وصل خالد أخيرًا إلى حيث المتجر الذي عمل فيه رضا وتأمله. كان المكان صغيرًا، يتسع بصعوبة لشخصين، ولكنه عصري نظيف، تتناثر فيه بعض الأجهزة الحديثة وأخرى قديمة، ووقف خلف الكاونتر الوحيد في المتجر شاب في مقتبل العمر يلهو على شاشة هاتفه المحمول. هذا إذن من يعمل بدلًا من رضا، هكذا فكر خالد. لم يُعِره انتباهه حين دلف إلى المتجر، بل لم يرفع عينيه عن شاشته تقريبًا. ألقى خالد نظرة سريعة عليه. بدا في أوائل العشرينيات، نحيلًا بعض الشيء، بشعر مجعد قصير وملابس خاصة بالمحل، وإن بدت غير مهندمة بعض الشيء. كان غارقًا تمامًا في هاتفه، إبهامه يتحرك بسرعة عبر الشاشة.

– المقدم خالد المصري، مباحث. إنت شغال هنا من زمان؟

انتفض الشاب ورفع عينيه عن شاشة هاتفه، ثم هز رأسه نافيًا وقال:

– لأ سعادتك، أنا شغال هنا جديد، ما بقاليش غير أسبوع حضرتك.

– اسمك إيه؟ وعندك كام سنة؟

– محمد شعبان يا باشا، وبيقولولي ميدو.

– إنت تعرف رضا اللي كان شغال هنا قبلك؟

امتقع وجه ميدو قليلًا بشيء من ضيق لم يخفَ على عينَي خالد، ثم استدرك قائلًا:

- أعرفه، من الحتة سعادتك، هو ساكن في نفس المنطقة.

- تعرفه كويس؟

- لأ سعادتك، ده واد سو سعادتك، وأنا طول عمري مليش فيه.

- سو إزاي يعني؟

ظهر نفس الضيق على وجهه وهو يتحدث:

- مغرور كده سعادتك ومناخيره في السما وبراوي، ما كانش بيحب يكلم حد.

قطب خالد حاجبيه يحاول أن يرسم في ذهنه شخصية رضا بالضبط، ثم أكمل أسئلته:

- طيب فيه حد في المنطقة كان قريب منه؟ يعرفه أكتر؟

هز رأسه نافيًا، وقال بنفس تعبيرات الوجه:

- يا بيه محدش كان بيحبه، كان طالع فيها كده وبيتأنزح على الناس.

- إشمعنى يعني؟ اللي أعرفه إنه ما كانش متعلم ولا معاه فلوس ولا عنده عيلة ولا أي حاجة!

- صح سعادتك، بس دماغه كانت عالية.

- إزاي يعني؟

- كان شاطر أوي يا باشا في تصليح الأجهزة والموبايلات، وكانت ناس بتجيله مخصوص.

- للدرجة دي؟

- آه سعادتك، كان جن، وكان ليه كمان في تركيب الفيديوهات والتصوير، وكان ليه في البتاع الجديد اللي طالع ده سعادتك.

نظر إليه خالد مستفسرًا، فقال الشاب وهو يحاول تذكر الكلمة:

- الذكاء الاصطناعي ده سعادتك.

ابتسم خالد بطرف شفتيه وهو يحاول تخيُّل أن القتيل الذي لم يظهر في سجله أي تعليم يجيد استخدام الذكاء الاصطناعي، ثم أخرج هاتفه المحمول وأخرج صورة لجاسر مرتضى ووضعها أمام عينَي الشاب وقال:

- شفته قبل كده؟

هز رأسه نافيًا، فوضع خالد صورة دينا أمام عينيه، وانتظر الشاب الذي ظهر على وجهه بعض التفكير ثم قال أخيرًا:

- بصراحة سعادتك مش متأكد، بس حاسس إني لمحتها.

- فين؟

رفع الشاب عينيه إلى زاوية من زوايا المتجر يتأمل الكاميرا التي تبدو أنها تعمل بكفاءة:

- شُفتها في الكاميرا سعادتك!

نهلة

يونيو ٢٠١٠

جلست نهلة في غرفة معيشتها وقد وضعت حاسوبها المحمول على فخذيها ونظرت إلى شاشته بتركيز شديد. مهندسة برمجيات ماهرة، تعمل في إحدى الشركات العالمية في مجالها، تعشق عملها وتحب أن تمضي ساعات طويلة في كتابة الأكواد التي تتحول بلمسة من سحر ذكائها إلى تطبيق يُيسِّر على الناس حياتهم اليومية. نظرت بطرف عينها إلى زياد الذي افترش الأرض يلعب مندمجًا بسيارات بلاستيكية يعشقها. كانت دينا هي من اشترت له هذه المجموعة بالذات. تعرفت على دينا في آخر سنة في كلية الهندسة، وأصبحتا صديقتين على الفور، جمعهما العمل كذلك، فعملتا معًا في نفس الإدارة، وتدرجت كلتاهما إلى أن أصبحت كلٌّ منهما تقود فريقًا صغيرًا من المبرمجين الأصغر سنًّا والأقل خبرة. اجتمعتا كثيرًا وافترقتا في بعض المواقف فقط. سبقتها نهلة بالزواج من جاسر، زيجة لم تتقبلها دينا في البداية، وأفضت إلى صديقتها بمخاوفها

من الضابط الذي يمثل كل الـ«red flags»، فقد مثَّل جاسر «الباد بوي» بشكل غريب.

لم تكن نهلة سوى نسمة رقيقة ذكية، مثلها مثل دينا، من عائلة محافظة، لم تخُض جولات في العلاقات أو تنقد وراء تفاهات المراهقات، ولكن جاسر ظهر في حياتها لتتلون بلون زهري به حمرة الإثارة والشوق وهدوء الحب الحقيقي. لا تنكر أبدًا أن دينا كانت محقة، وأن الزواج بجاسر كان مخاطرة، والآن بعد مرور أربع سنوات على هذه الزيجة بدأت تشعر بأنها ربما أخطأت الاختيار، ربما لن تكفي مشاعرها له وحبه لها أن ينجيا هذا البيت من العواصف التي تطرق أبوابه بعنف هذه الفترة بالذات.

- ماما، ماما.

رفعت عينيها عن شاشتها وقالت بابتسامة:

- نعم يا زيزو، عايز إيه يا حبيبي؟

- أنا مش لاقي العربية الزرقا بتاعتي.

أعادت نظرها مرة أخرى إلى الكود أمامها، ثم قالت وهي لا توليه اهتمامًا حقيقيًا:

- طيب دور عليها يا زيزو، هتلاقيها لو دورت شوية.

لم يتركها زياد إلا بعد أن وضعت حاسوبها المحمول جانبًا واحتضنت يديه الصغيرتين وذهبت تبحث معه عن السيارة البلاستيكية الزرقاء. جابت معه الشقة الصغيرة تبحث بجد، انحنت على ركبتيها وقد وضعت يديها على الأرض ونظرت برأسها أسفل الأريكة. انعكس في زجاج نظارتها الطبية شيء تحت الأريكة، مدت ذراعها

إلى الداخل لتلتقطه، فقط لينعقد حاجباها بضيق شديد وهي تنظر إلى صندوق صغير وُضعت به بعض زجاجات الخمر الصغيرة. نظر زياد بعينين متطفلتين فأغلقت الصندوق وأعادته إلى مكانه وهي تشعر بأسى حقيقي.

- أهي يا مامي أهي.

قالها زياد بصوت متحمس وهو يشير إلى سطح مكتب جاسر الذي وُضعت عليه السيارة الزرقاء. لم يكن زياد طويلًا بما يكفي ليمسك بها، فسارت نهلة بخطوات متثاقلة من تداعيات ما رأت أسفل الأريكة، ثم التقطت السيارة وأعطتها لزياد، وقد تسمرت عيناها على بعض الأسطر التي خطَّها جاسر على ورقة موضوعة على سطح المكتب. أدنت الورقة من عينيها وقرأتها عدة مرات لتفهم ما كُتب فيها. وضعتها مرة أخرى ثم قلبت في الأوراق الأخرى، وتوقفت عند ورقة بها رقم هاتف محمول وعنوان. لم يبدُ الرقم مألوفًا، وبدا أنه كُتِب على عجالة وبجواره العنوان، كذلك بدا أنه أُملي على جاسر. عادت إلى حاسوبها المحمول وهاتفها ثم ضغطت الأرقام التي خُطَّت على الورقة وطلبتها وانتظرت حتى أتاها صوت من الطرف الآخر، ثم سرت في جسدها قشعريرة وقد تعرفت على صوت المتحدثة التي ظلت تردد:

- ألو، ألو، مين معايا؟

زياد جاسر مرتضى

الآن

توقف زياد في منتصف الدَّرج الذي يؤدي إلى شقته مترددًا مغمومًا، ثم أنهى تردده وعاد أدراجه، فهو لن يقوى على الصعود إلى البيت من دون والده. كان قد أمضى الأيام الماضية لدى أقارب له من بعيد، ثم آثر أن يعود إلى بيته بعد انتهاء العزاء. لم يكن رجلًا مكتمل الرجولة، ولكنه لم يكن طفلًا كذلك. عليه أن يتحمل مسؤولية نفسه الآن. سار كالنائم إلى سيارة والده ودلف فيها وبدأ في قيادتها. اصطدم مع والده لسنوات طويلة، عانده وتعارك معه كما يفعل كل الأبناء والآباء، ولكنه أحبه، وكان كل العائلة التي تبقت له. لم يقضِ وقتًا مع والدته، فقد تُوفِّيت وهو في الرابعة من عمره أو أكثر قليلًا تقريبًا. كان جاسر بعراكه وتعنيفه هو الأمن والأهل. لم يكن زياد يعلم ما سيفعله الآن، هل سيقضي لياليه وحيدًا في بيت لا يسكنه غير الأشباح؟! اغرورقت عيناه بالدموع رغمًا عنه، واعتصر الذنب قلبه، لطالما لاحقه صوت والده الغاضب ليلة موت والدته:

- اسكت، مش عارف أركز! إحنا كده هنعمل حادثة!

طالما اعتصر الذنب قلبه وهو يتذكر وجه أمه. تراوده أطياف من ذكريات هذه الليلة المشؤومة، فلا ينسى صوت الرعد ولا ضوء البرق. طار في الهواء وسقط دفعة واحدة. لا يسعفه عقله بما حدث بعدها، فقط يرى نفسه منطرحًا على الأرض وقد بُللت ثيابه تمامًا. حل الظلام في عقله. لا يذكر ما حدث قبل هذا أو بعده على الفور، فقط يتذكر أن وجه أمه بدأ في التلاشي من مخيلته ليحل محله وجه دينا إلى الأبد. والآن رحل والده كذلك. تساءل رغمًا عنه: هل كان له دخل في موته أيضًا؟ أصبح اليوم يتيمًا بحق.

قاد سيارة والده التي طالما اصطدم معه لقيادتها، اليوم أصبحت ملكًا له. كاد ينتحب وهو يتشبث بعجلة القيادة كأنه يستنجد بها من ألم اشتعل في صدره، ولكنه تمالك نفسه واستمر في القيادة شاردًا، إلى أن وجد نفسه من دون أن يشعر أسفل بيت جد لارا. يعلم يقينًا أنها هنا هي وأسرتها، فشقتهم تحولت إلى مسرح جريمة استلقت فيه جثة والده نفسه. رغمًا عنه أراد أن يرى شخصًا مألوفًا، شخصًا يطمئن إليه قلبه، فلم تداعب خواطره غير أسرة لارا. طالما كانت لارا كالنسيم في الليالي الحارة. تعرفا صغارًا في ساحة المدرسة الخلفية. أحبها بصوت وبضجيج. لم يكف عن البوح لها ولم تكف هي عن صده بلطف. لم تبتعد عنه أو تغلق الباب، فهي أيضًا تحبه، ولكنها وضعته في خانة الإخوة والأصدقاء منذ اليوم الأول. تمنى غير ذلك، ولكنها أبت بوضوح. أخبرته والدتها دينا في يوم صافٍ رائق وهي تجلس بجواره وترى عينيه تتابعان ابنتها في كل ركن تسير إليه:

- هتحبك ما تخافش، اصبر بس شوية لما تكبر، هي هتفهم قيمتك الحقيقية.

لم يفهم ما تعنيه، ولكنها كانت واثقة بما تقول، وكان هو يثق بدينا من كل قلبه، فحتى اليوم تبحث لارا عن شيء لم يحظَ هو به بعدُ، وستمر الأيام وتتيقن أن ما يقدمه زياد هو ما تحتاج إليه حقًّا. لم يكن لديه اختيار حقيقي، فقد هام بها حبًّا وسينتظرها إلى آخر العمر، وارتبطت أيامهما في كل شيء تقريبًا، واحتضنته دينا كأمه كذلك، فلم يكن هناك مهرب، ولكنه يتمنى أن يصدق حدس دينا وتستكين لارا في نهاية المطاف بين أحضانه هو. والده كان دائمًا له رأي مخالف: اهجرها ولا تهرع إلى نجدتها، فحين تتلفت فلا تجدك ستأتي ركضًا إليك. لم يتفهم جاسر من الأساس فكرة أن يلاحق فتى في الثامنة عشرة من عمره فتاة واحدة، لم يفهمه جاسر قَطُّ. اختلف بشدة عن صفات والده كذلك، فقد كان الأخير متهورًا مغوارًا يمتلك لسانًا تهواه النساء، في حين كان زياد صموتًا هادئًا شديد الذكاء، امتلك كثيرًا من صفات نهلة والدته الراحلة، أو هكذا دائمًا تقول دينا التي كانت كأخت لها.

- كأني باتكلم مع أمك، الله يرحمها، والله بالظبط!

دائمًا ما قالتها له دينا وهي تضع يدًا حانية على وجهه أو تمررها في شعره الأسود الناعم، في حين كانت لارا شديدة الجمال يتهافت عليها الجميع، تتحرك كالفراشات وتتحدث بسلاسة ونعومة. كان هو يُلقَّب بلغة المراهقين بـ«geek»، يرتدي نظارة طبية تضع إطارًا على عينيه، ولا يفارق يده كتاب في كل مكان، ولهذا درس الهندسة

كوالدته أيضًا. لا شك أنه كان وسيمًا كوالده، وقد فاقه طولًا وعرضًا، وتناسقت عضلاته بشكل مهيب، وأعطته بشرته القمحية مع لون عينيه وشعره الأسود لمحة رجولية لا تخطئها عين، ولكنه افتقر إلى الجاذبية التي تريدها المراهقات. كان ناضجًا أكثر من اللازم. في حين أرادت هي أن ترقص وتمرح طوال الليل، قضى هو لياليه في مطالعة الكتب وتعلم التكنولوجيا التي أتقنها بمهارة. كان لا يزال يجلس في سيارة والده أمام بيت جدها وجدتها، تتخبط كل هذه الأفكار في عقله، فأجفل وارتطمت يده بعجلة القيادة حين أتى صوت رخيم من ورائه:

- بتعمل إيه هنا؟

كان هذا جد لارا، أحمد المرعشلي، الذي كان عائدًا حالًا من صلاة الظهر في المسجد. لم يره زياد وهو منغمس في أفكاره وقد وقف بجوار السيارة منتصب الظهر ينظر بتشكك إلى زياد الذي أنزل زجاج السيارة وخرج صوته بصعوبة:

- ولا حاجة يا أونكل.

- لارا مش هتنزل النهارده! امشِ من هنا أحسن وروح بيتك!

قالها بشيء من الغلظة المعتادة، إذ لم يحب زياد قَطُّ، بل لم يحب أي شاب يخطو بقدميه حول لارا، بل إن صدق حدسه، حول دينا نفسها. كان زياد دائم التحفظ من زيارة لارا، خصوصًا بعد أن وقع الطلاق بين والديها. هز رأسه وهمَّ أن يعود أدراجه إلى بيته أو أن يهيم في الشوارع على غير هدى، ولكن دينا ظهرت من خلف كتف والدها بعد أن رأت زياد من شرفة المنزل فنزلت الدرج مسرعة لتصطحبه إلى البيت، وقالت له بابتسامة حانية:

- تعالَ يا زيزو يا حبيبي، اركن عربيتك واطلع.

نظر إليها والدها شزرًا، فبادلته نظرات لائمة متحدية. تردد زياد لثوانٍ، ولكن عينيها المرحبتين ووجهها المريح جعلته يغلق نوافذ السيارة ويترجل منها. أحاطت دينا كتفيه بذراعيها، فوجد نفسه رغمًا عنه يرتمي بين أحضانها منتحبًا. أجفلت دينا لثوانٍ ثم أحكمت عليه ذراعيها في حضن دافئ طويل. كان زياد شديد الطول، ولم تكن دينا تجاريه طولًا، فاضطر إلى الانحناء لهذا الحضن الذي احتاج إليه بشدة. تركته بين ذراعيها حتى انتهى من تفريغ دفعة من المشاعر التي احتاج إلى أن يضعها بين أضلع شخص يحبه. ربتت على كتفه ثم وضعت يدها في يده وصعدا الدرج معًا. تابعتهما نظرات أحمد المرعشلي الذي صعد وراءهما الدرج، ولكنه على الرغم من تحفظاته تعاطف مع زياد، فقد أدرك أنه الآن ليس الفارس المغوار الذي يريد إغواء حفيدته، بل هو أقرب إلى طفل فقد كل عائلته.

- زياد!

التقت عينا لارا بعينيه الدامعتين. أرادت أن تحتضنه وتواسيه، ولكنها امتنعت وقد رأت جدها يقف متحفزًا. أمسكت يده وربتت عليها من دون أن تقول كلمة أخرى. جلس بجوارها صامتًا في غرفة المعيشة، ونهضت دينا لتعد له بعض الطعام، فهو بالتأكيد لم يأكل منذ البارحة.

- عامل إيه دلوقتِ؟

لم ينطق ونظر إليها نظرات ذات معنى. أراد أن ينتحب مرة أخرى، ولكن هل يقوى على البكاء أمام حبيبة قلبه؟!

- أبويا مات يا لارا! أبويا اتقتل!

- أنا آسفة يا زياد! آسفة أوي!

ظل ينظر إليها متأثرًا وهي تبكي. لن يجدي أي شيء الآن، الآن فقط هي هنا وهو معها وقد انتهى الأمر. دلفت دينا إلى الغرفة وهي تحمل بين يديها صينية عليها بعض الشطائر وفنجان من القهوة باللبن. وضعتها أمام زياد وقالت مشجعة:

- كل يا حبيبي أي حاجة.

ناولته شطيرة جبن وفنجان القهوة، فالتقطهما باستسلام وقضم قضمة شاردًا. أغلقت دينا بهدوء باب الغرفة ثم عادت لتجلس بجوار لارا في مواجهة زياد الذي توقف عن المضغ فجأة ونظر في عينَي دينا ثم قال:

- دودو، هو بابا كان بيعمل إيه عندك في الشقة؟

مكتبة ياسمين
telegram @yasmeenbook

وائل وجاسر

عدة أشهر قبل الحادث

دوى صوت جرس الباب في فيلَّا وائل العدل، فرفع رأسه بضيق، ثم أشار بيده إلى مدبرة المنزل أن تنتظر ولا تفتح. لم تكن لديه رغبة في رؤية أحد، وكان يود لو يستطيع الاختفاء داخل غرفته حتى ينتهي هذا اليوم من دون مقابلة مخلوق واحد. تحرك بخطوات متثاقلة نحو الطابق العلوي، ولكن صوت هاتفه أوقفه. فجأة أضاءت الشاشة باسم جاسر مرتضى. تنهد بعمق مدركًا أن الشخص الواقف خلف الباب على الأرجح هو جاسر نفسه. للحظة فكر في أن يتجاهل الأمر، ولكنه كان يعلم أن جاسر لن يرحل بسهولة، لذا تراجع إلى داخل مكتبه، متخذًا زاوية بعيدة خلف الباب الزجاجي، حيث لا يمكن رؤيته من المدخل الرئيسي للفيلَّا، ثم أشار لمدبرة المنزل أن تفتح الباب.

لم تمر سوى ثوانٍ حتى شق صوته المألوف أجواء المكان، فارتسمت على شفتَي وائل ابتسامة شبه مرتاحة على الرغم من توتره الداخلي، وخرج من مكتبه بخطوات بطيئة. عيناه المجهدتان

التقطتا عينَي صديقه الذي كان يرمقه بنظرة ساخرة قبل أن يزم شفتيه قائلًا بنبرة مستفزة:

- إيه؟! هتستخبى زي العيال ولا إيه؟!

نظر إليه وائل بملامح يكسوها اللوم، فهو يعرف جيدًا أن الجبن لم يكن يومًا من سماته، ولكن ما حدث في حياته خلال الأشهر الماضية يختبر ثباته بشدة، وكأنه زلزال لا يتوقف عن هز كيانه. لم يكن معتادًا على هذا الشعور، ولم يكن يظن يومًا أنه سيجد نفسه في موقف مثل هذا مرة أخرى. رغمًا عنه تطايرت ذكريات سنوات عديدة مضت، ظل ينظر إلى عينَي جاسر وهو يفكر: ما أشبه اليوم بالأمس!

سار الاثنان معًا نحو غرفة المكتب في حين توارت مدبرة المنزل عن الأنظار، ولكن قبل أن تختفي تمامًا لحقها صوت جاسر من الخلف بنفس نبرته الساخرة المعتادة:

- اعمليلي كوباية قهوة وحياة أبوكِ! Coffee blease!

قالها جاسر متعمدًا أن يُخرج الحروف الإنجليزية بشكل غير لائق، مازحًا، في محاولة لتخفيف الأجواء الثقيلة التي تحيط بصديقه، لعل مزاجه يتغير قليلًا. للحظة، لاحت شبه ابتسامة على شفتَي وائل، فقد اعتاد على مزاح جاسر الدائم بشأن وجود خادمة فلبينية في منزله. تنهد وائل، ثم طلب أيضًا فنجانًا من القهوة. جلس كلاهما على الأريكة المريحة متجاورين، ثم قال بصوت مهتز يكشف عن قلقه العميق:

- أنا مش عارف هاعمل إيه يا جاسر! أنا أكيد هاروح في داهية لو ما عرفناش نتصرف!

لم يرد جاسر فورًا، بل أخرج علبة سجائره ببطء وأشعل واحدة،

تاركًا الدخان يتصاعد بينهما كستار خفيف يفصلهما، ثم رفع عينيه نحو وائل وقد اكتست نبرته حدة غير معتادة وجدية شديدة:

- إنت نفسك ممسوك عليك إيه في الليلة دي كلها؟

ضغط جاسر على كلمة «إنت نفسك»، فتوقف وائل للحظة، وعرف على الفور ما يقصده، إذ أصبح من المستحيل أن يخرج الجميع سالمين. في الغالب، لن تُغلق هذه القضية من دون كبش فداء، لن تكون هذه القضية كالأخرى تُقفل وتُوضع أوراقها في أحد الأدراج المنسية، شخص ما سيدفع الثمن، وستُطوى الصفحات على اسمه وحده إن استطاعوا ذلك، في حين ينجو البقية من دون أن يمسهم سوء. التفت إلى جاسر الذي كان يحدق فيه بنظرة ثابتة وكأنه يخبره من دون كلمات بأن أحدهم سيقضي بضع سنوات خلف القضبان، وربما أكثر، وربما لن يخرج منها أبدًا، ومهمة جاسر ببساطة أن يتأكد ألا يكون هذا الشخص هو وائل نفسه.

- التسجيل بتاعك إنت والست هانم، مش كده؟

نفث جاسر دخان سيجارته في وجه وائل، فتجمعت حوله سحابة صغيرة لم يعبأ بها كثيرًا، فقد كان مدخنًا أيضًا، ولكنه شعر كأنها تخنقه بطريقة مختلفة هذه المرة. لطالما كان وائل حذرًا، شديد الاحتياط، لا يترك أثرًا خلفه، لا يضع توقيعه على أي ورقة قد تدينه، ولا يباشر أي شيء بنفسه، تعلَّم الدرس من المشهد السابق، فلا يمكن أن تنزلق القدم مرتين في الفخ نفسه، ولكنه فكر في كلمات والده التي كان يكررها: «ما يجيبش داغ الراجل غير واحدة ست!». زل لسانه في جلسة خاصة، ونطق بما لا يجب، وترك خلفه ما يدينه بشكل قاطع!

- فيه أي حاجة تانية ممكن تدينك بشكل قاطع غير التسجيل ده؟

رفع وائل عينيه إلى جاسر للحظة، ثم هز رأسه نافيًا، ولكن تعبيرات وجهه لم تحمل أي طمأنينة. تنهد جاسر بعمق، ثم دفع نفسه من فوق الأريكة ببطء متوجهًا نحو النافذة، حيث وقف محدقًا في الظلام خلف الزجاج. لا بد أن يختفي هذا التسجيل بأي ثمن! كان الأمر سهلًا عندما كان في الداخلية، مجرد حفنة من الجنيهات تُدس في الجيب المناسب فيختفي الدليل كأنه لم يكن، كالبضاعة التي أفسدها الهوى، كما قال سي السيد تمامًا، لكن الآن؟ الآن هو خارج هذه المنظومة، لم يعد يملك النفوذ نفسه، ولا القوة التي كانت تضمن له الحماية قديمًا. عبس وهو يفكر: لا بد أن يكون هناك مخرج مناسب من هذه الورطة، ما دام الثمن المناسب موجودًا فبيع الضمير ليس مستحيلًا.

قطع الصمت بينهما صوت رنين هاتف وائل، فالتفت جاسر لاإراديًّا، وقعت نظراته على الشاشة الموضوعة في منتصف الطاولة، حيث لمع الاسم بوضوح أمامه. لم يكن بحاجة إلى وقت ليتعرف على المتصلة، فصورتها كانت واضحة. التحمت عينا وائل بعينيه في نظرة فهم كلاهما معناها جيدًا. شعر وائل بحرارة خفيفة تصعد إلى وجهه، في حين زفر جاسر بصوت مسموع:

- إنت ناقص بلاوي؟ إنت هتلاقي نفسك مقتول مش مسجون! أنا حذرتك أكتر من مرة يا وائل!

أغلق الخط وقد أشاح بنظره عن وجه جاسر وهو يعلم يقينًا أنه محق فيما يقول. لم يكن الوقت يسمح بأن يبرر أفعاله أو يناقشها، المهم الآن هو الفرار من القضبان المنتظرة.

- سيبك من ده دلوقتِ وقلي، فيه أي حاجة في دماغك عن موضوع التسجيل؟

هز جاسر رأسه ببطء، ثم استدار نحو النافذة من جديد. لم يكن يومًا ضابطًا نزيهًا، بل إن صدق مع نفسه، لم يكن مستقيمًا في أي شيء. تبددت كل القيم أمامه، تحولت إلى مجرد شعارات فارغة لم تمثل له يومًا شيئًا حقيقيًّا. الوحيدة التي نجحت في جعله نسخة أفضل من نفسه كانت نهلة. تراجع إلى الخلف قليلًا وقد هُيئ له أنه رأى شبحها بين ظلال الحديقة. من أجلها فقط حاول أن يكون رجلًا مختلفًا، لا من أجل المبادئ التي لم يؤمن بها قَطُّ، ولا من أجل شرف لم يشغله لحظة، ولكنه اليوم أمام وضع مختلف لا يتعلق بقيم أو أخلاق، بل بمساعدة صديق غارق في مأزق خطير، هكذا أقنع نفسه حتى يخمد صوت ضميره، ويتجاهل همسات شبحها الذي لا يزال يطارده بين الأشجار. كاد يسمع صوتها وهي تقول: «بلاش تاني يا جاسر أرجوك! وائل ده ما بيجيش من وراه غير المصايب!».

ابتسم لصوتها الذي تردد في ثنايا عقله، فقد اشتاق إلى أن يسمعه حتى إن وبَّخه. لا ينكر أن هذه الأحداث تتشابه بشكل عجيب بأحداث ماضية وقفت هي وقتها في مواجهته بكل قوتها لتدفع حياتهما في طريق مختلف، ولكن القدر لم يمهلها. نفض ذكراها من عقله وودع شبحها بلطف من أمام عينيه، ثم استدار إلى وائل وحدق فيه بنظرة حازمة قبل أن يقول بصوت حازم:

- ابعتلي مليون على حسابي في البنك وأنا هاتصرف.

- مليون!

قالها وائل مستنكرًا، ولكن نظرات جاسر الحازمة أخرسته. لم يكن لديه خيار آخر، فهو يعلم جيدًا أنه إن لم يتحرك بسرعة فسيكون الثمن أكثر من مجرد مليون، ربما سيكون الثمن هو حريته نفسها. هز رأسه بعد ثوانٍ باستسلام، في حين استدار جاسر لينظر إلى الحديقة محدقًا في الفراغ الممتد خلف زجاج النافذة، حيث تناثرت ظلال الأشجار التي لمح طيفها بينها. نظرة اللوم في عينيها لاحقته. ابتسم ولمس زجاج النافذة بأطراف أصابعه وهو يتمنى لو كانت نظرة حقيقية وأنها تقف أمامه الآن كما يراها في مخيلته، ولكن هل كان سيتراجع عن خطته لو أنها واقفة أمامه بحق؟! زفر وترك طيفها وراءه، ثم استدار مبتعدًا باتجاه باب الغرفة، وقبل أن يخرج أوقفه صوت وائل مترددًا:

- إيه؟ خلاص كده؟ هتمشي؟!

- أه. هاستنى الفلوس.

- جاسر!

توقف جاسر في مكانه لتلتحم أعينهما مرة أخرى في لحظة صامتة. كان في نظرات وائل رجاء خفي، وخوف لم يعتد أن يُظهره، في حين ظل وجه جاسر جامدًا خاليًا من أي تعبير يطمئنه. ابتلع وائل ريقه بصعوبة، ثم قال بصوت مخنوق يائس:

- دي فيها رقبتي يا جاسر، أرجوك!

- ما تخافش! هتبقى رقبتي أنا كمان!

دينا المرعشلي

الآن

اتخذت دينا مكانها خلف عجلة القيادة بعد أن تحاملت على نفسها لتخرج من البيت، وقررت أن تصطحب عمر إلى المدرسة بنفسها اليوم. كانت لا تزال تقضي لياليها في بيت والديها ولم تطلب من المدرسة تغيير الباص. لم تقوَ لارا بعدُ على الذهاب إلى المدرسة، وقررت أن تمضي اليوم في البيت تنعم ببعض الأمان. عدلت دينا من وضع مرآة السيارة لتتمكن من إلقاء نظرة على المقعد الخلفي حيث يجلس عمر في المنتصف. كان قد أحنى رقبته وينظر بتركيز تام في شاشة هاتفه المحمول الذي أدمن اللعب عليه. تنهدت وأعادت المرآة إلى وضعها الصحيح لتعكس الطريق من خلفها، ووضعت حزام الأمان بحركة لاإرادية، ثم قالت لعمر بصوت آمر:

- buckle up يا عمريكو عشان هنتحرك.

انصاع عمر وهو لا يزال ينظر في شاشة هاتفه. كانت دائمًا تتبع القوانين، فلم تجرؤ على مخالفة تعليمات الطريق قَطُّ حتى وإن

تيقنت أن أحدًا لن يراها. اعتادت الخضوع والانصياع لكل القواعد، لم تتمرد قَطُّ. فكرت واجمة وهي تنظر إلى الطريق المزدحم أمامها أنها قد قضت سنوات عمرها التي تتجاوز الأربعين تسير في خط مستقيم، وعلى الرغم من هذا حادت بها الدنيا عن الطريق الصحيح، واليوم تعرجت بها الطرق لتدلف إلى متاهة لن يسهل الخروج منها أبدًا. كانت طفلة وحيدة لوالديها، وعلى الرغم من ذلك لم تحظَ قَطُّ بالتدليل، بل رباها أبوها على تحمل المسؤولية. تخرجت من الأوائل على دفعتها في كلية الهندسة، ثم تزوجت بعد أن تخرجت مباشرةً في الجامعة. اختار لها اللواء أحمد المرعشلي رجل أعمال شابًّا كان في الأصل ضابطًا أيضًا، ابن صديقه المقرب. أنجبت لارا بعد زواجها بعشرة أشهر بالضبط. سارت على الخط الذي رسمه لها والدها بإتقان، لم تَحِد أو تخالف، وقد اختار لها كل شيء تقريبًا، إلى أن زلزلت كيان العائلة ووالدها خصوصًا بإصرارها على الطلاق. لم يدرك أحد ما حدث، ولكنها أدركت لا محالة أن الوقت هو الوقت المناسب للهروب من هذه الزيجة وهذه الحياة بالكلية، سينفد الهواء من رئتيها فتهوي جثة هامدة إن لم تفعل ذلك سريعًا.

لاحت المدرسة من بعيد فأخرجها زحام الشارع من أفكارها لتضع كل تركيزها في أن تجد بقعة صالحة للوقوف ليترجل عمر بأمان إلى المدرسة. ما إن فعلت ذلك أخيرًا حتى استنشقت بعض الهواء، وفكرت فيما عليها فعله الآن. تحتاج إلى عقل آخر يفكر معها. ابتلعت ريقها وهي تفكر في جاسر رغمًا عنها، وزياد الذي ذهب ليقضي بعض الوقت مع أقاربه من بعيد بدلًا من البقاء وحيدًا.

- صباح الخير.

أجفلت وانتفضت حتى كاد رأسها يصطدم بسقف السيارة بعد أن جاء صوت ضابط المباحث عاصم الحسيني، الذي ترجل من سيارته وذهب إلى سيارتها سيرًا على الأقدام، لم تلحظه حتى انحنى بجسده ليُدخِل رأسه من زجاج سيارتها المفتوح. اتسعت ابتسامته الساخرة وهو يرى جسدها الضئيل يطير لبضعة سنتيمترات داخل السيارة. بدت كالقطة التي تقوَّس ظهرها من الفزع، فقال بعد أن تمالك نفسه وكف عن الضحك:

- آسف لو خضيتك يا باشمهندسة! كنت قريب من المكان وشفتك بالصدفة. تسمحيلي؟

أشار إلى المقعد بجوارها يستأذنها أن يجلس بلمحة تمثيلية. لم ينتظر جوابها ودلف إلى السيارة متخذًا المقعد الذي يجاور مقعدها. ظلت تنظر إليه بشيء من عدم التصديق: هل يحق لضابط شرطة أن يقتحم عليها سيارتها بهذه الطريقة؟ لا يمكن أن يكون وجوده هنا مصادفة! هل يحق لها الاعتراض؟ آثرت أن تصمت وترى سبب مجيئه إلى هنا الآن. هو لا يثق بقصتها على الإطلاق، ولولا حضور والدها ونفوذه في غرفة التحقيقات لم يكن ليتركها حتى تخبره بكل شيء. ترى ذلك في عينيه اللتين ذكَّرتاها بعينَي جاسر نفسه. علمت منذ أن رأته في القسم أنه لن يتخلى عن هذه القضية بسهولة، لن تمر - كما تتمنى هي - مرور الكرام، ولكنها قتلت بالفعل فتى في العشرين من عمره، لا مفر من هذه الحقيقة، ووُجِدت كذلك جثة جاسر في شقتها. أرادت للحظة أن تبكي وهي تراه يجلس

صامتًا متأملًا ملامحها بتركيز. تردد في عقلها صدى أغنية «جلاب المصايب»، فلعنت في سرها الحب وهمست في عقلها بصمت أن تبًّا لكل الخطوط المستقيمة والمتعرجة.

- إيه؟! مفيش صباح الخير؟!

ظلت تنظر إليه بتركيز أيضًا، فقد كان وسيمًا متناسق الجسد، تفوح منه رائحة عطر باهظ الثمن. تذكرت رغمًا عنها مرةً أخرى جاسر مرتضى، فبالتأكيد يشبه هذا الضابط في عدة أشياء. هل لهذا السبب لا تخرج الحروف من شفتيها؟! ابتلعت ريقها وتنحنحت وهي تبحث عن كلمات مناسبة، فخرج صوتها به كثير من الحدة والتوتر قائلةً بعدائية غير مبررة:

- إنت عايز إيه؟

تراجع إلى الوراء بضعة سنتيمترات، فلمست جمجمته زجاج السيارة برفق وقد علَت شفتيه ابتسامة تسلية لم تَغِب عنهما، وقد رفع أحد حاجبيه في تعجب، فقد بدا المشهد بينهما إذا تمت مراقبته من بعيد مشهدًا بين حبيبين متناحرين أكثر منه تحقيقًا في جريمة قتل مزدوجة. قال بلهجة جمعت بين اللطف والحزم:

- أنا مش عايز حاجة يا باشمهندسة، محتاج أدردش معاكِ شوية عن القضية، وما حبيتش أتعبك وأجيبك القسم. إنتِ عارفة لسه التحقيق شغال ولغاية النهارده لسه التقرير النهائي بتاع جاسر ما أثبتش إن اللي قتله رضا، وأعتقد دلوقتِ بعد ما بقيتِ أهدى ممكن نحاول نعرف أكتر عن اللي حصل في اليوم ده بجد.

أشار إلى أحد المقاهي الحديثة في طرف الشارع الذي توقفت فيه سيارتها وأكمل بنفس الحزم:

- إيه رأيك نتكلم هناك على رواقة أحسن؟

لم يكن من الحكمة من وجهة نظرها أن تعارضه، فأدارت السيارة وتحركت إلى حيث أشار من دون أن تنطق بكلمة واحدة. «إنت عايز إيه؟»، هل كان هذا لائقًا مع محقق في جريمة تورطت فيها إلى آخر عنقها؟! لم تستخدم ألقابًا وردت عليه بتحدٍّ لا تمتلك شجاعته الحقيقية. كادت تسمع صوت ضربات قلبها التي علت بشدة، فلم تكن قَطُّ ماهرة في إخفاء الأسرار، بل علمت أنها ستروي القصة كاملة حتى قبل أن يطلب منها. فكرت في خوف: قتيلان في شقتها، وضابط متعطش للحقيقة، وحياة أسرتها بأكملها على المحك! أخذت نفسًا عميقًا وأخرجته بصوت، فنظر إليها بطرف عينه وهو يفكر: لا تتحمل ضلوعها ثقل الأسرار، لن يمضي كثير من الوقت حتى يخرج منها كل شيء. هو متأكد.

- كابتشينو من غير سكر؟

هزت رأسها بعد أن جلست على طرف المقعد في أول طاولة وجدتها في المقهى من دون أن تسأل كيف علم بالضبط نوع القهوة التي تفضلها، هل وصلت دقة تحرياته إلى هذا الحد أم أنه مجرد تخمين من الضابط الوسيم؟! نفضت رأسها وهي تحاول أن تمحو كلمة «وسيم» التي قفزت إلى عقلها. ضابط يحقق معها كمتهمة في جريمتَي قتل. صححت لنفسها بصمت!

- قوليلي يا مدام دينا، هي إيه الحكاية بقى؟

نظرت إليه بحزم نظرة ثاقبة، فتعثرت الكلمات، وضغطت بأصابعها على فنجان القهوة الذي تحمله ثم قالت:

- حكاية إيه؟! ما أنا قلت لحضرتك رجعت لقيت...

- افتكرتيه حرامي فدُستِ عليه، فاكر. مدام دينا، هو جاسر مرتضى كان عندك في الشقة بيعمل إيه؟

امتقع وجهها وصار أحمر داكنًا، وقالت بنبرة حادة غاضبة لم تتحكم فيها:

- باقولك إيه، هو مش عشان أنا مطلقة وإنت ظابط شمال تتخيل إن كان بيني وبين جاسر الله يرحمه حاجة! أنا قلتلك قبل كده ما كانش فيه بيني وبين جاسر أي حاجة! كان أبو زياد زميل بنتي وابن صاحبتي، بس كده.

ظلت ملامحه جامدة، لم يظهر عليه الغضب لطريقة حديثها معه وما صدر عنها من كلمات غير لائقة، وإن أعجبته شجاعتها. يعلم بحنكة حدسه في البشر أن هذه السيدة التي تبدو متوترة خائفة، بداخلها لبؤة شرسة ستلتهم من يقترب من محيطها بالتأكيد. الأمر أقرب إلى جرح تم الضغط عليه. «مطلقة» و«رجل في شقتها»، هذه هي الكلمات التي أثارتها، فقد سمعتها مرارًا من مجتمع أراد أن يفرض عليها قيودًا غير منطقية. تراجع بحواره، فهو لا يريد أن يغضبها فتقوى فتتمسك بما قالت فلا يعرف حقيقة ما حدث. أراد أن يحقق مع النسخة الأخرى منها التي تتمنى سرًّا أن ترتمي في أحضان رجل قوي يحميها، هذه النسخة هي التي ستقول الحقيقة في الغالب من دون جهد. أرخى عضلات وجهه وقال بصوت أراده مُطمئنًا هادئًا أكثر منه قويًّا حازمًا:

- أنا متأكد يا مدام دينا إن حضرتك ست محترمة، ومفيش أي شك في ده، ومش بالمح حتى مجرد تلميح لعلاقة بينك وبين جاسر، بس إنتِ تعرفيه كويس. حاولي تفكري معايا إيه اللي يخليه ييجي مكان بعيد زي اللي إنتِ ساكنة فيه والبيت فاضي تمامًا! ولو قلنا إنه كان عارف من زياد أو حتى خمن موضوع المفتاح اللي حاطينه في الزرعة اللي جنب الباب إياها، فبرضو إيه الهدف من وجوده في البيت؟ إلا لو كان فيه حد تاني جوه البيت هيقابله؟ لارا مثلًا؟ ممكن حاجة ليها علاقة بيها هي وزياد؟

لم يخفَ عليه إطلاقًا تناقض مشاعرها وخوفها الذي ظهر بوضوح على وجهها. شعر بأن سهمه أصاب هدفًا بلا شك، خصوصًا حين قالت بسرعة في حزم كأنها تريد أن تغير دفة الحوار عن ابنتها تمامًا:

- لارا وعمر كانوا عند باباهم، محدش كان في البيت! ما أعرفش زياد كان فين، بس الأكيد أيًّا كان اللي حصل فملوش علاقة بيَّ أنا ولا ولادي!

- إنتِ كنتِ تعرفي نهلة مراته مش كده؟

- أيوه، كانت الله يرحمها معايا في الجامعة، واشتغلنا مع بعض كام سنة قبل الحادثة.

صمت وهو يتأمل ملامحها وهي تتحدث عن نهلة: هل نظرت إلى أسفل بالفعل، أم أنه تخيل ذلك؟ هل كانت على علاقة بجاسر قبل أن تموت نهلة وقبل أن يقع طلاقها؟ ألهذا بدا عليها الخزي للحظات؟

- كنتِ تعرفي جاسر قبل ما نهلة تتجوزه؟

أطالت النظر في عينيه وهي تتذكر أول مرة رأت فيها جاسر، ثم هزت رأسها نافية:

- لأ، أعرفه من ساعة ما هي عرفته.

- قبل الجواز بأد إيه؟

- كام شهر.

- هي ماتت إمتى؟

- ٩ ديسمبر ٢٠١٠.

التمعت في عينَي دينا دموع صادقة وهي تتذكر صديقتها المقربة، في حين ظل عاصم ينظر إليها في تركيز وقال بصوت أراده هادئًا متعاطفًا قدر المستطاع:

- واضح إنكم كنتم قريبين أوي! إنتِ فاكرة التاريخ بالظبط!

تنهدت دينا وهي تتذكر هذه الليلة التي لم تغب عن عقلها طوال السنوات الخمس عشرة الماضية. أغمضت عينيها لثوانٍ وقد تردد صدى صوت نهلة وهي تودعها على الباب ليلتها وقد خرج بعدها جاسر من الباب:

- أشوفك بكرة.

لم يأتِ غد! تُوفيت بعدها بعدة دقائق. احترم عاصم صمتها، ثم قالت بعد عدة ثوانٍ وقد فتحت عينيها ونظرت إليه بحزن صادق:

- أه، فاكرة التاريخ كويس، كنت معاها ليلتها، قبلها على طول، وأيوه كنا قريبين من بعض جدًّا، كنت باحبها أوي.

- وجاسر؟

قالها بنفس التلميح والإلحاح لعله في هذه اللحظة من الصدق يُخرِج ما في قلبها عن القتيل، ولكنها قالت بصوت خفيض:

- كان أخويا!

شعر وهو يرى دمعة تتسلل من خلف نظارتها الطبية بأنها صادقة فعلًا. أحبت نهلة واتخذت من زوجها أخًا وسندًا في هذه الدنيا. سألها حاثًّا إياها على التفكير:

- يعني إنتِ معندكيش أي تخيل ليه جاسر كان في شقتك؟

هزت رأسها نافية بعد قليل من الصمت. ظلت عيناه مثبتتين على عينيها، فبادلته نظرات خاوية، فتأكد أنها لن تقول المزيد، فقال محاولًا شيئًا جديدًا:

- هي إيه بالظبط علاقة زياد ولارا؟

لاحت نفس المشاعر على وجهها، ولكنها تماسكت وقالت بنفس الثبات:

- عادي، اتنين أصحاب من أيام الحضانة، ومرتبطين ببعض جدًّا.

- معقول بنوتة بالجمال الرهيب ده ما شاء الله ويكون شاب زي زياد مش عاشق ولهان؟

لم تنطق، فأكمل لعله يصل إلى أي شيء في أي اتجاه:

- هو بيحبها وهي حطاه «فريند زون»، مش كده؟ غلبان أوي، بس إنتِ شكلك بتحبيه، مش كده؟ وعايزاها تغير رأيها؟

تنهدت وهي ما زالت تنظر إليه، ثم قالت وهي لا تفهم ما يرمي إليه من وراء هذا الكلام وعلاقته بالأحداث والجرائم:

- باحبه زي ابني، وهو ولد طيب ومسؤول.

أشاحت بعينيها تجاه الشارع شاردة، وقالت بصوت خفيض كأنها تحدث نفسها:

- هي لسه صغيرة ومش عارفة هي محتاجة إيه بجد، بكرة هتكبر وتفهم الدنيا. بنبقى عايزين حاجات بتلمع بس في الآخر بيطلع إزاز مكسر ويعورنا.

نظرت إليه مرة أخرى وقالت بشكل مفاجئ لم يتوقعه:

- إنت عندك ولاد يا عاصم بيه؟

أجفل لثوانٍ، فلم يتوقع أن تلعب هي دور المحقق وتسأله عن أي شيء، ولكنه ابتلع ريقه وقال بشيء من الأسى لم يغب عن أذنيه:

- عندي ولد!

- إنت مطلق برضو؟

أمعن النظر في وجهها الجميل وشعرها المموج، ثم أومأ برأسه بـ«نعم»، وقال بجدية معيدًا الحديث إلى مساره الصحيح:

- إنتِ، على ما الكل قال، قريبة من زياد وجاسر، طيب ما لاحظتيش أي حاجة غريبة عليه الفترة الأخيرة؟

فكرت قليلًا وبحثت بصدق مرة أخرى عن إجابة في عقلها، ثم قالت بعد تردد:

- بصراحة هو كان مش زي عادته، كان فعلًا بيتصرف بطريقة غريبة شوية، بالذات آخر كام يوم قبل الحادثة.

انتبه وقال بتركيز:

- غريبة إزاي يعني؟

- كان متوتر ومهزوز، مش زي طبيعته، دايمًا كان واثق من نفسه وعارف بيعمل إيه.

- ما اتكلمش معاكِ في حاجة؟ أو مثلًا زياد قالك حاجة إنتِ أو لارا عن اللي بيقلقه؟

- لأ بصراحة، بس أعتقد لو عايز تعرف عن جاسر أكتر في الفترة الأخيرة، فيه حد تاني ممكن يقولك أكتر مني.

- قصدك وائل العدل، مش كده؟

زمَّت شفتيها وهي تقول:

- لأ، نانسي، نانسي الرحمي!

عاصم الحسيني

الآن

استلقى عاصم على فراشه وقد خيم عليه دخان سجائره، ممتزجًا برائحة عطر زوجته المؤقتة، فملأ المكان برائحة مميزة كادت أن تسلبه من تفكيره في القضية التي تشغل باله. همَّ أن ينهل من رحيق صاحبة العطر الحسناء، ولكنه توقف ليتأملها وهي تحتسي شيئًا ما في فنجان يخرج منه البخار الساخن. بدت لثوانٍ كأنها زوجته الحقيقية، فافترَّت شفتاه عن ابتسامة شاردة وهو يجاهد أن يتذكر كيف تعرَّف عليها بالضبط. كل ما يتذكره أنها أصبحت زوجته بورقة كُتبت في ذروة لحظات النشوة. كان سيصبح ممتنًّا لهذه العلاقة في أي وقت آخر لولا أن قضية جاسر مرتضى تداعب مشاعره بشيء من القسوة. يرى نفسه بوضوح في ذلك الضابط القتيل، كأنه مرآة تعكس مستقبله المحتوم. جثة هامدة في مكان ناءٍ، وحيدًا بلا عزاء. لم يكن مستقيمًا تمامًا هو أيضًا، وإن اختلفت إخفاقاته عن تلك التي ارتكبها جاسر. كلاهما فقد زوجته بطريقته الخاصة، وكلاهما لم يجد سلوى في امرأة

واحدة بعدها. عقد حاجبيه وهو يلمح انعكاسه في المرآة المقابلة للفراش، تلك المرآة التي تصطدم عيناه بها في كل ليلة وهو مستلقٍ مفكرًا، تمنى لو يغير موقعها حتى لا يواجه صورته بهذا الوضوح القاسي كل يوم. كان هناك تماثل آخر بينه وبين جاسر، فكلاهما كان وسيمًا، جذابًا كشيطان يعرف طريقه إلى القلوب. تُرى، هل كانت وسامته وعلاقاته بالنساء سببًا في مقتله؟ قطعت زوجته المجهولة حبل أفكاره، وضعت كلتا يديها على صدره العاري تتلمس دفء جسده قائلة:

- مشغول بإيه يا عصومة؟ بالقضية بتاعة يوم الخميس؟

قالتها ببعض الدلال الغاضب كأنها تذكره بأنه تركها في هذه الليلة وحيدة ليذهب للتحقيق. التحمت شفتاها بشفتيه في قبلة رقيقة علمت من مذاقها أنه مشغول البال، واكتفى من العشق في هذه الليلة، فتراجعت والتقطت فنجانها مرة أخرى بقليل من خيبة الأمل، ثم غطت جسدها بلحاف الفراش الناعم، وجلست وقد ضمت ركبتيها إلى صدرها كالأطفال وقالت له:

- إيه في القضية دي يعني مختلف وشاغل بالك؟

نظر إلى عينيها، ومرة أخرى تخيلها لثوانٍ زوجته الأولى، زوجته الحقيقية، التي كان يقضي معها الليالي يناقش ويسرد ملابسات قضاياه وتشاركه بحماسة الأفكار التي دائمًا ما كانت عبقرية. ابتسم وقد اطمأن لهذه الذكرى وبدأ في الكلام متجاهلًا أن من تجلس أمامه عارية شخص آخر تمامًا ولا يعرفه حقًّا:

- كل حاجة غريبة! الجثة اللي لقيناها في الشقة دخلت من غير

عنف ولا حتى اتقتل بعنف! تحسي كأنه كان واقف بيتكلم عادي مع اللي قتله! مفيش أي حاجة في الشقة اتاخدت، ومفيش أي دوافع لغاية دلوقتِ رابطة بينه وبين الست صاحبة الشقة اللي داست على الواد التاني! ما وصلناش لأي حاجة تقريبًا!

عقدت حاجبيها باهتمام صادق، ثم التقطت السيجارة التي يدخنها ووضعتها بين شفتيها ونفثت دخانها مفكرة، ثم قالت:

- مفيش أي حاجة كده ولا كده بين الست دي والقتيل؟

- ما أعتقدش، مفيش أي دلائل على كده، وأنا كمان مش حاسس إن دينا دي بترمرم، بس شامم حاجة ريحتها وحشة، ومش عارف أحدد إيه هي بالظبط.

قال بكلمات قليلة ما يعرفه عن لارا وزياد وتشعب علاقة الأهالي بعضهم ببعض، كعلاقة جاسر ووائل وما قالته دينا عن علاقة جاسر بنانسي الرحمي.

- طيب هو طلع فيه حاجة بين جاسر ده ونانسي زي ما قالت دينا؟

هز عاصم رأسه نافيًا وقال:

- ما أعتقدش برضو، نانسي دي متجوزة راجل أعمال خليجي مش سهل، وكل التحريات اللي من على الوش ما طلعش فيها أي ربط غير منطقي بينها وبين جاسر.

أخذت نفسًا عميقًا من السيجارة التي أوشكت على الانتهاء، ثم قالت بلهجة العالمة بهذه الأمور:

- ما هو إيه اللي هيخلي دينا تقولك كده؟ ما هي مش عبيطة برضو!

- قصدك إيه؟

- قصدي إنها لو عايزة توجه اهتمامك لحاجة غيرها ليه تبعتك لحاجة dead end؟ بالعكس، هي أكيد عايزاك تروح تتسحل في حاجة فتفكك منها هي وعيالها، وممكن تكون حاجة تانية!

نظر إليها بدوره باهتمام وقد بدا ما تقوله منطقيًّا جدًّا، فحتى إن تعمدت دينا إضلاله فالأوقع أن يكون هناك دخان يخيم على طريقه، فقال وهو مهتم بسماع ما سيلي:

- إيه؟

- إنها تكون عارفة حاجة ومتأكدة منها ومش قادرة تقولهالك، فبتحطك على أول الطريق، بترميلك طرف خيط عايزاك تشده!

خيط تضعه دينا أمامه وهو مطلوب منه تتبعه! دوى صدى كلماتها في عقله ليشعر بأنها على حق تمامًا. يتوافق هذا مع شخصية دينا، فهو على يقين من أنها متورطة في شيء ما، وأنها تريد أن تخبره بالحقيقة كاملة، ربما فقط لا تريد أن تورط نفسها. هي في الغالب تفعل ما تفعل كل أنثى على وجه الأرض، تلمح لرجل بشيء لعله يفهمه وحده.

أكملت هي بحماسة وقد نهضت لتجلس على ركبتيها فسقط اللحاف الذي غطت به جسدها، فتجاهلت الأمر وأكملت على حين شغله نهداها البارزان عما تقول:

- وعارف، أنا بقى لو مكانك هادور على الخيط فين؟

ابتسم ابتسامة كبيرة لحماسها الطفولي الذي يتناقض مع جسدها الأنثوي العاري، وقد اشتدت رغبته في أن يعانقها الآن بشدة:

- فين يا أم العُرِّيف؟

قالت بنفس الحماسة وقد بدأ هو في مداعبتها فتراجعت للوراء لتكمل فكرتها:

- جروب الماميز!

- قصدك إيه؟

- قصدي هو مش ابنها وبنتها دول في مدرسة واحدة؟ وابن القتيل هو كمان يا دوب طالع منها؟

- أيوه.

- طيب مفيش أد رغي الأمهات عن الـ«single dads». إنت لو لفيت لفة في المدرسة هتجيب قرار جاسر ده، ولو فيه حاجة بينه وبين نانسي مش هتستخبى على الأمهات!

تراجع إلى الوراء مفكرًا، وعقد العزم على البحث بعمق وراء أهالي المدرسة وما تناثر على ألسنة الأمهات عن نانسي، لعله يجد ضالته في العلاقة الخفية بينها وبين القتيل. كانت هي قد اتخذت فخذيه مكانًا، وبدأت في مداعبة شفتيه بقوة أكبر هذه المرة، فلا فرار الآن منها وقد اكتفت من لعبة المحقق. التحما في ثوانٍ لتتحول الغرفة إلى مسرح جريمة من نوع آخر، ولكنها توقفت فجأة وتركته يتلظى وقالت بصوت قوي:

- المفتاح... المفتاح راح فين؟

دينا المرعشلي

عدة أشهر قبل الحادث

راحت دينا تنظر إلى سيارة النقل التي توقفت أمام بنايتها بالضبط. كانت تقف في الشرفة تنتظرهم. هجمت عليها ذكريات كثيرة، فرأت نفسها وهي دون العشرين تقف في نفس المكان في شقتها الأولى تنتظر بترقب أثاثها الجديد، تلاحقها زغاريد أهلها وصديقاتها من جميع أرجاء شقة العروس المرتقبة. اليوم تقف وحيدة يحوطها الصمت من كل مكان. لم يأتِ أيٌّ من والديها لزيارتها بتعمد، إعلانًا منهما أن حياتها منفردة بطفليها لا ترضيهما بحال. ظلت شاردة في الصناديق التي يخرجها عمال النقل، تتأمل قطعًا جديدة من الأثاث قد اشترتها هذه المرَّة من مالها الخاص واختارتها بألوان تحبها هي وحدها.

- Mum, did they come?

ظهر عمر فجأة من خلفها ليضع يديه الصغيرتين حول خصرها، ويطل برأسه من وراء جسدها على حركة العمال والصناديق. ابتسمت له ووضعت يدًا حانية على ظهره وقالت بالعربية:

- أيوه يا حبيبي جم. مبسوط عشان أوضتك الجديدة؟

هز رأسه متحمسًا، فقد اختار غرفة يجتمع فيها لونا الأزرق والأحمر، واتخذ فراشه شكل سيارات السباق التي يعشقها. أعجبه بشدة أن ينام بداخل سيارة كما يحلم. تعمدت هي أن تحقق له جميع أحلامه في هذه الغرفة، فتخفف من وطأة أحداث الطلاق وبُعده عن والده.

- إحنا طالعين يا باشمهندسة.

هزت رأسها لرئيس العمال الذي بدأ في تحميل الأثاث بثبات إلى الشقة، ووقفت هي تنظر بصبر، وتتفقد قطع الأثاث الواحدة تلو الواحدة، في حين ظل عمر يتحرك بجوارها في حماسة وترقب.

- حاسب! حاسب! هتكسر المراية!

نهرت أحد العمال بتوتر وهي تنظر إلى المرآة التي كادت تُخدش. لم تكن لتهتم لولا أنها مرآة غرفة لارا. لم تكن جديدة، ولكنها كانت مميزة وتحبها لارا بشكل خاص، فقد كانت هدية من والدها منذ عدة سنوات، حفر عليها اسمها خصوصًا وتوَّجها قلب خشبي وردي اللون، وأسفلها درج أبيض اللون مقبضه أيضًا على هيئة قلب وردي صغير. بدت المرآة طفولية لا تتناسب مع سن لارا الحالية، ولكنها كانت ستغضب بشدة إن خُدشت، بل ربما تتهم دينا بتعمد تخريبها، فقد سرى في عروق لارا الغضب تجاه أمها التي لم تتمكن من امتصاصه حتى الآن. لم تتفهم ابنتها المراهقة التي ظل والدها كالبطل الخارق في عينيها مشاعر والدتها ورغبتها في الطلاق، وضعتها في قفص الاتهام ولم تنل منها إلا القسوة. تنهدت دينا وهي تضع يديها على اسم لارا المحفور

على المرآة التي استقرت في موضعها الجديد، وتذكرت واجمة كيف كانت صغيرتها تنام وقد أمسكت بيديها بشدة. اعتراها الغضب رغمًا عنها أيضًا. خضعت سنوات من عمرها راغمة إلى أن تمكنت أخيرًا من الفرار، فقط لتفقد دفء علاقتها بابنتها الوحيدة. تنازعتها مشاعر متناقضة لسنوات، فتارة تشعر بالذنب الذي يخيم على قلبها فلا تشعر إلا بجرح نافذ، وتارة أخرى تشعر بأنها فقط تشبثت بحقها في حياة أخرى أيًّا كان ما حدث أو ما فعلت في هذه الحياة. وضع العمال المرآة حيث أمرت، وشردت هي في أحد الصناديق المغلقة التي جاءت من غرفة لارا تحديدًا. اهتز الصندوق بفعل ركلة غير مقصودة من أحد العمال ففُتح بفُرجة بسيطة. لا تدري لماذا شعرت بأن هناك شيئًا غريبًا فيه فانحنت لتفتحه وترى ما كنه هذا الشيء بالضبط، ولكنها أجفلت وانتفضت حين أتى صوت غاضب من خلفها بشكل مفاجئ:

- إنتِ بتعملي إيه؟! بتفتشي في حاجتي؟!

وقفت لارا بحدة أمام والدتها وقد كانت بالداخل هي وزياد تدور في الشقة الجديدة ببعض الحزن والغضب. وقف بجوارها زياد الذي شعر بالحرج من لهجتها مع والدتها، في حين ظلت دينا متخشبة لعدة ثوانٍ من أثر إجفالها، وقد بدت لها الفرجة في الصندوق، وإن لم يمكنها أن تتيقن مما رأت بالضبط.

- الصندوق اتفتح بالغلط، وأصلًا مش مفروض يكون فيه حاجة مخبياها عني، ولا إيه؟!

- إنتِ you can›t invade my privacy كده، ده مش من حقك على فكرة!

- حقي؟!

قالتها دينا باستنكار وقد همت أن تقول شيئًا آخر، فتدخَّل زياد وقد وضع يده على ظهر لارا لعلها تهدأ قليلًا، ثم قال موجهًا كلامه لدينا:

- معلش يا دودو، هي قلقانة عشان التمرين ما كانش ألطف حاجة، والمدرب اداها كلمتين.

نظرت إليه لارا باستنكار لائمة، في حين عقدت دينا حاجبيها ببعض القلق. تعلم أن ما تمر به أسرتها الآن يؤثر بشكل سلبي في حياة أولادها، خصوصًا ابنتها التي تمر بوقت عصيب ويقترب وقت بطولتها. همت أن تقول شيئًا تبث به بعضًا من الأمان في قلب ابنتها وتغير دفة الحديث السابق، ولكن دوى صوت عنيف امتزج بصرخة من عمر جعلها تركض بهلع إلى حيث صوت الصرخة، وما إن رأت عمر يقف صحيح البدن غير مصاب حتى هدأت أنفاسها قليلًا وقالت له:

- إيه يا عمر؟! حصل إيه عشان تصرخ كده؟! خضتني! وإيه اللي اتكسر أصلًا وعمل صوت رهيب كده؟!

- معلش يا باشمهندسة والله، ما قصدناش والله.

- إيه اللي اتكسر؟

- My laptop. They broke my laptop.

قالها عمر بدموع ملتاعة وهو يشير إلى حاسوبه المحمول الذي وقع على الأرض وتفتتت شاشته تمامًا. أدركت بعد عدة دقائق أن أحد العمال وهو يحمل إحدى قطع الأثاث على ظهره اصطدم بالحاسوب المحمول الموضوع على الطاولة عن طريق الخطأ، فانتهى به الأمر وقد تناثرت أجزاؤه على الأرض. ظل عمر يبكي بحرقة.

- I will lose all my accounts and my games.

لم تتمكن من تهدئته إلى أن جاء زياد محتضنًا إياه، وقال له مطمئنًا:

- ما تخافش، أنا هاجيبلك واحد غيره وهانقلك كل حاجة عليه.

توقفت دموع عمر قليلًا ثم قال لزياد:

- Do you promise?

ابتسم زياد وقال صدقًا وهو يضع إصبعه في إصبع عمر:

- Pinky promise.

خالد المصري

القسم الآن

سار خالد في ردهات القسم وهو يطلق صفيرًا بسيطًا من بين شفتيه على غير عادته. كان معتدل المزاج اليوم، أقرب إلى السعادة منه إلى أي شيء آخر. لم تظهر أي بارقة أمل في حل القضية، وهو شيء محبط كان سيجعله تعسًا مهمومًا في الغالب، ولكنه اليوم سعيد بما حدث في حياته الشخصية. وافقت محبوبته أخيرًا على خطبته وقد ترجاها مرارًا ولم ترضَ به قَطُّ. كان اليوم عاشقًا منتشيًا بنشوة القبول التي ترجاها سنوات. لماذا وافقت أخيرًا؟ لم يفهم بصدق، لكن منذ متى يتفهم الرجال طبيعة النساء؟! كل ما يعلمه أنها قبلت به أخيرًا. لامه عاصم كثيرًا على حبه وتفانيه في حب من طرف واحد، بل أصر أنها تلعب به وبمشاعره الكرة، لكنه ثبت على موقفه وعلى حبه، واليوم أثمر إصراره.

كان قد وصل إلى وجهته فطرق الباب ودلف بابتسامة على وجهه وحيًّا مجموعة من زملائه، ثم اتجه إلى أحدهم الذي كان منكبًّا يتفحص إحدى الشاشات أمامه:

- صباح الورد يا شباب. ها يا درش، لقيت أي حاجة في شرايط الكاميرا بتاعة المحل؟

هز رأسه وقال بصدق:

- بصراحة لأ يا خالد باشا، خصوصًا إني أصلًا مش عارف بادور على إيه.

- بندور على تصرفات غريبة، حد من معارف جاسر أو جاسر نفسه ظهر في المحل، زياد مثلًا؟

مرة أخرى هز رأسه نافيًا وقال لخالد بصدق:

- خالص. رضا معظم الوقت قاعد على تلفونه، بيدخل حد ياخد منه الجهاز ويديله وصل وخلاص.

- هو مش رضا بنفسه اللي بيصلح الأجهزة؟ اللي فهمته إنه شاطر في ده جدًّا.

- أعتقد أه سعادتك، بس مش باين في الكاميرا. هو الجهاز بيجيله، بعد ما بيدي صاحبه الوصل بيدخل بيه جوه.

أشار لخالد على الشاشة أمامه حيث زاوية صغيرة في نهاية المتجر الضيق، بدا أنها مخزن، لا يذكر خالد أنه انتبه إليها وهو في المتجر، في الغالب كان الباب الخشبي المؤدي إليها مغلقًا ولم يرَ خالد أن وراءه غرفة أخرى صغيرة.

- مفيش فيديو لكاميرا جوه؟

- ما أعتقدش أصلًا سعادتك إن فيه كاميرا جوه، كده كده المحل ملوش غير باب واحد، يعني لو فيه حد خد أو سرق حاجة برضو هيبان في الكاميرا دي.

أومأ خالد برأسه موافقًا، ثم سأله:

- طيب رضا بيقعد جوه وقت طويل؟

- ساعات بيفضل قاعد جوه لغاية ما حد يدخل المحل.

بدا هذا منطقيًّا، فعمله الأساسي تصليح الأجهزة، وهو في الغالب يقوم بإصلاحها في داخل هذه الغرفة الصغيرة التي لا تظهر بوضوح على الشاشة.

- طيب جرِّي كده شوية ورِّيني أبص معاك بصة.

- تحت أمر سعادتك يا خالد باشا.

قام بتشغيل الفيديو وجعل سرعته مضاعفة. بدا الفيديو مضحكًا وقد دخلت الناس بسرعة وخرجت من المتجر بعد أن تركت أو تسلمت أجهزتها. ظلت عينا خالد تنظران بتركيز لعله يلمح ما غاب عن زميله، إلى أن ظهر شاب يرتدي قبعة عليها علامة إحدى فرق كرة القدم الشهيرة، فقال بسرعة:

- وقَّف!

تجمدت الصورة على ظهر الشاب الذي لم يظهر وجهه بوضوح بعد أن اختفت معظم ملامحه خلف قبعته، ولكن هيئته وهيئة جسده جعلتا خالد يتفقده بتركيز أكبر.

- مشِّي كده خلينا نشوف لو ظهر وشه في لقطة تانية.

قام بالتشغيل مرة أخرى ليظهر الشاب وهو يتحدث مع رضا ويعطيه جهاز حاسوب محمولًا، ولكن وجهه لم يظهر بوضوح في أي مشهد، حتى في لحظة خروجه من المتجر كان ينظر إلى أسفل فلم ترصد الكاميرا وجهه قَطُّ. زفر خالد بضيق، فقال زميله:

- إيه يا خالد بيه؟ بتفكر في إيه؟

- الولد ده.

صمت خالد شاردًا في الشاشة، فاستحثه الضابط الشاب:

- ماله سعادتك؟

- زياد! الولد ده شبه زياد ابن جاسر!

فارس

عدة أشهر قبل الحادث

وقف فارس شاردًا وهو ينظر من وراء زجاج نافذة غرفته إلى حديقة منزله الممتدة أمامه، تخبطت مشاعره وهو يفكر في حياته: كيف لحياة شاب في التاسعة عشرة أن تكون بهذا القدر من الآلام والتخبط؟! اعتراه الغضب ثم تغيرت مشاعره في لحظة إلى الحزن، ثم جاء الخوف عاصفًا بكيانه. وضع كلتا يديه على رأسه محاولًا أن يوقف سيل الأفكار والمشاعر التي تجتاحه. انتبه وأنزل يديه حين خطا رجل لا يعرفه إلى الحديقة، تأمل ملامحه التي ظهرت بوضوح من حيث يقف، ثم مرت عدة دقائق ودخلت والدته في زاوية رؤيته واتخذت مع الرجل الغريب مقعدًا. شعر بحرارة الغضب تسري في عروقه. جزم من دون أن يرى وجهه في المرآة أن وجهه تحول إلى اللون الأحمر. راودته نفسه أن يقتلع رأس الرجل أو يطرحه أرضًا ويكيل له ركلات متتالية، ثم التفت إلى أحد الأوزان الثقيلة الموجودة على الأرض بإهمال، وتخيل لثوانٍ أنه يضرب وجه الرجل بها وتتناثر

دماؤه داخل عقله، وقد تلوث الوزن الفضي بالدم الأحمر الداكن. علت شفتيه ابتسامة غريبة للمشهد الدامي الذي ارتسم في عقله، ولكنه مرة أخرى وضع يديه على رأسه ليمحو آثار هذه الأفكار العنيفة التي تكاد تتمكن منه. لا يدري بالضبط متى بدأت هذه الأفكار تلاحقه، فقط لاحظ أنه أصبح أكثر غضبًا وعنفًا، فجأة أصبح يميل بشدة إلى الجلوس وحيدًا ولا يخرج من غرفته إلا قليلًا. يجر قدميه جرًّا إلى المدرسة، وأصبح يتشاجر بشكل يومي مع والدته.

راح يتأمل والدته المثيرة وهي تتحدث مع الرجل الغريب، وظلت الدماء تغلي في عروقه. تراجع إلى الوراء وجلس على طرف فراشه ثم ضغط على أزرار هاتفه وأرسل رسالة قصيرة إلى مريسا مدبرة المنزل لتأتي له ببعض الشطائر، ثم جلس شاردًا يقلب في ألبوم الصور على هاتفه. رأى زياد ولارا وقد ارتسمت الضحكات على ملامح ثلاثتهم. مر بسرعة تارة وببطء تارة على صور جمعتهم عبر السنوات. تعارفوا صغارًا، وعلى الرغم من أنه يكبر زياد بعدة أشهر فإن زياد خطا بثبات إلى أولى سنواته في الجامعة، في حين تعثر هو سنة وظل مع لارا في نفس الفصل وفي نفس المدرسة. ما زال زياد الأقرب إليه من بين كل أصدقائه، ولكن لارا وقفت في السنوات الأخيرة بينهما وكأنها مرآة تعكس مشاعر كليهما بوضوح. لم يحاول فارس إطلاقًا أن يحصل على نصيب من قلب لارا، فمنذ البداية كانت لزياد، وقلبها لن يكون لغيره، يعلم فارس هذا حتى إن لم تصدقه لارا نفسها. يحبها فارس أيضًا بلا شك، ولكنه لم ينافس على قلبها، فقط ارتضى بها أختًا وصديقة، والحق أن ما جال بخاطره حولهما هو الخير

والحب فقط، ولكن شيئًا ما تغير في قلبه في الآونة الأخيرة، تخبطت مشاعره واختلفت. بدأ الأمر حين قرر أن يخرج مع مجموعة أخرى من الأصدقاء ويترك مساحة للارا وزياد للخلوة التي يريدها ويتمناها زياد بشدة. اندمج مع هذه المجموعة، ولكنه انزلق فيما لا يحب وما لم يعتد. اعتدل مرة أخرى واقفًا وهو يسمع طرقات على باب غرفته. هذه إذن مريسا تحمل شطائره.

- Come in.

دلفت إلى الغرفة وهي تحمل بضع شطائر يحبها، وكوبًا من عصير البرتقال الذي لم يطلبه ولكنه يحبه. ابتسم لها وهي تبادله الابتسامة الحانية نفسها، فقد كانت أقرب إلى أن تكون أمه من نانسي نفسها. وضعت الطعام والعصير وخرجت من الغرفة بعد أن تبادلت معه كلمات قليلة اطمأنت بها عليه. تنهد وبدأ في التهام الشطائر شاردًا في كل شيء: لارا، زياد، أمه! إلى أن تناهى إلى مسامعه صوت خطوات تصعد الدرج، تعرَّف فيها على صوت أقدام والدته يصاحبه صوت أقدام أخرى، فوضع كوب العصير والشطائر جانبًا وسار إلى الخارج ليرى من يصعد الدرج مع والدته. ما إن رأى جاسر مرتضى يصعد الدرج وقد وضع يده على ظهر نانسي والتحمت عيناه به حتى اشتعلت نيران الغضب في جسده مرة أخرى، وبدا أنه سينقض عليهما. لم يدرِ متى بالضبط جاء جاسر ومتى رحل الزائر المجهول، ولكن مشاعره من رؤية جاسر تحديدًا مع والدته كانت أشد حدة. لم يعد صغيرًا، بل أصبح إلى الرجال أقرب، فلا تخفى عليه أبدًا نظرات أمه لجاسر ولا ما يظهر في تعاملاتهما!

وقف متحفزًا لرؤيتهما على آخر الدرج. تسمرت نانسي للحظات وظهر الخوف على ملامحها، في حين ثبت جاسر، فنظر إلى عينيه بثبات وبدا له فيهما شيء لم يتمكن فارس من فهمه بالضبط، ولكنه أبعد يده عن ظهر نانسي وصعد الدرج إلى حيث يقف فارس ومد يده ليصافحه:

- إزيك يا فارس يا حبيبي؟ عامل إيه النهارده؟

عاد فارس إلى الوراء خطوتين ثم رفع قبضته فجأة ليكيل لطمة قوية لوجه جاسر الذي ساعدته سرعته وعمله السابق في الانحناء، فاختل توازن فارس وكاد يسقط إلى الأمام ويهوي من الدرج، ولكن يدَي جاسر القويتين تلقفتاه من الخلف وسندتاه وقيدتا حركته في الوقت نفسه، وارتفع صوت شهقة نانسي التي تابعت المشهد بلوعة وتوتر. جاءت مرسا ركضًا على إثر الجلبة وصوت صراخ نانسي، في حين ظل فارس الذي قيد جاسر حركته تمامًا يصرخ ويضرب الهواء بقدميه، وقد ارتفعت قدماه قليلًا عن الأرض بفعل ذراعَي جاسر القويتين اللتين أحاطتا به في قوة.

- Calm down Fofy. calm down.

قالتها مرسا بحنان بالغ وهي تحاول الوصول إلى كتف فارس الذي ظل يصرخ بصوت مرتفع:

- لو شفتك جنب أمي تاني هاقتلك! سيبني! فاهم؟ أنا هاقتلك!

عاصم الحسيني

الآن

اتخذ عاصم مقعدًا في مكتبه وظل يحدق في الحائط أمامه صامتًا. كانت الساعة قد اقتربت من الثامنة مساءً، ولكنه لم يكن يريد أن يذهب إلى البيت الخاوي. تركته زوجته المؤقتة اليوم لمشاغل أخرى، ولن تأتي هذا الأسبوع بأكمله. لا ينكر أنه شعر ببعض الإحباط: هل يفتقدها؟ أيعقل أن تتحول هذه الزيجة إلى شيء أكثر مما هي عليه؟ ابتسم وهو يتذكر حماستها الطفولية وهي تتحدث عن المفتاح الذي لم يُعثر عليه. كانت محقة بلا شك، فلم يأتِ أحد على ذكر مفتاح الشقة على الإطلاق مرة أخرى. دلف جاسر به ثم اختفى. لم يوجد مع رضا كذلك. حتمًا وُجد شخص آخر في الشقة وحمل المفتاح معه. لماذا؟ ربما أراد أن يعود مرة أخرى، ربما أراد أن يبحث عما لم يجده في المرة الأولى، ولكن ما الذي كان يبحث عنه بالضبط؟ ثم إن فكر بالمنطق بدا هذا التفكير غير منطقي من الأساس!

تنهد وهو يلقي نظرة على ملف دينا الذي امتلأ بالمعلومات عنها وعن أسرتها وقد وُضع على سطح مكتبه. والدها اللواء أحمد المرعشلي كان أحد أكفأ وأمهر ضباط الداخلية طوال فترة خدمته، عُرف بشدته وحزمه وانضباطه، دينا ابنته الوحيدة كانت متزوجة من ضابط سابق عُرف هو الآخر بانضباطه وشدته، استقال ليدخل عالم البزنس، ولا شك أن ثقل حميه ونفوذه ساعداه أن يشق أولى خطواته في هذا العالم الذي برع فيه بعد ذلك. تزوجته لخمس عشرة سنة وأنجبت منه لارا وعمر.

فتح موقعًا من مواقع التواصل الاجتماعي على حساب دينا الشخصي الذي لم تغلقه كمفتاح الباب الذي تركته ببساطة خارج الباب لأي متلصص. نظر بجدية إلى عينيها العسليتين من وراء نظارتها الطبية، وتأمل صورة البروفايل الخاص بها: تنظر بتحدٍّ مستتر، يتناثر شعرها المموج الكيرلي، تقف شامخة بجسد رشيق أمام مبنى ما، في الغالب هو حيث تعمل. ضغط على بعض الأزرار ليدلف إلى حيث تحتفظ بصورها، ومرر إصبعه إلى أسفل ليرى صورها. توقف عند إحدى الصور، وقفت دينا فيها متصلبة وقد تخشبت ملامحها وارتسمت ابتسامة مصطنعة على شفتيها، على كتفها يد رجل ما وإن بُترت الصورة ومُحيت عن عمد، هي في الغالب يد زوجها السابق. وقفت لارا بجوارها، في حين التصق بها جسد عمر وهو ينظر إلى أعلى لها. تأمل عاصم الصورة لعدة دقائق. بدت تعيسة، بل بدت شاحبة كالموتى، وقد خبا تمامًا بريق عينيها الذي لا يمكن ألا تلاحظه. أشعل سيجارة ونفث دخانها بهدوء، وظل يتصفح الصور

وإن عاد سنوات إلى الوراء. مر بأطراف أصابعه على الصور بسرعة إلى أن توقف عند صورة أخرى التفَّت فيها يد دينا حول عنق وذراع لارا، ولم تتخطَّ لارا وقتها الثالثة من عمرها، وبجوارها وقفت امرأة قمحية اللون جذابة تلتف ذراعاها أيضًا حول طفل صغير بدا أكبر من لارا بسنة أو أكثر قليلًا. دقق عاصم في ملامح الطفل ثم تعرَّف فيها على ملامح زياد. قرَّب أصابعه وقام بتكبير الصورة ليتأمل ملامح نهلة والدة زياد، ظهرت في الصورة جميلة وواثقة، معتدة بنفسها، وعلى كتفها حمَّالتان، خمن عاصم أنهما لحقيبة ظهر وُضعت على ظهرها وإن لم تظهر في الصورة. مرر أصابعه إلى أسفل لتظهر صورة فرح جاسر ونهلة التي كانت عروسًا شديدة الجمال، وقد تألقت دينا في فستان أزرق اللون، وابتسمت ابتسامة واسعة، والسعادة ظهرت على وجهها تمامًا، ولكن شيئًا آخر استوقفه مرة أخرى. قام بتكبير الصورة التي كانت على طرف إحدى زوايا قاعة الأفراح، تأمل عاصم وهو يدقق فقط ليتأكد أن وائل هو من ظهر في الصورة خارج القاعة من وراء الباب المفتوح، وقد وُضعت كلتا يديه على نانسي الرحمي كأنه يدفعها إلى الخلف!

اعتدل عاصم وهو لا يزال ينظر إلى الصورة. لم يخطئ وجه نانسي حتى إن مرت عليه سنوات طويلة، وبالطبع لم يخفَ عليه وائل العدل، ولكن ما الذي تعنيه هذه الصورة الغريبة؟ بدت صورة بها عداء واضح من وائل لنانسي. هو لم يكن ظاهرًا يوم العزاء، وإن ظهر شيء ما، ولكن هل يعني هذا المشهد أي شيء؟ ليلة زفاف جاسر ونهلة؟ وصورة بها عنف بين نانسي ووائل؟ رفع سماعة هاتف مكتبه

وضغط على بعض الأرقام وما زالت عيناه مثبتتين على الصورة على هاتفه المحمول. انتظر إلى أن جاءه صوت على الطرف الآخر.

- ما تجيلي كده يا خالد المكتب.

أغلق الهاتف وقد وعده خالد أن يكون أمامه بعد عدة دقائق. دوى صوت دينا في عقله وهي تقول «٩ ديسمبر ٢٠١٠». عاد مرة أخرى إلى صفحة دينا الشخصية ثم كتب التاريخ، ثوانٍ وظهر مَن ينعى نهلة على صفحة دينا التي وضعت كلمات عزاء مؤثرة. عاد بجسده إلى الوراء ثم خط على إحدى الأوراق البيضاء أمامه:

نهلة... دينا... جاسر... وائل... نانسي!

وائل العدل

ديسمبر ٢٠٠٣

أرخى وائل جسده على أحد مقاعد البحر المريحة وقد وضع على جسده الرياضي مكتمل الرجولة بعض كريمات الحماية من الشمس. التمعت سلسلة معدنية التفت حول عنقه من انعكاس الشمس عليها. كان منظر البحر مغريًا جدًّا للسباحة، وقد امتدت مياهه الشفافة فاستطاع أن يرى الأرض الرملية من حيث يجلس. خرجت بعض أنغام الموسيقى من مشغل الموسيقى الخاص به وقد وضعه على طرف المقعد الآخر الذي وضع عليه جاسر منشفته، وقد غاب عن عينَي وائل سابحًا في البحر. التقط من صندوق الثلج الموضوع بجواره إحدى زجاجات البيرة المثلجة ووضعها على شفتيه وهو يتابع بعينيه جاسر الذي بدا مستمتعًا بشدة بجمال المياه.

- إيه؟ مش هتنزل يا وائل ولا إيه؟ الميه شكلها يهبل!

رفع وائل عينيه إلى نانسي التي حالت بينه وبين الشمس التي كانت تلتمع على زجاج نظارته الشمسية الفخمة. كانت ترتدي ثوب سباحة

من قطعتين وقد التمع جسدها هي أيضًا بعد أن وضعت عليه كثيرًا من كريمات الحماية وتغيير اللون التي تعشقها النساء. كانت مثيرة بشكل لا يوصف بالكلمات. زم شفتيه وقال لها:

- هانزل أكيد. شوية كده. ما تقعدي معايا.

- لأ، هانزل الميه مع جاسر.

ضغطت على حروف كلمة «جاسر»، فابتسم لها وائل وتابعها بعينين متعطشتين وهي تخطو بقدميها إلى المياه وتصدر أصواتًا صارخة مغرية لبرودة المياه. التفت إليها جاسر، وما هي إلا لحظات حتى كان قد أغرقها في المياه مازحًا، وانطلق كلاهما في مشهد أثار غيرة وائل الذي أخرج سيجارة وأشعلها ثم أراح رأسه وأغلق عينيه تاركًا نسمات الهواء الباردة تضرب وجهه في حين ظلت أفكاره عن نانسي تضايقه. كانت صديقته منذ أن كان في الثالثة عشرة من عمره، والدها مثله كوالد جاسر، اجتمع في صفقات عديدة مع والد وائل، ولكنه يعرفها قبل جاسر بسنوات. يحبها؟ لم يكن وائل قَطُّ من محبي الحب، ولكنه بلا أي مواربة يشتهيها، وكاد يحصل منها على مراده، ولكن ظهور جاسر في المشهد قلب الموازين، فوضعته بحزم في خانة الأصدقاء. تراجع وائل ليترك لجاسر الكعكة كما يقولون. زفر وقد تناهى إلى مسامعه صوت ضحكاتها الماجنة، ثم انتفض من فوق مقعده وآثر السير على رمال البحر قليلًا، فلن يخسر أعز أصدقائه وأقربهم إليه بسبب علاقة يعلم يقينًا أنها لا تعني له أو لجاسر أي شيء حقيقي. لا ينكر أنه تعاطف قليلًا مع نانسي، فقد شعر بأنها تحب جاسر بصدق، وأن الأمر بالنسبة إليها يتعدى حدود

المرح الذي اعتادت عليه. كان الأحرى به أن ينبهها، ولكنه قال في نفسه وهو ما زال يسير شاردًا: «She's a big girl. She knows what she's doing».

أكمل سيره وهو ينظر إلى البحر وقد ترك وراءه نانسي وجاسر بمسافة. أطلق من شفتيه صفيرًا يشغله عن أفكاره إلى أن ارتطم فجأة بشيء ما على الأرض الرملية، وجاء صوت أنثوي غاضب من ورائه يقول بحدة:

- إيه؟ إنت مش بتشوف ولا إيه؟!

انتبه وائل إلى أنه اصطدم بما بدا أنه كان قلعة رملية، وأنه أطاح بمعظمها بقدميه من دون أن ينتبه. تمتم بكلمات اعتذار وهو يتأمل فتاة هادئة الجمال تنظر إليه بحنق وقد تطاير شعرها المموج ليرتطم بنظارتها الطبية. ارتدت ثوب سباحة من قطعة واحدة وغطت كتفيها وقدميها بما يطلق عليه «كاش مايوه» وإن ظهر جمالها وتناسق جسدها من خلفه. قال مرة أخرى بصوت أكثر وضوحًا:

- أنا آسف! معلش! كنت ماشي سرحان!

- استفدت أنا إيه بقى؟ أنا بقالي ساعة بابنيه!

ابتسم رغمًا عنه، فقد بدا حنقها طفوليًّا مبهجًا بشكل غريب. فتاة في العشرين من عمرها غالبًا، تغضب لقلعة رملية! زم شفتيه بابتسامة أرادها أن تكون ساحرة، وقال:

- آسف تاني! ممكن أساعدك تعملي واحدة تانية، إيه رأيك؟

- شكلك ما يوحيش بكده!

اتسعت ابتسامته وقال لها:

- ما يوحيش بإيه بالظبط؟ إني باعرف ألعب في الرملة؟

قالها مازحًا، والحق أن ملامحها ارتخت رغمًا عنها، وانسلت منها ضحكة وقد شعرت بحماقة غضبها. علت حمرة خفيفة وجهها، فمد يده إليها يصافحها:

- أنا وائل، وائل العدل، وبابني قلاع عادي على البحر! جربيني وهاعجبك!

ابتسمت مرة أخرى ومدت يدها تصافحه وتقول بصوت متردد:

- أنا دينا، ودي صاحبتي نهلة.

وقعت عيناه لأول مرة على وجه صديقتها التي لم ينتبه لوجودها وقد انشغل تمامًا بحواره مع دينا، ومد يده يصافح صديقتها التي لم تكن تقل عنها جمالًا، وقال:

- أهلًا يا دينا! اتشرفت يا نهلة!

نانسي الرحمي وخالد

الآن

جلس المقدم خالد في سيارته لبضع دقائق مفكرًا. مرت عدة أيام على القضية ولم تصل التحقيقات إلى أي شيء تقريبًا. ما زال ينتظر أن تأتيه الفيديوهات الخاصة بكاميرات المراقبة في المول التجاري الذي عمل به رضا، لعله يستطيع أن يصل إلى الشاب الذي يظن أنه زياد، ويتأكد إن كان هو أم لا. لم يجد الكثير حول رضا نفسه، ولم يصل إلى أي شيء مريب قام به جاسر يمكن أن يكون دافعًا إلى قتله في الآونة الأخيرة تحديدًا، فهو في سنواته الأخيرة لم ينخرط في أي شيء غير قانوني أو منحرف، بل أجمع العاملون معه في شركة الأمن أنه كان يعمل بجد ويتعاون مع الجميع، الكل يحبه ويكن له كثيرًا من الاحترام. لم يظهر بعدُ دافع إلى قتله أو دافع إلى وجوده في شقة دينا حتى هذه اللحظة. كانت أفكار خالد كلها تدور حول أن اللغز كله في «لماذا؟»، لماذا كان هناك من الأساس؟ ظل كذلك مفتاح الشقة الذي دلف به

جاسر إلى البيت مفقودًا، وقد أمر عاصم بتفتيش البيت مرة أخرى والمنطقة حوله لعلهم لم يعثروا عليه في أول مرة سهوًا، ولكن لم يُعثر عليه، أخذه القاتل الذي لا بد أن يكون شخصًا آخر غير رضا، ولكن مرة أخرى «لماذا؟».

كلاهما، عاصم وخالد، تشابكت لديه الخيوط، أمسك كلٌّ منهما طرفًا منها وانطلق بحثًا على أمل الوصول. اليوم هو يريد أن يشد طرف خيط نانسي الرحمي التي أمره عاصم أن يدقق في بحثه عنها، فهي تعرف القتيل وقاتلة الجثة الأخرى منذ زمن بعيد، ويبدو كذلك أن علاقتها بالقتيل شابها شيء ما، وكذلك انغمست مع وائل العدل في شراكة من الباطن في بعض الصفقات، هي شخص مهم في هذه القضية لا ريب. كان قد وضع سيارته أمام المقهى الذي تعتاد الجلوس فيه، وقد استطاع من مكانه رؤيتها. تأمل خالد ملامح وجهها من بعيد، ولم ينكر أن عاصم لديه كل الحق في أن يمتنع عن التحقيق معها بنفسه وأن يرسله بدلًا منه في هذا التحقيق تحديدًا.

كان خالد يحب عاصم جدًّا ويتعلم منه الكثير، فهو ضابط مباحث محنك شديد الدهاء، ولكن عقله يخيم عليه دائمًا سحر مفاتن النساء، من قبل أن يطلق زوجته عانى من البقاء لها مخلصًا، أما هو فيهيم حبًّا ويتمنى أن يكبر مع حبيبته. لم يفهم قَطُّ قيمة التنقل بين النساء، فأن تجد لنفسك موطنًا وفراشًا دافئًا أجمل بكثير من النوم في غرف الفنادق وإن كانت مترفة، وتمنى أن يستقر عاصم في زيجة حقيقية بدلًا من تخبطه بين أحضان من لا تليق به.

تنهد وهو يترجل من سيارته متجهًا إليها. كانت نانسي تجلس بجسد مشدود وظهر منتصب إلى إحدى طاولات المقهى في مرمى بصره، متزوجة من رجل أعمال خليجي من ذوي النفوذ، ولا غبار على سمعته، ولم يظهر انخراطه في أي عمل مشبوه. لا تعمل ولم تعمل قَطُّ، ولكن التحريات تؤكد أن ثمة علاقة عمل بينها وبين وائل، وإن لم يتضح كنهها بعدُ. ليس لديها أبناء سوى فارس الذي كان تقريبًا في عمر زياد أو يكبره بعدة أشهر، ولكنه تعثر في الدراسة، فما زال ينهي عامه الأخير في المدرسة مع لارا. لم يظهر في التحريات المبدئية أن هناك علاقة خاصة بينها وبين جاسر مرتضى الآن وهي متزوجة، ولكنه سمع من بعض الأمهات اللاتي تحدث إليهن، كما أمره عاصم، أن هناك بعض الشائعات تقول إنه يزورها في بيتها ليلًا، وأن هناك صورة تداولتها الأمهات سرًّا فيما بينهن تجمع بينها وبين جاسر في سيارته. رأى خالد الصورة بنفسه، أخرجتها إحداهن بحذر لتضعها أمام عينيه، ولكنه لم يرَ فيها ما يشين أو يثبت أي شيء، فقط ظهرت نانسي تجلس في المقعد الأمامي بجوار جاسر في سيارته، ربما بدا أمرًا غريبًا لأن الوقت كان متأخرًا ليلًا، ولكنه من الممكن أن يكون عاديًّا، ربما ذهبا معًا إلى حفلة أو ما شابه، أو لأي سبب قام بتوصيلها بالمصادفة إلى مكان ما.

كان يعلم كذلك أن الدخان لا بد له من نار تظهره، ولكنه لم يرَ هذه النار في الصورة، ربما اشتعلت هذه النيران برقم هاتفها الشخصي الذي تحدثت منه مع جاسر قبل موته عدة مرات، ليس في هذا

اليوم فقط، بل الأيام التي سبقت موته كذلك، كما ظهر في سجل المكالمات الخاصة بهما. لم يجد أي علاقة من قريب أو بعيد بينها وبين رضا. ترك سيارته واتجه إلى حيث تجلس وقدم نفسه بصوت قوي حازم:

- المقدم خالد المصري. مدام نانسي، عايز أتكلم مع حضرتك شوية.

رفعت عينيها اللتين اختبأتا خلف نظارتها الشمسية الداكنة، وقالت بشيء من البرود واللامبالاة:

- بخصوص إيه؟

- جاسر مرتضى.

قالها بنفس الحزم وهو يتخذ مقعدًا من دون أن تدعوه للجلوس. آثر ألا يطلبها في القسم لعدم وجود أي رابط بينها وبين القضية بشكل مباشر وبسبب جنسية زوجها ونفوذها بشكل عام. الحديث الودي معها أفضل، لعله يصل إلى شيء أكثر من غرفة التحقيقات. نزعت نظارتها لتُظهر عينيها الواسعتين اللتين تلونتا بلون رمادي غريب، ولكن عينَي خالد لم تغفلا الهالات السوداء التي بدت أسفلهما. لم تكن نانسي من النساء اللاتي يتجاهلن هذا الأمر، لا بد أن مئات الكريمات والجلسات التجميلية كانت ستمحو آثار هذا السواد، ولكنه يظن أنها لا تنام في الغالب، وقد انشغل عقلها بما هو أهم في هذا الوقت من مظهرها الذي توليه اهتمامًا شديدًا.

- الله يرحمه. ماله؟

- إيه علاقتك بيه بالظبط؟

- معارف من زمان، وأبو زياد صاحب فارس ابني وزميله من الحضانة.

- بس كده؟

رفعت أحد حاجبيها وهي تنظر إليه باستنكار متحدٍّ، ثم قالت بنفس الحزم:

- بس كده.

- إنتو تعرفوا بعض من قبل زياد وفارس ما يبقوا أصحاب، مش كده؟

أومأت برأسها ببرود من دون أن تقول المزيد، فأكمل بنفس الثبات والحزم:

- منين؟

ظلت صامتة للحظات وكأنها تتذكر متى بدأت هذه العلاقة ومن كان السبب الرئيسي فيها، ثم قالت وهي تتنهد كأن هذه الذكريات قد جاءت بأسى:

- كان صاحب وائل. أبوه كان صاحب أبو وائل. وأنا ووائل كنا نعرف بعض من النادي. وائل عرَّفنا ببعض لما كنا في الجامعة تقريبًا.

- يعني من خمسة وعشرين سنة كده، صح؟

امتقع وجهها وهي تحاول أن تجد كلمات مناسبة ردًّا على أنه ذكَّرها بشكل مباشر بعمرها الذي تتفادى الحديث عنه، ثم قالت:

- أه تقريبًا.

- طيب ودينا؟ عرفته إمتى وإزاي؟

طاف بعقل نانسي رغمًا عنها أول يوم ظهرت فيه دينا في حياة ثلاثتهم، ثم قالت وهي شاردة:

- اتعرفنا عليها صدفة في الساحل من سنين برضو.

- كان فيه بينها وبين جاسر أي حاجة؟

هزت رأسها نافية وقد تمثلت لها ملامح نهلة للحظات، وقالت:

- خالص. وقتها ما كانش شايف غير نهلة.

تغيرت ملامح نانسي لثوانٍ عندما نطقت بأحرف اسم «نهلة». لم تكن سوى ثوانٍ، ولكنها لم تخفَ على عينَي خالد المدربتين.

- إنتِ كنتِ تعرفي نهلة مراته كويس؟

مرة أخرى تغيرت ملامحها لثوانٍ ثم عادت إلى جمودها وبرودها وهي تقول:

- اتعرفنا عليها في نفس الوقت مع دينا. كانت صاحبتها أوي.

- دينا ونهلة تقصدي؟

- أيوه، كانوا مش بيفترقوا.

صمت خالد يريد أن يخرج بأي شيء قد يلقي الضوء على قتل جاسر، ثم قال معيدًا عليها السؤال بطريقة أخرى:

- طيب بعد ما نهلة ماتت كانت إيه علاقته بدينا؟

- قربوا من بعض أكتر أكيد، هما الاتنين كانوا متدمرين بسبب موت نهلة طبعًا، لكن دينا كانت متجوزة لغاية من سنة واحدة بس، يا دوب اتطلقت.

- وإنتِ؟

- أنا إيه؟!

- علاقتك بجاسر بعد موت نهلة حصل فيها إيه؟

اعتدلت في جلستها وقد امتعضت ملامحها بشدة، وزمَّت شفتيها اللتين تلونتا باللون الأحمر الداكن، وقالت بلهجة مستنكرة يشوبها التعالي:

- هو إنت عارف أنا مين ومتجوزة مين؟

لم يظهر على وجهه الخوف أو التأثر، وقال بنفس الحزم الذي بدأ به حواره:

- مش ده رقمك يا مدام نانسي؟

رفع خالد هاتفه ووضعه أمام عينيها المرهقتين، فأومأت برأسها.

- بينك وبين جاسر ييجي عشرين مكالمة في الأسبوع اللي قبل ما يتقتل!

حركت كتفيها بلامبالاة ونظرت بشرود للحظات في الاتجاه المعاكس. لم يفهم خالد بالضبط ما الذي يعنيه التفاتها إلى الاتجاه المعاكس، وهمَّ أن يصبح أكثر حزمًا مُذكرًا إياها بأنه ضابط ويحقق في جريمة قتل وأن عليها أن تولي الحديث اهتمامًا أكبر، ولكنها التفتت إليه مرة أخرى وقالت بشكل مفاجئ:

- إنت عندك ولاد يا خالد؟

قالت اسمه بلا لقب متعمدةً، ثم استدركت قبل أن تعطيه فرصة للإجابة:

- عارف يا سيادة المقدم، الواحد عشان خاطر عياله بيعمل أي حاجة!

لم ينطق منتظرًا أن تكمل هي، فقد شعر بأن هناك حملًا ما يطبق

على أنفاس هذه السيدة، وإن أرادت أن تبدو قوية فهي تريد من يحمله معها.

- كنت باكلمه عشان فارس!

جاسر مرتضى

عدة أشهر قبل الحادث

أطفأ جاسر سيجارته السابعة لهذا اليوم الذي بدا كأنه يمر ببطء لا يُحتمَل. عاد حالًا من أحد الاجتماعات التي اعتاد الذهاب إليها. يجلس على كرسي وسط جموع لا يعرف معظمها، وإن اعتاد الوجوه وألفها وإن لم يعرف أسماءها. مضى الآن ما يقرب من ثلاثة أعوام على التزامه بهذه الاجتماعات. نهلة أرادت له هذا. ابتسم وهو يفكر أنها جاءت في المنام لتخبره برغبتها في استقامته وتركه لشرب الخمر وأن الوقت قد حان. غيرته وغيرت دفة حياته حتى بعد رحيلها. عقله الباطن لعب عليه هذه اللعبة في الغالب، أو ربما كما يقولون في اجتماعات الإدمان: سقط إلى آخر بئر الهاوية فارتطم بالقاع، فلم يعد هناك مجال إلا للصعود إلى أعلى. مرت سنوات طويلة على فراق نهلة، ولكنه ظل هائمًا على وجهه متخبطًا بين كؤوس الخمر ومخالفات عظيمة حتى فُصل من عمله في الشرطة. لم تستقم حياته بعد موتها مباشرة على الرغم من أن زياد كان صغيرًا يحتاج إليه بشدة،

ولكنه ألقى بحمله على طيف آخر من أطياف روح نهلة؛ دينا، التي حملت على عاتقها تقريبًا تربية زياد. انتشلته من تخبط جاسر وعذاب فراق نهلة إلى أن ارتطم هو بالقاع فقرر أن يلملم شتات نفسه لعله يريحها من عذاب صوت الضمير الذي يئن صارخًا في روحه كل يوم منذ أن رحلت عنه.

ألقى بجسده على الأريكة التي تتوسط غرفة المعيشة وتذكر ابتسامة دينا المشجعة حين أخبرها أنه يريد أن يبدأ رحلة التعافي من إدمان الخمر، والحق أنها انتصبت واقفة لتضع كتفها في كتفه لتكون له كالحائط الصلب، يستند إليها حتى تستقر قدماه على الأرض، بل إن زياد الذي كان تقريبًا في الخامسة عشرة من عمره قام بنفس الدور في أيام ثقيلة طالت فيها معاناته، ولكنها مرت ليصبح لأول مرة sober. انتظمت أنفاسه وصدقت خطواته في إصلاح ما أفسده، حتى إنه ذهب إلى قبرها وركع معتذرًا إلى روحها. اختنقت أنفاسه حين تذكر اعتذاره إليها. زاغت عيناه ووقعتا على صورة قديمة موضوعة على الرف كانت تجمعه بها، تقف في الصورة بجواره، مبتسمة بسعادة، تتطلع إلى عينيه وكأنهما تحويان لها الدنيا بأكملها.

اقشعر بدنه وهو يتذكر كيف أن هاتين العينين اللتين تشعان حبًّا وحياة قد خبا بريقهما عندما أخرجها أخيرًا من السيارة ليلة الحادث. استرجع في ذهنه مشاهد ذلك اليوم البشع مرات لا تُحصى. كم تمنى لو لم يحتسِ تلك الكؤوس من الخمر التي أطاحت بعقله تمامًا! كم تمنى لو لم يتفوه بتلك الكلمات القاسية ردًّا على تأنيبها له، على اتهامها له بأنه قد يقتل ولدهما الوحيد بطيشه!

لم يعرف كيف وجد نفسه وقد أخرج حاسوبها المحمول القديم الذي لم يقم بتشغيله منذ هذا اليوم المشؤوم. ضغط شاردًا على شاشة كلمة المرور التي ظهرت أمامه، فوضع بلا وعي تاريخ ميلاد زياد، وفي لحظتها فُتحت الشاشة أمامه، ولكنها ظلت سوداء، ثم ظهرت عليها بعض الأسطر البيضاء. لم يفقه جاسر فيها شيئًا، فتنهد بإحباط، فقد تمنى أن يرى صورتها ويسمع صوتها في بعض الفيديوهات التي كانت موجودة قديمًا في هذا الحاسوب. أغلقه مرة أخرى وانشغل برنين هاتفه الذي قطع ما يفعله، فقد وصلت إليه رسالة جديدة. التقط الهاتف ببطء، قرأها بصوت مرتفع وكأنه يقرأها لشخص آخر:

التسجيل عندك في الإنبوكس. اتأكد منه عشان نغيره زي الاتفاق.

أخذ نفسًا عميقًا واستقام في جلسته كأنما استفاق من غفلة الماضي التي أحاطت به، ثم ضغط على شاشة الهاتف أمامه واتصل بشبكة الإنترنت، ثم فتح بريده الإلكتروني بسرعة متجاوزًا أي رسائل أخرى، حتى وقعت عيناه على اسم المرسل الذي أرفق التسجيل. بمجرد أن ظهرت أيقونة الملف المرفق ضغط عليها بلا تردد، وانتظر بصبر متوتر حتى اكتمل تحميله. ما إن انتهى التحميل وظهر زر التشغيل حتى مد يده وضغط عليه، فدوت في أرجاء الشقة الأصوات المألوفة التي توقعها، واستمع ليتأكد أن هذا هو التسجيل المنشود.

- ده صوت أونكل وائل؟

انتفض جاسر بعنف كأن صدمة كهربائية سرت في أوصاله، وأغلق التسجيل في لحظة خاطفة بعدما سرى في أذنيه صوت زياد

الذي تساءل عن كنه الصوت الذي سمعه في التسجيل. التفت بسرعة ليجد زياد واقفًا عند باب الشقة. لعن نفسه في صمت: كيف سمح لنفسه بأن يستمع إلى التسجيل بصوت مرتفع؟ كيف لم يفكر في أن يستمع إليه داخل غرفته بعيدًا عن أي آذان قد تسترق السمع؟ حاول أن يتمالك أعصابه حتى لا يلاحظ زياد شيئًا غير طبيعي، فعدل جلسته وقال بصوت متعمد الهدوء وابتسامة مرحبة:

- لا مش وائل ولا حاجة، ده تسجيل قديم من فيلم أبيض وإسود كنت باتسلى بيه. إنت اتأخرت كده ليه؟

رمق زياد والده بنظرة طويلة. بدا عليه عدم التصديق لعدة لحظات، وهو ما زاد من توتر جاسر الذي ظل يسب نفسه داخليًّا، ولكن سرعان ما تغيرت ملامح زياد، وحلت محل الشك لامبالاة واضحة، كأن الأمر لم يعد يعنيه. ألقى بجسده المرهق على الأريكة بجوار والده، وزفر قائلًا:

- لا عادي، كنا بنتمرن قبل البطولة، وكمان عندنا امتحانات داخلة علينا.

تنفس جاسر وابتسم وقال لزياد:

- طيب إيه يا وحش؟ بتذاكر بجد ولا ناوي تلبس في الداخلة دي؟

ضحك زياد وقال لوالده بثقة:

- لأ، عيب عليك، أنا هالبس كده كده!

ضحك كلاهما، ثم بلا أي مقدمات احتضنه جاسر بقوة، وللحظة شعر بأن دموعه ستغلبه فتمالك نفسه، في حين قال زياد باهتمام صادق وهو ما زال في حضنه وبين ذراعيه:

- إنت كويس يا بابا؟

أطلقه من بين ذراعيه، وقال بصوت أراده قويًّا مشجعًا:

- طبعًا، زي الفل. هتتعشى؟ نبعت نجيب حاجة؟

- لأ، أكلت مع دودو في البيت الجديد.

كان يعلم أن «دودو» هي دينا المرعشلي، التي لم ترضَ يومًا أن يلقبها بـ«طنط»، بل كانت تصر على أن يناديها باسمها مجردًا.

عقد حاجبيه في تساؤل وهو ينظر إلى زياد:

- هي نقلت في البيت الجديد خلاص؟

- أيوه، النهارده كان العفش بيركب.

حمل جاسر الحاسوب المحمول وانحنى ليضعه في أحد الأدراج، في حين تابعته عينا زياد الذي قال متسائلًا بصوت خفيض:

- هو ده اللابتوب بتاع ماما؟

التقت أعينهما في مشاعر متناقضة مختلطة، شعر بها كلاهما، عن ليلة فقدها، فطرف جاسر بعينيه بمعنى «نعم» مجيبًا زياد الذي ابتلع ريقه، فقال جاسر مكملًا حديثه عن دينا:

- حلوة الشقة؟

أومأ زياد برأسه وحاول أن يتناسى ذكرى والدته المتوفاة ويتحدث عن «والدته» الحية، وأجاب:

- آه، أوي، شبه دودو جدًّا.

ابتسم جاسر وعقله يسرح في محاولة لتخيل شقة تشبه دينا، هل تزينت حوائطها بخيوط مموجة كشعرها اللامع؟ هل يرقص أثاثها على نغمات الأغاني التي تحبها؟ وإن كان قد فهم ما يرمي إليه زياد،

فقد كانت شقتها القديمة التي جمعتها بزوجها كئيبة قاتمة الألوان، يخرج منها نغم حزين لا يتوافق مع روح دينا المنطلقة. تنهد وهو يفكر فيها. كانت وحيدة في أحضان زوجها، وهي الآن وحيدة بين جدران نائية بعيدة عن كل شيء، حتى عن نفسها. رغمًا عنه شعر بأنه في حاجة إلى حمايتها، ولكنها لا تمنحه الفرصة.

- كنت بتساعدهم في نقل حاجات ولا إيه؟

هز رأسه نافيًا وقال:

- لأ، بس كنت باوصل لارا من النادي عشان ما كانتش عايزة تاخد أوبر.

عقد حاجبيه وقال له لائمًا:

- مش قلنا بلاش تسوق العربية دي لغاية ما أتأكد إنها اتصلحت؟!

- معلش يا بابا! إنت عارف أنا باحب دودو وهي كانت محتاسة في العفش.

نظر إليه نظرة ذات مغزى وزم شفتيه بابتسامة ساخرة، ثم قال:

- بتحب دينا برضو؟! على بابا يله؟!

ابتسم زياد مدركًا أنه لن يتمكن من إخفاء مشاعره عن والده، فهو يعلم جيدًا أنه يعشق التراب الذي تسير عليه لارا، والجميع يعلم هذا، ومنهم لارا، ولكنه أيضًا يحب دينا بعمق وشدة، فهي بالنسبة إليه كوالدته التي فقدها صغيرًا. همَّ زياد بقول شيء عن الأمر ولكنه توقف عندما اهتز هاتف والده فجأة وظهر على شاشته رقم بدا من بعيد مألوفًا له ولكنه لم يستطع التأكد من صاحبه. لاحظ التغيير الطفيف في ملامح جاسر وهو يحدق في الرقم، ثم التقط الهاتف

بسرعة وسار مبتعدًا، متخذًا زاوية أكثر خصوصية، كأنه يريد التأكد من أن أذنَي زياد لن تلتقطا أي شيء من المكالمة. تابعه زياد بفضول، محاولًا تذكر إلى من يعود هذا الرقم، ثم التقطت أذناه جزءًا من حديث جاسر بصوت خافت لكنه واضح:

- ما تخافيش، أنا هاتصرف، جاي حالًا، مسافة السكة، ابعتيلي بس لوكيشن.

عاصم الحسيني

الآن

تأنق عاصم في بدلة كحلية اللون ذات بنطلون رصاصي داكن وقميص لبني فاتح، وظهرت من وراء أزرار القميص الأمامية سلسلة فضية التفت حول عنقه العاري. وضع بعضًا من قطرات عطر باهظ الثمن أهدته إليه زوجته المصون. ألقى نظرة على نفسه في المرآة ثم عدل من وضع خصلات شعره الأسود الذي تخللته شعيرات بيضاء. بدا وسيمًا قويًّا معتدًّا بنفسه كما يحب دائمًا أن يظهر، ثم نظر بطرف عينه إليها وقد تألقت هي أيضًا في ثوب أحمر اللون وانسدل شعرها الذهبي على كتفيها بنعومة. ارتدت حذاء أسود ذا كعب عالٍ أوصل رأسها بصعوبة إلى بداية كتفه.

ابتسم وهو ينظر إليها بشيء من الرفق، فقد بدت بجسدها القصير النحيف كطفلة صغيرة تحتاج إلى الرعاية. لم يكن قد عرف عنها الكثير حتى الآن، ربما عليه أن يفعل، لم تتعدَّ العلاقة بضع ساعات تقضيها بين ذراعيه ثم تتسلل في جنح الليل إلى بيتها. نظر إليها وهي

منشغلة عنه بوضع لمسات أخيرة على هيئتها ثم فكَّر لثوانٍ: ماذا لو أصبحت هذه الزيجة حقيقة؟ لمَ لا؟ شرد للحظات في غرفة نومه التي يقف كلاهما فيها أمام المرآة، تذكر رغمًا عنه زوجته الأولى وابنه الوحيد، رآها في عقله تجلس على طرف الفراش ممتعضة وهو يتألق ليخرج وحيدًا. ظلمها حقًّا بتجاهلها وتركها تعاني وحدة أجبرها عليها. صبرت إلى أن فاض بها الكيل، وحين تركت هذا الفراش علم يقينًا أنها لن تعود. ابتلع ريقه بشيء من الحزن لا يمكن أن يتجاهله، فقد أحبها بصدق وإن لم يخبرها بذلك قَطُّ.

- ها، مش يلَّا بينا؟
- يلَّا، أنا جاهز بس...
- بس إيه؟
- ما تيجي نفكس ونيلَّاا.

علت ضحكتها بدلال أنثوي رهيب واجتذبته إلى قبلة حامية. اخترق عطرها النافذ أنفه فأسكره، فكاد ينسى سبب هذه السهرة ويؤجل التحقيق الذي يسعى إلى استكماله. ابتعدت هي برفق وقد أمسكت بيديه اللتين انطلقتا بلهفة في أرجاء جسدها، وقالت وقد تلاحقت أنفاسها:

- تعالَ نروح السهرة ونرجع. الليل كله معانا. أنا سربت العيال لأبوهم وفاضية وهابات هنا.

ارتد عنها بصعوبة بالغة، ثم تفقد مظهره في المرآة مرة أخرى، وكذلك عدلت هي ما طالته يد العبث سريعًا، وتأبطت ذراعه ونزلا الدرج معًا. سألته بشكل عفوي بعد أن اتخذت المقعد المجاور له في السيارة:

- إحنا رايحين فين أصلًا ما قلتليش؟
- رايحين Tada Jazz Bar.
- وااااو! أسمع إنه تحفة وصعب جدًّا تلاقي فيه حجز.
- صعب على مين يا قطة؟! ده أنا عاصم الحسيني!

كانت محقة، فهذا المكان يصعب الدخول إليه والحجز فيه، والحق أنه استغل نفوذه بوصفه ضابط مباحث ليفعل، مؤكدًا أن هذه السهرة الهدف منها التحري في القضية التي يعمل فيها. لم يكن كذبًا، فهو منذ أن بدأت هذه القضية لم يتمكن من التحقيق أو التحري بدقة عن وائل العدل، فقط بعض الكلمات المقتضبة التي قالها في التحقيق الأساسي ثم لم يتمكن عاصم من إحضاره أو الوصول إليه مرة أخرى. لم تكن سلطات عاصم ترتقي لأن يأتي بوائل العدل إلى القسم من دون سبب مقنع، بل لم يستطع أن يفعل ما يفعله مع دينا وغيرها ممن يحقق معهم في هذه القضية ويظهر فجأة متحدثًا معهم، فوائل عضو مجلس شعب سابق ورجل أعمال قوي النفوذ، ولكنه كثيرًا ما يقبع في هذا البار المعروف، بل إن التحريات تقول إن كل اجتماعاته وصفقاته تتم حول الطاولة في هذا المكان تحديدًا. أراد أن يذهب إلى هناك لعل عينيه تلتقطان شيئًا ما، أو ربما تسمع أذناه من أحدهم خبرًا يسلط على هذه القضية أي بصيص من الضوء.

علم أن فرصته لمعرفة أي شيء حدث في هذا المكان تحديدًا ستكون أكبر إذا دخله في سهرة عادية مقارنةً بدخوله بوصفه ضابط مباحث، فهذا البار بالذات من أشهر وأكثر البارات خصوصية، يرتاده علية القوم وسيدات المجتمع، لن تفلح بطاقة الضابط هنا، فالجميع

هنا نفوذهم أكبر بكثير من ضابط مباحث عادي، سيمتنع الجميع عن الحديث معه، ولا يملك أي سلطة لجمع أي معلومة بشكل قانوني، ووجودها معه سينفي عنه شبهة أنه هناك لجمع المعلومات.

تحدث بالأمس مع أحد رجال العلاقات العامة وأخبره أنه يريد دعوة للدخول إلى هذا البار لعمل تحريات من دون ضجة. انتظر بضع ساعات وجاءته الدعوة. اتصل بها في لحظتها تقريبًا وأخبرها أنها ستمضي معه ليلة مميزة، وأغفل بالطبع أنه يستخدمها ستارًا منطقيًّا لما يريد أن يعرفه. لاح المبنى الذي يعلوه البار الشهير، فقالت هي بسعادة الطفلة المقبلة على الملاهي:

- أهو! وااااو! شكله حلو أوي!

ابتسم لسعادتها الطفولية ولم ينكر أن شعوره بأنه أسعدها بعيدًا عن الفراش جعله يشعر برجولته بشكل مختلف. أوقف السيارة وأعطى المفتاح لمسؤول عن ركن السيارات. تأبطت هي ذراعه فوضع يده بحركة تلقائية على ظهرها وضمها إليه وهي تسير بجواره. سار بخطواته العادية إلى أن وصلا إلى الطاولة التي حُجزت لهما، وما إن استقرا حتى جابت عيناه الخبيرتان أركان المكان، في حين وضعت هي أصابعها على شعره برفق فابتسم مرة أخرى. هل يمكن أن يكون سعيدًا حقًّا بصحبتها؟ هل سيقضي معها بعض الساعات اللطيفة متناسيًا ما اتفق عليه معها في أول الأمر؟

تركها تنظر بتركيز في منيو الطعام والمشروبات التي ترك لها تحديدها، واستأذن ليقف بجوار أحد الحوائط التي امتلأت بصور رواد المكان من المشاهير. كانت هناك صور لوائل يقف بجواره جاسر

سعيدًا، كلاهما لا يتعدى الثلاثين في هذه الصورة. قال بشكل أراده أن يكون عاديًّا لأحد العاملين في المكان يقف بجواره:

- هو ده وائل العدل اللي كان عضو مجلس الشعب وهو صغير شوية؟

أومأ الرجل برأسه بغير تركيز وهو لا يزال يقوم بعمله، وضع الأكواب الفارغة بعضها بجوار بعض. أكمل عاصم بنفس الأسلوب:

- مين اللي في الصورة جنبه ده؟ شبه ممثل كده بس مش فاكر اسمه.

هز الرجل رأسه نافيًا وهو ينظر بطرف عينه إلى صورة جاسر، وقال:

- ده جاسر مرتضى صاحب وائل بيه الأنتيم.
- بييجوا هنا كتير؟
- على طول، بس أستاذ جاسر بقاله زمن ما جاش.
- زمن؟! آخر مرة جه إمتى؟
- يمكن داخل على سنة أو أكتر ما ظهرش هنا، من يوم الخناقة.

قالها الرجل بنفس اللامبالاة وعدم التركيز، ولكنه توقف فجأة عما يفعل ونظر إلى عاصم بتشكك وشعر بأنه قال أكثر مما يجب لرجل لم يره من قبل، فابتلع ريقه ولام نفسه بشدة وتلفت يمينًا ويسارًا ليتأكد من أن أحدًا من رؤسائه لم يسمعه وهو يتحدث مع عاصم، فهذا الأمر في هذا المكان خطير جدًّا، فكل شيء هنا شخصي وسري، فقط انزلق لسانه، فقد بدا الحوار تلقائيًّا، والصور منذ أكثر من خمسة عشر عامًا. فهِم عاصم أنه لن يقول المزيد فابتسم له وحيَّاه بعينيه وعاد

إلى حيث جلست وهو يفكر في أن هناك شجارًا ما لم يَعُد جاسر إلى هذا المكان على إثره.

تجاذب معها أطراف الحديث لدقائق حتى لا يساورها الشك بأنه لا يقضي هذه السهرة معها، في حين دارت عيناه الخبيرتان في المكان علَّه يلتقط شخصًا مناسبًا يدلي له بمعلومة. زفر وهو يلعن هذه الألاعيب، فهو ضابط مباحث ومن حقه أن يحصل على المعلومة في قضية قتل. نهض من مكانه فجأة وهي ما زالت تتحدث:

- إيه؟ رايح فين؟ حصل إيه؟

تجاهلها وسار بخطوات ثابتة إلى النادل الذي تحدث معه منذ عدة دقائق، فأوقفه ثم قال بحزم:

- عاصم الحسيني، مباحث.

تغير وجه الشاب وامتقع لونه، فقال عاصم بنفس الحزم والقوة:

- باقولك إيه، عارف إن هنا حوار الأسرار وكلام كبير، تيجي معايا دوغري وتقولي خناقة وائل وجاسر دي كانت عن إيه ويبقى سرك في بير، ولا أقول لمديرك إنك طلعت أسرار الجيست بره؟ إيه رأيك؟

قال الرجل بصوت خفيض وهو يتلفت في خوف وترقب:

- يا باشا والنبي ما تقطعش عيشي، أنا عندي عيال!

- خلاص، تعالَ معايا دوغري واحكيلي.

- مفيش حاجة سعادتك، زي ما قلت لحضرتك، وائل بيه وجاسر من رواد المكان من سنين، في يوم كده وائل بيه جه لوحده وبعدين أستاذ جاسر جه وراه وراح داخل كده ضربه واتخانقوا جامد.

- ضربه كده من غير سبب؟
- أيوه والله سعادتك. أنا عمري ما شفت أستاذ جاسر منفعل كده! عمره حتى وهو شارب طينة ما طلعت منه حاجة كده! لكن اليوم ده كان مختلف!
- طيب ووائل؟
- وائل سعادتك اتخض، ما كانش واخد أصلًا خوانة، بس الناس فرقت بينهم قبل ما الموضوع يكبر أكتر من كده.
- تعرف سبب الخناقة إيه؟
صمت الرجل وابتلع ريقه وقال بعد تردد:
- مش متأكد أوي والله سعادتك، بس غالبًا...
صمت الرجل للحظة فاستحثه عاصم:
- غالبًا إيه؟
- الموضوع فيه واحدة ست!

الحفلة

عدة أشهر قبل الحادث

أوقفت دينا المرعشلي سيارتها أمام فيلَّا وائل العدل، وجلست لثوانٍ تلتقط أنفاسها وتنظر بعينين مترقبتين إلى باب الفيلَّا التي لم تطأها قدماها منذ سنوات طويلة. أخذت نفسًا عميقًا وملأ الهواء رئتيها بالكامل، ضمت قبضتيها وضغطت على يديها اللتين ارتعشتا رغمًا عنها. ملأت رئتيها مرة أخرى بالهواء وأخرجته ببطء كما تفعل في حلقات اليوجا التي تعشقها، ثم ألقت نظرة أخيرة على نفسها في المرآة، ثم نظرت إلى الساحة الواسعة أمام الفيلَّا. رأت بوضوح سيارة جاسر بجوارها سيارة نانسي الشهيرة. زمَّت شفتيها وهي تنظر بعينيها إلى أسفل لتتأكد من تناسق جسدها وأناقة ثوبها، فالمنافسة مع نانسي قاسية، ودائمًا ما تُحسَم لصالح الأخيرة. لماذا تتنافس دينا مع نانسي أساسًا؟ هو شيء فطري لن يفهمه إلا النساء، والحق أن الجميع يتنافس مع نانسي في صمت. تتألق بشكل رهيب، وجمالها يأخذ العقول، وتتحدث بنعومة فتلاحقها الأعين والآذان.

لا يظهر معها زوجها أبدًا. لا تعتقد دينا أنها رأته من قبل، ربما هذا ما تشاركت فيه نانسي مع دينا، أن كلتيهما تأتي وحيدة في كل المناسبات. ارتدت دينا اليوم متعمدة ثوبًا أسود قصيرًا يزينه حزام ذهبي اللون، ليماثل لون حذائها عالي الكعب، ويُظهر جمال عينيها العسليتين ولون شعرها الكستنائي المموج. أخرجت من حقيبتها عطرًا نفاذًا غالي الثمن أخذته من ابنتها ووضعت منه القليل. ملأ برائحته المميزة الجميلة جوانب سيارتها، ثم خرجت بثقة متجهة إلى باب الفيلَّا. اليوم يقيم وائل العدل حفلة بسبب صفقة لا تدري كنهها، لكنها دُعيت إليها. لا تنكر أنها ترددت كثيرًا في الحضور وهاجمتها ذكريات عديدة لم تتمكن من الفرار منها، ولكنها علمت أن لارا ابنتها ستأتي بصحبة زياد، وأن جاسر سيكون موجودًا أيضًا، فشعرت بأنها ربما عليها أن تواجه أخيرًا مخاوفها وتحضر. كانت لارا قد سبقتها مع زياد. لا تحتاج إلى أن تدلف لتتأكد أن الجميع بالداخل إلا هي. طرقت الباب وانتظرت حتى فتحت لها مدبرة المنزل الآسيوية.

- يا أهلًا يا أهلًا يا دودو! اتأخرتِ ليه؟ مستنيينك من شوية.

قالها جاسر مرتضى الذي وقف خلف مدبرة المنزل بالضبط، فابتسمت له ودلفت ببعض التردد وهي تلتفت بعينيها لترى معالم المكان بالتفصيل. لم يتغير المكان كثيرًا عما تذكره، إلا أن ألوان الحوائط وبعض قطع الأثاث جُددت. تسمرت للحظات وقد شردت بنظرة طويلة في زجاج الغرفة الشفاف الذي تمتد من خلفه الحديقة ويقبع بثبات بيت الضيوف الأنيق فيه. ضمت قبضتيها مرة أخرى

وتمنت ألا يرى أحد ارتعاش يديها. استطاعت أن ترى نانسي تجلس على الأريكة في أحد الجوانب ويجلس وائل بجوارها ملتصقًا بها وقد انخرطا في حديث ما. ظل جاسر يبتسم لها منتظرًا أن تتخذ بجواره مكانًا وقد وقف منتصبًا وسيمًا متألقًا كعادته. أطلق صفيرًا من فمه بعد أن تنحت مدبرة المنزل من أمامه ليرى هيئة دينا الجميلة بوضوح تام، وقال:

- يا خبر على الجمال! إيه ده؟! اللي يشوفك يقول إنك أصغر من لارا!

ابتسمت له بامتنان وسعادة. لطالما شعرت بالأمان عند رؤية جاسر وتذكُّر سنوات من المواقف جمعتهما. لم ينسَ قَطُّ أنها احتضنت ابنه تعويضًا عن فقد أمه، ولم تنسَ أنه ساندها في معركة طلاقها المضنية. وضعت يدها بحركة تلقائية على كتفه في حين كانت يده تحتضن مشروبًا ما، وألقت نظرة خاطفة على الكوب كأنها تتأكد من شيء ما، فابتسم لها وقد فهم ما تخشاه وطمأنها بنظرة، فتنهدت بارتياح واتسعت ابتسامتها وقالت:

- بطل بكش يا جاسر لاحسن أصدق! الولاد فين أمال؟

كانت تدير عينيها في المكان لعلها ترى لارا وأصدقاءها، فهز جاسر رأسه وأشار إلى الحديقة الممتدة أمامهما بعينيه كمن يقول: «قاعدين ناحية الجيست هاوس». هزت رأسها تفهمًا ثم ابتلعت ريقها وشدت مرة أخرى قبضتَي يديها اللتين تعرقتا على الرغم من برودة الجو. قال جاسر وهو يرى ملامح وجهها وقد اعتراه بعض القلق:

- إنتِ كويسة؟ فيه حاجة؟ شكل وشك تعبان!
- خالص. مجهدة من الشغل مش أكتر. إنت عارف أنا مش متعودة أسهر واليوم كان طويل.

ابتسم لها مشجعًا، وربت بحنان صادق على ظهرها، وقال وقد واجه كلاهما الزجاج الشفاف وتلامست كتفاهما:

- معلش، أنا عارف أد إيه الدنيا مرهقة عليكِ لوحدك، بس خليكِ فاكرة إني موجود دايمًا جنبك.

نظرت إليه بطرف عينها بامتنان حقيقي وهي ما زالت تواجه الحديقة الممتدة أمامها، وكذلك فعل هو. كانت حديقة كبيرة شاسعة، وفي أطرافها كوخ خشبي منمق به حجرة نوم ومطبخ صغير ودورة مياه منفصلة، وله مدخل خاص به من الاتجاه الآخر من سور القصر. ظل كلاهما صامتًا وقد شردت أعينهما في إضاءة بيت الضيوف الخافتة، ثم تناهى بعض الصخب من اتجاهه.

- شكل العيال هايصة.

قالها جاسر لدينا ثم التفت إليها وهي ما زالت شاردة بعينيها في الحديقة أمامها، ثم قال همسًا وقد وضع أطراف أصابعه على ظهرها بحنان مؤكدًا مرة أخرى:

- إنتِ كويسة يا دينا؟ الشغل بس اللي شاغل بالك؟ إنتِ عارفة إن مهما حصل أنا موجود وإنك ممكن تقوليلي أي حاجة.

لمست بأطراف أصابعها يده بامتنان وقد التمعت الدموع في عينيها وهي تنظر بطرف عينها إلى حيث وائل ونانسي من دون أن تنظر إليه، ثم قالت همسًا:

- مش عارفة يا جاسر! كل حاجة ملخبطة! حتى أنا نفسي مش عارفة أحدد أنا عايزة إيه ولا إيه الحقيقي وإيه اللي fake.

ألقى نظرة جانبية هو الآخر على وائل ونانسي اللذين ما زالا يتحدثان بنفس الشغف والاندماج، ثم قال بحزم وقوة:

- ما تخافيش يا دينا، أنا في ضهرك، وواحدة واحدة الدنيا هتتضح، بس أرجوكِ خليني دايمًا معاكِ في الصورة.

نظرت إليه بامتنان حقيقي وقد اعتصرت يده الخالية بقوة غير مبالية بأي شيء، فأن تجد من يُقدِّم إليك الدعم من دون شروط أو عتاب، فهو أمر له قيمة كبيرة. همَّت أن تقول شيئًا ما ولكنها أجفلت وتراجعت إلى الوراء بشكل مفاجئ، وقد خُيِّل إليها أنها رأت طيف نهلة صديقتها وهي تسير في الحديقة أمامها، فانتزعت يدها من يد جاسر بسرعة، فعقد حاجبيه وسحب يده إلى الوراء أيضًا وهمَّ أن يقول شيئًا، ولكن صوت جلبة شديدة استوقفه، وظهر من باب بيت الضيوف ما بدا جسدين متلاحمين وإن صعب وضوح هويتهما، ولكن جاسر فهم على الفور أنهما زياد وفارس قد التحما في عراك عنيف.

كان جاسر أول من تحرك راكضًا في اتجاه الجسدين، قطع المسافة بين غرفة المعيشة وبيت الضيوف مارًّا بالحديقة الكبيرة في دقيقة على الرغم من عرجة قدمه، وقد تسارعت أنفاسه لسرعة ركضه بشكل مفاجئ. ما إن اقترب من الجسدين حتى استطاع أن يسمع صوت فارس الذي يسب زياد بكلمات عنيفة مزعجة. فصل جاسر بينهما وقد تلطخ وجه زياد بالدماء واحمر وجه فارس بشكل غريب. ظلت عينا لارا الملتاعتان تتابعانهما، في حين وقف جاسر بجسده

حاجزًا بينهما متلقيًا صفعاتهما وركلاتهما. كانت دينا قد وصلت إليهما أيضًا، ولكنها لم تستطع أن تتدخل، فقد كان كلا الشابين قويًّا في أقصى عنفوانه، وقد طار عقلاهما من شدة الغضب والانفعال. من خلفها وصلت نانسي وقد تأخرت نسبيًّا بسبب تعثرها عدة مرات بفعل حذائها العالي وثوبها الطويل، في حين سبقها وائل وإن لم يتدخل في المشهد. ظل جاسر يفصل بينهما في حين قالت نانسي:

- اهدى يا فارس، اهدى يا حبيبي شوية!

احتضن جاسر زياد وقاده أخيرًا بصعوبة مبتعدًا به إلى جانب آخر من الحديقة، في حين وضعت نانسي يدها بحذر على فارس الذي ظل يصرخ بكلمات قاسية. سارت دينا إلى حيث زياد وجاسر، تريد أن تساعد على تهدئة زياد، ولكن عينَي جاسر نهتاها عن الاقتراب، فوقفت مكانها وإن تناهى إلى مسامعها صوت زياد المتألم:

- ده جاب سيرة أمي يا بابا! جاب سيرة أمي!

عاصم وخالد

الآن

وقف عاصم شاردًا في طابور المقهى منتظرًا دوره وقد تسللت إلى أنفه رائحة القهوة فأزاحت بعض الغمام من أفكاره. أراد اليوم أن يجلس بعيدًا عن القسم مفكرًا في كل الأجزاء الصغيرة التي تناثرت في هذه القضية. طلب من مساعده خالد أن يقابله في هذا المقهى الصغير الذي اعتادا أن يشربا فيه القهوة الأمريكية القوية. وصل خالد في نفس الوقت الذي وصل فيه عاصم إلى رأس الطابور، فطلب كوبًا من الإسبريسو لنفسه وآخر من الكابتشينو لخالد، ثم اتخذ مقعدًا بجوار الأخير الذي جلس في ركن شبه منعزل عن الطاولات الأخرى المنتشرة في المكان. كان المكان يُسمَح فيه بالتدخين، فأخرج عاصم علبة سجائره وبدأ في التدخين في صمت، في حين ارتشف خالد القليل من مشروبه الساخن ثم قال لعاصم وهو يُخرج من جيب بنطلونه هاتفه المحمول ويضعه في المنتصف على سطح الطاولة:

- القهوة في المكان ده يا عاصم بيه رهيبة! اختيار موفق بصراحة.
- أي خدمة. أنا عارف إنك غاوي قهوة زيي، وقلت نشرب ونتكلم على رواقة بدل قهوة الواد بتاع المديرية دي.

ابتسم خالد وهو يرتشف من كوبه في صمت مستمتعًا، فعلى الرغم من ثمن هذه القهوة فإنها بكل تأكيد تختلف عن القهوة المجانية في المديرية. كانت زوجة عاصم «الجديدة» قد تعرفت عليه في هذا المكان. ابتسم وهو يتذكر أنها هي من تعرفت عليه وليس العكس، فقد بدأته بالحديث وهو يقف شاردًا في الطابور الذي اعتاد الوقوف فيه تقريبًا كل يوم. تعجب وقد بدأت تزور أفكاره صباحًا، وهي من المفترض أن تكون مجرد زائرة ليلية في حياته ليس إلا. رفع عينيه إلى خالد وقال له بجدية:

- إنت حددت ميعاد فرحك مع البنت اللي زهقتنا عشان توافق عليك دي؟

ابتسم خالد وبدا عليه بعض الحرج، ثم أومأ برأسه أن نعم، فقال عاصم ضاحكًا:

- شكلك عايز تلحق تتجوزها قبل ما تغير رأيها، وتقعد إنت تلف حوالين نفسك تاني!

بادله خالد الضحك، وإن كان يعلم أن عاصم في الغالب قد أصاب الحقيقة، فقد ترددت كثيرًا على الرغم من حبها له، فما إن قالت نعم حتى أسرع في تحضيرات الزفاف مخافة أن يصيبها التردد مرة أخرى. قال عاصم بعدما انتهى كلاهما من المزاح:

- طيب سيبك من ست الحسن وخلينا في الورطة اللي إحنا فيها!

إنت عرفتلي أي حاجة عن نهلة مرات جاسر دي وماتت إزاي زي ما طلبت منك؟

أومأ برأسه وقال:

- أيوه سعادتك، بس مفيش أي حاجة غريبة. نهلة دي كانت زي دينا كده بالظبط، مهندسة ومن بيت عادي، اتعرفت على جاسر في الساحل وحبها واتجوزوا وخلفوا زياد، وهي كانت صاحبة دينا الأنتيم، واشتغلوا مع بعض في شركة واحدة.

زم عاصم شفتيه وقال:

- والحادثة؟

- حادثة عربية برضو عادية، كانت فيها مع جاسر وزياد، ما كانش فيه أي شبهة في وقوع الحادثة لو ده قصد سعادتك، كان يوم مطر جامد في التجمع الخامس من أول ما بدأ يسكن، وكان فيه حفرة كبيرة في نص الشارع جاسر ما شافهاش من الضلمة ونزل فيها بوش العربية، هي تقريبًا ما كانتش لابسة الحزام، فاتنطرت بره العربية وماتت في ساعتها.

استمع عاصم بتركيز وظل ينظر إلى خالد الذي توقف عن الكلام، فقال وهو يرتشف رشفة أخرى من قهوته التي أوشكت على الانتهاء:

- وجاسر وزياد طلعوا عادي؟

أومأ خالد برأسه وقال:

- زياد كان مربوط في الكار سيت، ووش العربية اللي كان تحت، فهو فضل متشعلق فوق، وجاسر طلعه.

- وجاسر نفسه ما اتصابش؟

- اتصاب جامد، بس هو اللي نفعه الـ«airbag» والحزام.
- والـ«airbag» بتاعت نهلة؟!
- ما فتحتش!

عقد عاصم حاجبيه ثم قال:

- مش غريبة إن الـ«airbag» بتاعتها ما فتحتش؟!
- أعتقد سعادتك ما كانتش رابطة الحزام. العربيات بيكون فيها سينسور لازم تفتح بس لما يكون الحزام مربوط.

فكر عاصم لثوانٍ: ما يحكيه خالد لا يمكن أن يكون مرتبًا، في الغالب ما يقوله عن كونها حادثة عادية غير مرتبة حقيقي، وأن ما يحوك في صدر عاصم عن موت نهلة وارتباطه بالأحداث بشكل ما ليس إلا تخيلاته هو، فقال لخالد:

- إنت قلتلي عملت إيه مع نانسي دي؟ عرفت أي حاجة عن علاقتها بجاسر ونهلة زمان؟

مرة أخرى أومأ برأسه ثم قال:

- سعادتك نانسي أصلًا كانت على علاقة بجاسر وهما في العشرينيات تقريبًا. وائل عرفهم ببعض وارتبطوا، بس اللي فهمته من القصص إن نهلة ظهرت في حياته وبعد شهور اتجوزها. نانسي كانت متغاظة جدًّا، وبس، بعد أقل من شهر كانت سافرت الخليج واتجوزت هناك جوزها الحالي، ظهرت تاني في مصر بعد تلات سنين تقريبًا.
- رجعت يعني قبل ما نهلة تموت؟
- أيوه سعادتك.

- طيب ووائل فين من كل ده؟
- وائل بقى سعادتك كان صاحبها من النادي من زمان، وأبوه كان مشارك أبوها من زمان، وكان ليها أسهم بسيطة في شركته، بس اشتراها منها وائل بعد ما مات أبوها وفضلوا أصحاب، ولما رجعت مصر رجعت علاقتهم قوية جدًّا.
- طيب وعلاقتها بجاسر؟
- على كلام نانسي سعادتك رجعوا أصحاب وإخوات، وكان بيساعدها عشان مشاكل فارس.

زم عاصم شفتيه ورفع حاجبًا وهو يردد:

مكتبة ياسمين
telegram @
yasmeenbook

- إخوات؟!
- على كلامها هي.
- وكلام الناس؟

صمت خالد لثوانٍ وهو يتبادل النظرات مع عاصم، فالحق أنه لم يحصل على كثير من المعلومات في هذا الشأن، فقط ظهر أن جاسر يتواصل مع نانسي بكثرة في الآونة الأخيرة، ولم تنكر هي ذلك، بل أكدته، غير ذلك لم يقل أحد شيئًا آخر عن هذا الموضوع.

قال له عاصم:

- زق شوية يا خالد على الحتة دي! هي نانسي دي مش عندها خدامين؟ سواقين؟ هي الناس دي اللي هتجيبلك قرار الموضوع.

أومأ برأسه وقال ببعض الحرج لما شعر بأنه تقصير في تحرياته:

- حاضر سعادتك.

- طيب إيه قصة فارس بقى؟
- بيضرب سعادتك، وأمه كانت عايزة تساعده وتخرجه من الموضوع بدري بدري.
- طيب وإشمعنى يعني جاسر هيساعد؟
- ما هو جاسر سعادتك كان قعد فترة يتعافى من الخمرة ودخل كام شهر مصحة كده، وكان بينصح نانسي تدخَّل فارس هناك.
- جاسر كان مدمن خمرة قصدك؟
- أيوه.
- وإزاي عدت في الداخلية دي؟
- لأ سعادتك، ما هو كان بيشرب في الداخلية عادي على خفيف، بس بعد ما نهلة ماتت واترفد الموضوع زاد، وأعتقد آخر تلات أو أربع سنين قرر يتعالج، وفعلًا كل الناس بتأكد إنه في الفترة الأخيرة كان كويس أوي.

حاك في صدر عاصم شيء ما لم يدرِ كنهه، ثم تذكر أمرًا ما فقال لخالد:

- هو إنت صحيح شُفت مين الواد اللي كنت شاكك إنه راح لرضا؟

هز خالد رأسه نافيًا ثم قال:

- لأ سعادتك، كاميرات المول ما جبتش وشه برضو، الكاب اللي كان لابسه مغطيه، وكان معظم الوقت باصص في الأرض.

نظر عاصم من خلف زجاج المقهى ورأى المطر قد بدأ في النزول، وأسرع رواد المقهى الذين يجلسون في المقاعد الخارجية

بالدخول إلى المقهى الذي امتلأ فجأة وأصبح مزدحمًا وعلت فيه الضوضاء، فقال لخالد:

- تعالَ نكمل في المكتب.

أومأ خالد برأسه وبدأ في التحرك متجهًا مع عاصم إلى حيث سيارة الأخير الواقفة أمام المقهى مباشرة، فلم يصبهما المطر إلا بقدر قليل من البلل. قال عاصم بعد أن استقرا في السيارة وبدأ في التحرك:

- طيب مش يمكن فارس مش زياد؟

- إشمعنى سعادتك بتقول كده؟

- لأ، مش لسبب، بافكر بس معاك. فارس وزياد تقريبًا نفس الشكل والهيئة.

- أه تقريبًا سعادتك، يمكن بس فارس أرفع شوية، بس بصراحة سعادتك زياد وفارس وكل العيال اللي في سنهم تقريبًا نفس الشكل والهيئة، هدوم واسعة غامقة وكاب مغطي معظم وشهم.

ابتسم عاصم في سخرية موافقًا إياه، فقد تماثل هذا الجيل في الهيئة والشكل بطريقة غريبة. قال خالد فجأة كأنه تذكر شيئًا مهمًا:

- فيه حاجة تانية سعادتك كانت غريبة في الواد ده بالذات، أعتقد ده اللي خلاني أبص عليه كذا مرة!

- إيه؟

- الشنطة بتاعته كانت شنطة أطفال.

- إزاي يعني؟

- يعني كانت زي شنط المدرسة بتاعة العيال في الحضانة، ملونة وعليها أشكال كرتون. مش عارف كمان سعادتك حسيت إني شُفتها قبل كده.

صمت عاصم وهو يفكر في حين كان يدير عجلة قيادة السيارة متجهًا إلى المديرية، ثم قال:

- عمومًا زي ما قلتلك، أنا عايز معلومات أكتر شوية عن بيت نانسي دي وفارس برضو. ارجع تاني ودور زي ما قلتلك عند اللي بيخدموهم.

أومأ خالد برأسه، فأكمل عاصم:

- ولو لسه حاسس إن الواد اللي معاه الشنطة إياها مهم، هات كاميرات حوالين المول أو الجراج نجيب عربيته، دي أسهل طريقة نعرفه بيها.

تسلل بعض الضيق لخالد الذي شعر بأنه لم يفكر في هذا بنفسه، ولكنه أومأ برأسه مرة أخرى وقال لعاصم:

- أنا ما عرفتش صحيح، سعادتك عملت إيه في البار اللي بيقعد فيه وائل؟ هل وصلت لحاجة سعادتك؟

- والله يا خالد مش أوي، بس هو اتخانق مع جاسر هناك خناقة كبيرة، وبعدها جاسر ما راحش المكان تاني.

- اتخانقوا على فلوس؟

هز عاصم رأسه نافيًا وهو يصف السيارة في مكانها المخصص لها أمام المديرية ويترجل منها ومن ورائه خالد، وقال:

- على كلام البارمان، واحدة ست.

- سعادتك عرفت مين هي؟

- لأ، هي أصلًا ما كانتش موجودة في البار اليوم ده، بس البارمان سمع جاسر بعد ما ضرب وائل بيقوله: «لو ما سبتهاش في حالها أنا مش حسيبك غير لما أدخلك السجن بنفسي».

- مش غريبة دي سعادتك؟! أصل جاسر ده كان نسوانجي مش بيحب حد أصلًا، مين الست اللي ممكن تخليه يخسر وائل؟

لم ينطق عاصم الذي كانت نفس الأفكار قد طافت بعقله، فكلاهما، وائل وجاسر، يحتاج إلى الآخر في عدة محاور، وجاسر على حد علمه - كما يقول خالد - لم يحب حقًّا سوى زوجته الراحلة نهلة، وما دون ذلك من العلاقات لم يتعدَّ بضع ساعات متفرقة في الفراش.

- غريبة طبعًا! هي أصلًا كل حاجة غريبة في القضية دي!

رضا

عدة أشهر قبل الحادث

استيقظ رضا بصعوبة بعد أن ارتفع صوت هاتفه بضوضاء أغنية «قنبلة الجيل» التي وضعها نغمة للمنبه الذي ضبطه على الساعة السابعة صباحًا كما يفعل كل يوم. اعتدل واقفًا متجهًا إلى الحمَّام، وانتهى بعد برهة من الوقت من الاستعداد للعمل. لم يكن قد استيقظ فعليًّا بعدُ، وإن كان قد نزل الدرج وسار إلى أطراف الشارع حتى يتمكن من اللحاق بالحافلات التي ستُقله إلى حيث يعمل في أحد المولات التجارية. جلس في داخل الحافلة وقد أرخى رأسه على الزجاج وأغمض عينيه، فأمامه ما لا يقل عن ساعة أو أكثر قليلًا ليصل. تمنى أن يغط في نوم عميق مرة أخرى، ولكن الضوضاء من حوله وضوء الشمس الساطع الذي تسلل إلى عينيه على الرغم من جفونه المغلقة لم يمكناه من ذلك، فتنهد وفتح عينيه ببطء ونظر شاردًا في الشارع المزدحم ووقعت عيناه على إحدى السيارات التي تسير أمام الحافلة الخاصة به. لم يكن سائقها قد تعدى العشرين من عمره، والتمعت السيارة السوداء الفارهة

بانعكاس الشمس على سطحها، فاستنشق رضا بعض الهواء ثم سعل من أثر عوادم السيارات التي غطت على حلمه في بعض الهواء النقي.

ابتسم بسخرية مصحوبة ببعض الحسرة وهو يتابع السيارة وسائقها الشاب الذي هز رأسه مع أنغام موسيقى لا تصل إلى أذنَي رضا، ولكن أثرها على أذنَي الشاب ظاهر بشدة. لم يكن رضا حقودًا بشكل خاص، بل الحق أنك تستطيع أن تقول إنه حمل من اسمه نصيبًا، وكان في العموم راضيًا عن حياته المتواضعة. شاب مكافح من أسرة لا ترقى إلى أن تكون أسرة متوسطة، جاء إلى القاهرة سعيًا إلى حياة أفضل. لم يكن قد أكمل تعليمه على الرغم من ذكائه وتميزه، ولكن ضيق حال والده أجبره على ترك المدرسة. عزم على أن يكمل تعليمه ويدخل أحد المعاهد التقنية المتخصصة في الإلكترونيات التي كان يعشقها بلا سبب، فقط يجلس في صمت أمام أحد الأجهزة التي تحتاج إلى الإصلاح وينغمس في العمل عليها فينسى كل شيء، ينسى نغز الجوع وضيق العيش، ينسى حنينه إلى بيته في قريته في الصعيد ومذاق طعام أمه الذي يفتقده بشدة منذ أن جاء إلى القاهرة، ينسى أنه على الرغم من ذكائه وتميزه لم يمنحه القدر فرصة لحياة أفضل.

توقفت الحافلة أخيرًا، فترجَّل منها وسار بخطوات متثاقلة وقد وضع حقيبة الظهر الخاصة به على ظهره. كانت الحقيبة تحمل في المعتاد ثياب العمل، فهو لا بد أن يرتدي زيًّا خاصًّا بالمتجر الذي يعمل فيه، وكانت في بعض الأحيان تحمل قليلًا من بواقي طعام جاءه هدية من جارته الجميلة. لاحت على وجهه ابتسامة من نوع آخر وهو يتذكرها. تأتيه ببعض ما تبقى على طاولتهم. شاب وحيد يقطن في

إحدى المناطق الشعبية التي لم ينضب فيها العطاء بعدُ. كانت جميلة وتصغره ببضعة أشهر، وتصنع له الطعام وترسل أخاها الأصغر به حتى لا يلحقها شيء يضر بها وبأهلها من حديثها المنفرد معه. لم يكن شابًّا فاسقًا، بل تمنى سرًّا وجهرًا أن يدخل البيت من بابه كما يقولون. يحلم أن يكون هذا الطعام على طاولته هو. تحدث بكلمات قليلة مع والدها الذي لم يرفض الفكرة، وإن طلب أولًا بعض الخطوات المنطقية. هز رضا رأسه موافقًا ومتفهمًا، وإن ظلت صورتها تلاحقه وهو يحاول أن يخطط كيف يفي بما أراد والدها.

- حاسب يا ابني! حاسب!

انتبه رضا فجأة إلى صوت أحد المارة الذي ينبهه إلى إحدى السيارات التي كادت تصطدم به، فتراجع مصطدمًا بالرجل نفسه وهو يسير حالمًا بطاولة الطعام التي يتمنى أن يرى حسناءه تقف بجوارها. تمتم معتذرًا إلى الرجل:

- معلش يا حاج! أنا آسف!

- ولا يهمك يا ابني، ربنا يستر طريقك، بس خد بالك، إنت ماشي كأنك في دنيا تانية!

ابتسم معتذرًا مرة أخرى وهو يفكر: هل يمكن أن تكون هناك دنيا أخرى غير التي يعيش فيها؟ تمنى وقد وصل إلى المتجر الذي يعمل فيه أخيرًا أن يأتيه بساط سحري يطير به من هذه الدنيا إلى دنيا تتحقق فيها أحلامه البسيطة. ارتدى ثياب العمل ووضع حقيبته في المخزن الصغير الذي تناثرت فيه الأجهزة التي تحتاج إلى إصلاح، ثم خرج إلى حيث قاعة المتجر الرئيسية. وقف معتدلًا ووضع بعض

الأجهزة أمامه على سطح الكاونتر مرتبًا إياها، ثم جلس على طرف المقعد العالي وأحنى رأسه مستغرقًا في مواقع التواصل الاجتماعي التي ظهرت على شاشة هاتفه. انغمس حالمًا في أحد الإعلانات التي تحدثت بشكل تمثيلي عن عصا سحرية تحقق الأحلام. زم شفتيه وهو يفكر في أن تغيير واقعه يحتاج إلى تلك العصا. هز رأسه وقال في نفسه: «ولا حتى مصباح علاء الدين والله!».

- مساء الخير.

انتفض رضا من مقعده وقد تفاجأ بشاب دخل المتجر ولم يلاحظه أو ينتبه له حتى تحرك ووقف أمامه مباشرة، ووضع كذلك على سطح الكاونتر حقيبة ظهر ملونة كان يرخيها من على ظهره. دقق رضا في الشاب الواقف أمامه لثوانٍ وقد بدا في الثامنة عشرة أو أكبر قليلًا، ثم قال:

- مساء الفل. أساعد حضرتك إزاي؟

- عايزك تصلحلي اللابتوب ده ضروري.

- هو فيه إيه؟

- مش متأكد بصراحة، بس هو قديم أوي.

كان الشاب قد وضع الحقيبة بالكامل على السطح أمام رضا الذي تأملها بشيء من التعجب، فقد كانت أقرب إلى حقائب الأطفال منها إلى حقيبة شاب في مقتبل العمر: عدة ألوان متداخلة، وحمالات تلونت بلون زهري مختلط بالأزرق، ثم ابتسم حين وقعت عيناه على جزء من الحقيبة ظهر عليه الجني الأزرق الكارتوني الصغير. التقط الحاسوب المحمول من الحقيبة وقلَّبه في يده وعيناه لا تزالان على الجني الأزرق والمصباح؛ مصباح علاء الدين!

شلة

الآن

ارتشف وائل القليل من قهوته وقد وضع إحدى قدميه فوق الأخرى في أحد الأماكن المميزة في النادي الرياضي الشهير الذي يرتاده منذ أن كان طفلًا. اختفت عيناه خلف نظارته الشمسية الفخمة، وإن جابتا في الأرجاء تنظران بشرود إلى من حولهما من الرواد. كان الجو مثاليًّا للجلوس، فهو يوم مشمس دافئ عكس معظم أيام هذا الشتاء الذي جاء محملًا بكثير من الأمطار والبرد القارس. جلس وحيدًا، فقد غاب من كان يجلس معه لسنوات عديدة. افتقد جاسر. ربما يصعب على الرجال البكاء، ولكنه بكى على موته كطفل صغير، بكى متعجبًا من دموعه، فهل يُعقل أن يبكي وائل العدل تحديدًا على جاسر مرتضى؟!

الحق أنها كانت علاقة متشابكة غريبة لم يفهمها الكثيرون. اعتمد وائل على جاسر لينتشله من عثرات كثيرة في طريقه، واعتمد جاسر على أن وائل واسع النفوذ، شديد الثراء، فلم يخشَ بصداقته الفقر

أو عواقب كثير من أفعاله، هذا ما ظهر للجميع، ولكن ما لم يفهمه أحد أن كليهما أحب الآخر بصدق. ركض كلاهما طفلًا في هذا النادي، تسابقا وتنافسا على فتيات النادي معًا. تنفس وائل بصعوبة وقد بدا أنه يرى جاسر شابًّا في أحد الملاعب أمامه، ترتطم بمضربه كرة التنس التي كثيرًا ما لعباها. سارا في الممر نفسه الذي يجلس أمامه الآن وائل وقد لحقتهما دائمًا نانسي. سار ثلاثتهم بثبات دائمًا ولم يفترقوا لسنوات طويلة إلى أن ظهرت نهلة. أنزل رأسه إلى أسفل لثوانٍ وما زالت أصوات ضحكات ثلاثتهم تدوي في عقله. اجتاح قلبه الأسى لكل ما حدث بينهم، وشعر بالذنب يأكل روحه. ربما لو تصرَّف بشكل مختلف في كل شيء لكانت نهاية القصة غير هذه النهاية القاتمة!

رفع عينيه مرة أخرى وهمَّ أن يكمل قهوته، ولكن ظلال شابين وفتاة أطلت من بعيد جعلت قشعريرة تسري في جسده. شعر لثوانٍ أنها أشباح ثلاثتهم من الماضي. مرت ثوانٍ أخرى ليفهم لماذا شعر بهذا، فزياد قد سار بنفس خطوات جاسر وهيئته. خطا إلى النادي وبجواره فارس، ولحقتهما هذه المرة لارا!

تمتم لنفسه وهو يتأمل هيئة زياد من بعيد، وتأمل رغمًا عنه هيئة فارس كذلك، ثم قال لنفسه بصوت مسموع: «اللي خلف ما ماتش صحيح!».

تفادى النظر في عينَي زياد الذي لم يلحظه أيضًا وقد اندمج في الحديث مع لارا وفارس. لم تصل أصواتهم إلى أذنيه، ولكنهم كانوا قد انغمسوا تمامًا في الكلام معًا.

قال زياد لفارس:

- أنا برضو مش قادر أفهم، رضا ده كان بيعمل إيه في بيت دينا؟!

كانوا قد وصلوا إلى مكان التدريب الذي لم يكن موعده قد بدأ بعدُ. لم يغب اليوم فارس عن التمرين كما فعل في الأشهر الماضية. أراد على الرغم من تغيُّر شخصيته وما يفعله أن يساند صديقه الأقرب زياد. جلس ثلاثتهم على المقعد الطويل، وإن جلس كلٌّ منهم بزاوية ليرى الآخرَين. كانت لارا لا تنطق تقريبًا، تستمع فقط إلى زياد وفارس اللذين ظل كلٌّ منهما يحاول أن يتكهن لماذا كان رضا في شقتهم، والأهم جاسر أيضًا! كانت هي لا تفكر إلا في أمها دينا المرعشلي. تردد صدى الاسم في زوايا عقل لارا التي كانت تضع قطعًا أخرى من الأحجية في عقلها. كانت تعلم يقينًا أن هناك أمرًا جللًا حدث منذ أن أصرَّت دينا على الطلاق بشكل مفاجئ من والدها. هل كانت هناك امرأة أخرى في حياة والدها كما قال الجميع، أم أنه رجل آخر في حياة والدتها؟!

هزت رأسها نافية بعنف من دون أن تصدر صوتًا، ولكن عينَي زياد لم تغب عنهما حركتها، فقال لها:

- فيه حاجة يا لارا؟

- لأ مفيش، معلش، فهموني كده بالراحة، رضا ده بيصلح laptops وmobiles، صح؟

- صح.

- وإنتو اديتولوا حاجات يصلحها قبل كده؟

- أيوه، كذا مرة، أنا دايمًا كنت باتعامل معاه.

- طيب إيه علاقة ده بأي حاجة؟

- ما أنا مش عارف يا لارا، ده اللي أنا وفارس بنحاول نفهمه!

صمتت وهي تحاول مرة أخرى أن تطرد من عقلها ما رأته قبل هذه الحادثة بعدة أيام. هل تخبرهما بما شهدته في المنزل، ربما يسلط هذا بعض الضوء على ما حدث ويحدث، أم تلتزم الصمت فهي نفسها لا تدري كنه ما رأت؟ قالت بعد تردد:

- طيب هو باباك ما قالكش أي حاجة عن ماما؟

نظر إليها فارس نظرة خاطفة، في حين التفت إليها زياد بجسده وعقد حاجبيه وقال لها بجدية:

- قصدك إيه؟

- قصدي إن أونكل جاسر طول عمره قريب من ماما، يمكن كان فيه حاجة بينهم...

صمتت ولم تكمل، في حين لم يحتج زياد إلى بقية الكلمات ليفهم. ابتسم له طيف أمه من وراء مقعدها في هذه الليلة المشؤومة، ودفنت دينا وجهه في صدرها. كلتاهما أمه بلا شك، نهلة ودينا. لا يقبل أن تظن لارا في أمها السوء حتى لو كان ذلك مع والده، وحتى إن كانت هي ابنتها.

- لارا، شيلي العبط ده من دماغك، وبعدين لو فيه حاجة بين أبويا وأمك كانوا برضو هيتقابلوا في شقتها هي؟!

ابتلعت ريقها وهي تدرك أنه محق، ولكنها على يقين من أن هناك شيئًا ما في حياة أمها تحاول جاهدة أن تخفيه. ظلت على وجهها علامات الحيرة والتخبط، فقال فارس هذه المرة:

- إنتِ إيه اللي بيخليكِ تقولي كده أصلًا؟!

- أصل...

قطعت جملتها وآثرت الصمت تمامًا عندما رأت وائل العدل ينهض من مجلسه ويتجه إليهم، وقد أراد أن يلقي التحية على زياد ويطمئن عليه. نظر فارس وزياد إلى حيث تنظر. لاح على ملامح الأخير التي يملأها الحزن الترحيب بمن هو من رائحة والده، وقال:

- أونكل وائل!

عاصم وزوجته المصون

الآن

وضع عاصم هاتفه المحمول أمام عينيه وظل ينظر بتركيز إلى شاشته وهو ينقر بأصابعه ليرى الكلام الذي ظهر عليه، في حين كانت زوجته على طرف الفراش وقد اندست تحت الغطاء وتناثر شعرها الطويل على الوسادة. كانت تنظر بطرف عينها إليه وقد انتابتها مشاعر مختلفة نحوه. لم تحركها المشاعر نحو هذا الأمر في البداية، بل لم يحركها العقل كذلك، فقط علاقة سريعة تهرب بها من عناء واقعها والتنقل ركضًا بين دورها أمًّا وأبًا في آنٍ واحد. لا يهم تعريف هذه العلاقة، فقط هي لحظات تطفئ بها جوع احتياجها الشديد بلا قيود تعوق حركتها، ولكنها لا تنكر أن شيئًا ما تغير في الآونة الأخيرة؛ رويدًا رويدًا تشعر كأنه احتل القليل من أفكارها بشكل يومي. تُفضِّل أن تمكث بجواره في صمت على أن تذهب إلى بيتها إن خلا من أطفالها. لم تعد تأتي فقط لتنسل من الفراش مرة أخرى إلى سيارتها وقد نسيت أي شيء دون لمساته المشبعة، بل تفكر في قضيته وفي

حياته اليومية بشكل غريب لم تعتده منذ أن تركت والد أطفالها بلا رجعة. اتكأت على كوعها وقد رفعت رأسها قليلًا عن الوسادة لتقول له باهتمام حقيقي:

- إيه؟ لسه مسحول في القضية بتاعة الست إياها دي اللي كنت حكيتلي عنها؟

أشاح بعينيه من على شاشة هاتفه ونظر إليها وقد واجهته بجسدها ونظرت إليه بعينين مهتمتين. ابتسم ابتسامة خافتة وهو يتأمل ثياب النوم التي ارتدتها، قميصًا زهري اللون به بعض الورد الأبيض. بدت جميلة بشكل مختلف وقد خلت ملامحها من ألوان المساحيق التجميلية الثقيلة التي اعتادت وضعها في مقابلاتهما. شجعته عيناها اللتان امتلأتا بالاهتمام الصادق أن يضع الهاتف بجوار الفراش ثم يضع يده على وجهها برفق ويقول:

- أه، مش قادر أفكر في أي حاجة غير القضية! حاسس فيه حاجة قدامي بس مش شايفها!

- حاجة زي إيه؟

- مش عارف بالظبط.

- طيب إنتو وصلتوا لأي خيط أو أي حاجة؟

هز رأسه نافيًا وهو يتنهد وقد وضع رأسها بين أضلعه وأكمل:

- ولا أي حاجة!

استكانت بسعادة وقد وضعت رأسها على صدره وتمتعت بصوت ضربات قلبه المنتظمة، وقالت وهي تنظر إلى أعلى كما ينظر هو:

- طيب ونانسي دي، ما طلعش فيه بينها وبين جاسر أي علاقة فعلًا؟

- طلعوا كانوا مرتبطين أيام الجامعة على حسب كلامها هي، كانوا تقريبًا مخطوبين لغاية ما مراته ظهرت في حياته، سابها واتجوزها.

- وهي عملت إيه؟ سابتهاله كده وخلاص؟

عقد حاجبيه لعدة ثوانٍ وهو يفكر في الصورة التي رآها لفرح جاسر ونهلة، وفي الخلفية بدت نانسي ووائل يحاول منعها من شيء ما. قال وهو ما زال يرى الصورة في عقله:

- أعتقد كده. ممكن مجرد حركات بنات وخلاص، لكن اللي حصل إنه اتجوز وخلِّف، وهي كمان اتجوزت تقريبًا في نفس الشهر.

تركت حضنه واعتدلت وقالت له بلهجة شابتها الحماسة:

- ابنها أكبر ولا ابنه؟

نظر إليها وقد فهم ما ترمي إليه. فارس وزياد بدوَا في نفس العمر تقريبًا، وإن تعثر فارس في الدراسة. هل لهذا معنى ما؟! قال لها:

- وإن كان، دي حاجات من أكتر من خمستاشر سنة، حتى لو ابنه فمفيش دافع إنها تقتله أو تنتقم منه دلوقتِ.

- مش يمكن هددها إنه يقول لجوزها ولا حاجة؟

هز رأسه بعدم اقتناع، ثم قال:

- مش منطقي أوي برضو بعد السنين دي، وبعدين هو كان كده كده بيساعدها في تربيته وبيحاول يحل مشاكله معاها.

- طيب مش يمكن جوزها هو اللي قتله؟

نظر إلى وجهها لثوانٍ، ثم عاد ينظر إلى أعلى، وقال ببعض التردد:

- مش عارف برضو، حاسس إنها فكرة بعيدة، جوزها ده ملوش وجود تقريبًا، وأعتقد إنه ما جاش مصر أساسًا.

صمتت وهي تفكر، ثم قالت بعد عدة ثوانٍ:

- مش عارفة يا عاصم بصراحة، بس فيه ريحة third wheel في الموضوع.

- مش فاهم قصدك.

- يا عاصم يا حبيبي، جريمة لا فيها سرقة ولا فيها دفاع عن النفس يبقى لازم وراها غيرة ستات، نفسنة رجالة، حاجة كده!

فكر قليلًا وهو يضع مرة أخرى احتمال قتل جاسر على يد زوج دينا أو نانسي، أو ربما على يد فارس. نفض رأسه وهو يشعر مرة أخرى بأن الأمر ينقصه شيء ما ليكتمل. زوج دينا طلقها وتزوج، ونانسي لا يظهر زوجها، وفارس لا يقوى جسديًّا على قتل جاسر، ماذا عن وائل إذن؟

لكن لماذا قد يقتل وائل جاسر؟! التقط هاتفه من جوار الفراش، وتصفح هذه المرة صفحة وائل الشخصية التي ظهرت فيها أيضًا بعض الصور القديمة التي تجمعه بجاسر ونانسي. كانت عيناها أيضًا تتابعان معه، إلى أن وصل إلى إحدى الصور، فقالت له بحماسة:

- استنى، هات الصورة دي تاني كده!

كانت الصورة لجاسر يحتضن نهلة في الكلية وهو يقف خلفها، وبجواره وقف وائل ينظر إليهما بابتسامة وقد واجههما وليس الكاميرا، وبجوار وائل وقفت إحداهن وإن لم تظهر بشكل واضح في الصورة، إذ اختفى من وراء جسده معظم ملامحها.

- إيه؟ مالها الصورة؟!
- كبَّر كده بس، شوف الست اللي واقفة جنب وائل دي، صوابعها لامسة صوابعه!

كبَّر بالفعل ليجد أن ما تقوله حقيقي وإن لم يفهم ما تقصده بالضبط، فقط امرأة ما تحتضن أصابعها أصابع وائل.

- مش فاهم! وإيه يعني؟
- هي دي نانسي؟

تأمل عاصم الصورة وهو يحاول أن يتبين إن كانت نانسي بالفعل. بدا الجسد متناسقًا ويشبه إلى حدٍّ ما جسدها وإن لم يتأكد. لم يميزها أو يظهر فيها أي شيء سوى رسمة فراشات في الغالب بالحنة السوداء حول كعبها. لم يستطع أن يتأكد من كونها نانسي وإن شعر بأنها هي بالفعل.

- مش متأكد، يمكن، بس برضو فيها إيه؟ حتى لو وائل صاحب نانسي بعد ما جاسر اتجوز نهلة برضو مفيهاش حاجة.
- عارف حاستي السادسة بتقولي إيه؟

ابتسم ابتسامة مرحة ممزوجة ببعض السخرية والتسلية لكلمتها عن «حاستها» السادسة التي تؤكد جميع النساء امتلاكها:

- أحب جدًّا أعرف «حاستك» بتقول إيه!

زمَّت شفتيها وقالت بحماسة وجدية وهي تبعد يده التي تعرف جيدًا أين يريد أن يضعها:

- استنى بس، أنا باتكلم جد!

أعاد يده إلى مكانها، وظل ينظر إليها وعلى شفتيه نفس الابتسامة، ولكنها أكملت:

- الحكاية دي ما بدأتش من دلوقتِ!

رفع أحد حاجبيه وهو يسمعها تكمل:

- بدأت من زمان!

نهلة

أكتوبر ٢٠١٠

وقفت نهلة في مواجهة زياد الذي وقف على أحد المقاعد في غرفة المعيشة. وضعت كلتا يديها على قميصه تهندمه مبتسمة. كان يرتدي قميصًا أبيض قصيرًا وبنطلونًا أسود من القماش الناعم. على رقبته التفَّ بابيون أسود به نقاط حمراء. لديه اليوم نشاط في المدرسة يتطلب أن يرتدي زيًّا رسميًّا. بدا وسيمًا مبهجًا وقد اختلطت ملامحه الطفولية ببعض من ملامح جاسر الرجولية. عيناه السوداوان الواسعتان وسمرة بشرته جعلتها تشعر بأنها تنظر إلى وجه جاسر نفسه. مررت أصابعها في شعره بحنان ثم احتضنته وهي تتمنى ألا يشبه أباه في كل شيء. جاء صوت أزيز الهاتف من بعيد لينبئها أن حافلة المدرسة تقف أسفل البيت في انتظار زياد. رفعته من على المقعد وأنزلته وقد احتضنت يده في حب. التقطت حقيبته الصغيرة لتضعها برفق على ظهره، ثم نزلت معه الدرج وقد احتضن هو يدها صامتًا. ما إن ظهرت حافلة المدرسة

حتى التفت إليها ورفع رأسه لتواجه عيناه عينيها، ثم قال بصوت طفولي:

- Wish me luck, mum.

ابتسمت ابتسامة مشجعة وربتت على كف يده التي ما زالت تحتضن كفها، ثم جثت على إحدى ركبتيها لتواجه عيناها عينيه وقالت بصوت مطمئن واثق:

- ما تخافش يا زيزو، إحنا راجعنا الدور كويس أوي. You will rock, honey.

هز رأسه لها بابتسامة، فاعتدلت واقفة وتركت يده وقد أفلتها بصعوبة ثم استقل حافلة المدرسة. لبثت هي مكانها تتابعه بينما ظل يشير إليها بيده والحافلة تسير مبتعدة. دارت بجسدها لتستقل الدرج مرة أخرى وتدلف إلى شقتها وتغلق الباب بهدوء، فجاسر ما زال نائمًا في الغرفة لم يستيقظ بعدُ. اتجهت إلى حيث المطبخ وأعدت لنفسها فنجانًا من القهوة الساخنة وشطيرة من الجبن الذي تحبه، ثم جلست في شرفة غرفة المعيشة تحتسي القهوة ببطء وتذيب الشطيرة في فمها على مهل. اختارت هذه الشقة تحديدًا لأنها وقعت في حب هذه الشرفة. أعجبها أن تكون هناك شرفة واسعة لغرفة المعيشة تطل على حديقة صغيرة منمقة الورد. تتذكر جيدًا يوم جاءت مع جاسر أول مرة إلى هنا قبل أن يقررا شراء هذه الشقة. وقف كلاهما في هذا المكان بالضبط. وضع ذراعه حول ظهرها وانحنى كلاهما على سور الشرفة وأطلقا بصريهما في الحديقة. كلاهما علم أن هذه هي الشقة المنشودة بعد أن أعياهما البحث عن الشقق المتاحة. أحد المجمعات

السكنية الجديدة في هذا الوقت، بنايات قصيرة تتخللها حدائق صغيرة أحسنوا الاعتناء بها.

اختلط طعم مالح في فمها مع القهوة، فقط أدركت حينها أنها تبكي. الجميع حذرها من هذه الزيجة. تطايرت عبارات الأعلام الحمراء، ولن تستطيعي إصلاحه في كل موضع، ولكن الجميع تراجع وأثنى عليها حين اتضح ما فعله حب نهلة في جاسر مرتضى. أصرت ودافعت عما اقتنعت بداخلها أنه حبها الحقيقي. علمت أن ما قاله الجميع في محله، ولكنها راهنت على الحب الصادق وما يفعله في النفوس. مرت سنوات من الحلم الجميل لتستيقظ هذه الآونة على كابوس الماضي. تغير جاسر بسرعة وبدأ في السقوط من أعلى. لم يغب عن عينيها ما يحدث، وتعلم كذلك مَن وراء هذا التغير. مسحت دموعها بطرف إصبعها ثم وضعت فنجان القهوة الفارغ واعتدلت واقفة. أعطت الحديقة ظهرها واتجهت إلى داخل الشقة مرة أخرى. وقعت عيناها على صورة صغيرة يضع فيها جاسر زياد على كتفيه ويضحك كلاهما ضحكة مبهجة. وقفت لثوانٍ أمام الصورة ثم استنشقت بعض الهواء في صدرها وأخرجته ببطء، ثم تمتمت بصوت لنفسها: «ده بيتي وجوزي وحقي! I wont give in without a fight».

سارت إلى حيث غرفة نومها وفتحت الباب ببطء شديد حتى لا توقظ جاسر. رأت بطرف عينها ثيابه التي تناثرت على الأرض، ولم يغب عن نظرتها السريعة ما لحق بثيابه من أثر. ضمت شفتيها وقد خطت بقدمها متعمدة على قميصه الأبيض الذي انطبعت عليه بقايا

أحمر شفاه. لم تحتجْ إلى أن ترفع الثياب حتى تشم رائحة الخمر التي علقت بها وبالغرفة كلها. كانت قد أمضت ليلتها في غرفة زياد حتى لا تصطدم بجاسر عند رجوعه. خطت إلى حيث الفراش بأطراف أصابعها ثم التقطت هاتف جاسر المحمول، وخرجت من الغرفة بنفس الهدوء. ذهبت إلى غرفة مكتبها التي تعمل فيها من المنزل لعدة أيام في الأسبوع، مثلها مثل معظم العاملين في مجالها في البرمجة. وضعت هاتف جاسر على سطح مكتبها ثم وضعت حاسوبها المحمول بجواره. انحنت وفتحت أحد الأدراج لتخرج كابلًا خاصًّا. أوصلت هاتف جاسر المغلق بحاسوبها، ثم زمَّت شفتيها بسخرية لكلمة المرور التي ظهرت على شاشة هاتفه تمنعها من الولوج إلى ملفاته، ولكنها ما إن اتخذت مقعدًا وأنارت شاشتها حتى ضغطت عدة أزرار بسرعة ومهارة فأضاء هاتف جاسر وقد صار الآن موصولًا بحاسوبها. جابت بين ملفاته سريعًا إلى أن ابتسمت في انتصار ولمعت عيناها، وضغطت زر التحميل وقالت بإصرار:

«ما هو يا أنا يا إنتِ!».

خالد

الآن

نقر خالد بأطراف أصابعه على شاشة هاتفه وهو يسير بخطوات ثابتة إلى وجهته. كان يرفع بصره عن الشاشة كل بضع ثوانٍ ليتأكد من أنه لن يرتطم بأحد حوائط المديرية بينما يسير هائمًا في ردهاتها، أو ربما ليتفادى أحدًا من زملائه يسير في الاتجاه المعاكس. كان يتبادل الرسائل مع خطيبته الجميلة التي تمنعت عليه لسنوات، والآن تلاعبه بعدة مهام لا بد أن تُقضى لحفل الزفاف، ويحاول هو بكل طاقته أن يتفادى الخلاف معها. يتجنب الحديث عن كونه منغمسًا حتى أذنيه في التحقيق في جريمة قتل مزدوجة، فيجنب نفسه عناء سماع العبارات الأنثوية المعتادة بأن عمله أهم من أنواع الزهور التي سيتم وضعها على الطاولة، أو أن الوصول إلى قاتل جاسر مرتضى أكثر إلحاحًا من توقيت وصول المصور الذي سيؤرخ زواجهما. ظل ينظر إلى شاشته وهو يرد على أسئلتها بردود مثل: «حلوة أوي أوي. أيوه. ده كمان حلو جدًّا. أه. اللي يعجبك!».

لم يكن يرى بحقٍّ ما ترسله، فقط يرى بعينيه ولا تصل الصورة إلى عقله الذي انشغل تمامًا رغمًا عنه بالقضية. ما يشغله أكثر سبب ذهاب رضا إلى شقة دينا، فهو يرى - وإن لم يثبت ذلك - أن جاسر ودينا تتشابك علاقتهما، ولا بد أن هناك أمرًا ما شخصيًّا بين الاثنين، فوجوده في شقتها وإن كان غريبًا له مئات التبريرات، ولكن ماذا عن الفني الذي يصلح الأجهزة؟ ما الذي يقوده إلى كومباوند ناءٍ في الغالب لم يكن يتمكن من نطق اسمه بشكل صحيح؟ شغل باله الشاب صاحب الحقيبة الملونة، وإن لم يثبت بأي شكل أن له صلة بالقضية، فمن الممكن جدًّا أن يكون خالد يطارد سرابًا وأن حدسه قد أخطأ. تنهد وهو ما زال يرد على أسئلتها بنفس الأسلوب، وما زال يسير مفكرًا أن مطاردة سراب أهون من أن يجلس لا يحرك ساكنًا. أزمع على الانتهاء من عمله هنا ثم الذهاب إلى بيت نانسي لعله يتمكن من الحديث مع خادمتها كما اقترح عاصم.

مرت الدقائق إلى أن وصل إلى باب غرفة تكنولوجيا المعلومات. كتب لها:

باحبك، وباحب أي حاجة إنتِ اخترتيها. لازم أقفل دلوقتِ. داخل تحقيق. هاكلمك لما أخلص.

وضع هاتفه على وضع صامت لعله يحظى بساعة من التركيز في عمله بعيدًا عن ضوضاء وصخب تجهيزات حفل الزفاف المرتقب. دلف إلى غرفة فريق تكنولوجيا المعلومات في الإدارة، ثم جلس بجوار أحد الضباط العاملين في هذا الفريق الذي يعرفه جيدًا وعملا معًا في عدة قضايا قبل ذلك.

- صباح الفل يا أبو حميد، إزيك؟
- صباح الورد يا خالد باشا، لك وحشة والله!
- حبيبي يا أبو حميد والله. ها، وصلت لحاجة في الفيديوهات اللي بعتهالك؟

تحرك الضابط بحماسة ونشاط ودار بمقعده من دون أن يقوم من عليه ليواجه شاشة كبيرة موصولة بحاسوب محمول تم وضعه على سطح الطاولة بجوار الشاشة الكبيرة، ثم ضغط على أزرار الحاسوب المحمول لتظهر عدة صور متفرقة للشاب وحقيبته الملونة، كل صورة كانت من زاوية مختلفة. أشار إلى خالد لينظر معه إلى الشاشة، ثم قال بنفس الحماسة التي تحرك بها:

- والله يا خالد بيه أنا طلعت روحي عشان أعرف أجيب زوايا نشوف بيها وشه أو عربيته زي ما عاصم بيه أمر، بس إيه، كل كاميرا عدى من قدامها كان تقريبًا موطي راسه والكاب مغطي النص الباقي من وشه. فضلت وراه في كاميرات المول كله لغاية ما اتأكدت إنه ركن بره الجراج مش جواه. والله سعادتك راجعت عربية عربية دخلت المول اليوم ده لغاية الساعة اللي ظهر فيها في كاميرات المول!
- عفارم عليك، هو ده الشغل يا أبو حميد! أنا كنت متأكد إنك إنت اللي هتجيب النهاية! المهم وصلت لعربيته؟
- والله يا خالد باشا ده لو كان قاصد يعجزنا ما كانش هيركن في الكورنر ده بالذات!

عقد خالد حاجبيه وهو يتأمل ما يشرحه الضابط على الشاشة،

فقد التقطت إحدى الكاميرات خارج المول في شارع جانبي الشاب يسير في اتجاه المول وقد ظهر تقريبًا في نفس الوقت من خلفه عدة أشخاص، من ورائهم ظهرت عدة سيارات موضوعة خلف عمود يخفي معظمها. فهم ما يرمي إليه الضابط، فأيٌّ من هذه السيارات يمكن أن تكون سيارته، والأدهى أن أيًّا منها يمكن ألا تكون سيارته.

- هو أصلًا إيه اللي خلاك متأكد إن واحدة من دول عربيته؟! ما هو ممكن يكون جاي بأي حاجة، أوبر ولا تاكسي أو حتى مشي!

- كلام سعادتك منطقي، بس هو ما ظهرش في أي كاميرا في أي مكان حوالين المول غير هنا، وبعدين سعادتك لو كان راكب حاجة كان نزل قدام المول على طول.

أومأ خالد برأسه موافقًا، فالضابط كان على حق، ثم قال:

- فيه أي طريقة نعرف بيها أي عربية؟

بدأ اليأس والإحباط يلجان إلى قلب خالد، فالأمر تعدى سرابًا ليصبح البحث عن سراب في الظلام، إن كان هذا ممكنًا فيزيائيًّا، ولكن الضابط الذي لاحظ تغير ملامح وجهه قال بحماسة مطمئنًا:

- أنا دورت ورا كل عربية منهم سعادتك، وبصيت في كاميرات المرور اللي في الشوارع الرئيسية حوالين المول.

ابتسم خالد وقد أعجبه ما قام به الضابط من جهد إضافي للبحث، وقال بصدق:

- برافو عليك يا أبو حميد والله!

- متشكر يا باشا، المهم نوصل. اتفضل سعادتك.

أعطاه الضابط ورقة خُط عليها رقم السيارة واسم صاحبها، أو بالأحرى صاحبتها، فالسيارة كانت مرخصة باسم نانسي الرحمي.

إذن الشاب هو فارس!

رضا

شهر تقريبًا قبل الحادث

ارتدى رضا فانلة بيضاء بلا كُمين وقد شعر بحر شديد. زفر وهو يفكر كيف لشهر نوفمبر أن يكون بهذا الجو الخانق، أو ربما هي شقته بالذات. كانت شمس الظهيرة اليوم شديدة، فأصبحت الغرفة التي تقع تحت الشمس مباشرة بلا أي عازل حرارة على الرغم من أنه فصل من فصول الشتاء. ابتسم بسخرية ولمحة من الحسرة، الأحرى أن يقول غرفته، فهو يقطن فوق سطح أحد المباني القديمة في غرفة صغيرة تكفي بصعوبة لفراش وطاولة صغيرة مستديرة وضع عليها حاسوبه المحمول الذي اقتناه من أحد زبائن المتجر الذي يعمل فيه، كان به عطب بسيط، وصاحبه أراد أن يشتري غيره ولم يعبأ بإصلاحه. أعطاه ببساطة لرضا على غلو ثمنه. تعجب رضا يومها من سهولة تخليه عن شيء غالي الثمن بهذا الشكل بسبب عطب كان يمكن إصلاحه في بضعة أيام، ولكنه علم أن ثمنه لم يكن باهظًا لصاحبه، بل إن عناء الانتظار وإصلاحه بدا أكثر ثمنًا له. لم يكن لهذا أهمية كبيرة، فقد جاء

في مصلحة رضا نفسه الذي امتلك حاسوبًا محمولًا عالي الجودة بلا ثمن يُذكر بعد أن أصلحه.

كان يشعر بضيق حوائط الغرفة وقد أضاءت اللمبة الوحيدة الغرفة بضوء أصفر باهت. قطع الغرفة في خطوتين وقد ترك حاسوبه مضاءً، وفتح باب الغرفة ليقف على سطح البناية. أدار عينيه في السطح الذي امتلأ بالتراب وقطع الأثاث المحطمة التي تركها أصحاب البناية. جاءت نسمة من هواء الشتاء الغائب فداعبت وجهه، فأغمض عينيه لثوانٍ. لثوانٍ تخيل السطح أصبح ملكًا له وقد زرعه ببعض الخضراوات الطازجة التي اعتاد أكلها في بلده. تخيل الطاولة الصغيرة كأنها سطح خشبي طويل وضع عليه حاسوبه وأدواته وقد أصبح مدير إحدى شركات التكنولوجيا الناشئة، وفي هذا السطح المنمق يعمل ويتصل بالعالم كله، وقد وضع كوبًا من القهوة الأمريكية بجواره. ابتسم للصورة التي شعر كأنها حقيقية ثم تراجع مفزوعًا حين وُضعت كف على وجهه بقوة ومعها دوي صوت ضحكة عالية. فتح عينيه باستياء شديد وهو يرى بدوي صديقه وجاره يقف بجواره على سطح البناية، وقد علا ملامحه مزيج من السخرية والتسلية في الوقت نفسه، وقال لرضا:

- يا ابني مش هتبطل تحلم وإنت صاحي بقى؟!

كاد رضا أن يهوي بقبضته على وجه صديقه السمج، فقد أيقظه من نعيم الحلم إلى نيران الواقع بقسوته، ولكن ملامح وجه صديقه المألوفة وصدق الحب بينهما جعلا الغضب يتبدد ويحل محله الرفق والامتنان، ربما عليه أن يستمع إلى صديقه وأن يتوقف عن الحلم وهو مستيقظ لعله يلحق بقطار الواقع الذي طالما مر من أمامه وهو شارد.

- إزيك يا بدوي؟ مش هتبطل رذالتك دي وتخبط أو تتكلم قبل ما تنطلي كده؟!

- يا ابني هو إنت هتعيش الدور عشان يعني بتفهم في اللابتوبات؟! أنا آجي وقت ما أنا عايز!

ابتسم رضا وهو يتأمل ملامح بدوي الطفولية وجسده الذي ملأه الشحم. كان أول من رحب به في هذا الحي واتخذه صديقًا وأخًا بلا أي شروط. قدم له يد المساعدة في كل شيء، بل الحق أن هذه الغرفة الصغيرة التي لا يرضى بها الآن لم يكن ليستطيع أن يقطنها لولا مساعدته له في البداية. هز رأسه واتسعت ابتسامته ثم احتضنه بشكل مفاجئ، فقال الآخر ببعض القلق:

- إنت كويس يا رضا؟ أنا كنت باهزر معاك!

- أنا زي الفل! إيه؟ ما ينفعش أحضنك من غير سبب؟

هز كتفيه وقال بلهجة يشوبها القلق وإن ظهر على وجهه الود:

- مالك يله؟! ما تظبط كده، ولا قعدتك وسط المول والعيال السيكي ميكي غيَّرتك! لأ، أنا راجل أوي.

انفجر رضا ضاحكًا لصديقه واحتضنه مرة أخرى بحماسة. ضحك صديقه ووضع كلتا ذراعيه على ظهره وربت عليه في حنان صادق. قال رضا بعد أن افترق الجسدان:

- أعملك شاي ولا عايز تاكل؟

- شاي وأكل؟ الاتنين يا رضا؟ الاتنين يا حبيبي؟ إنت أصلًا عندك إيه يتاكل؟

ضحك رضا مرة أخرى ثم قال:

- عندي فطير وجبنة قديمة من البلد، وإنت عارف فطير أمي بقى. ادخل علَّق على الشاي وأنا هاسخن الفطير وأشوف كده عند الست حُسنة لو عندهم عسل وتبقى قضيت.

وضع يده على بطنه بحركة مسرحية، وظلت الابتسامة على وجهه وهو يتجه إلى داخل غرفة رضا ليقوم بعمل الشاي، وإن استوقفه صوت أزيز صادر من حاسوب رضا المحمول الموضوع على الطاولة. كانت الشاشة قد ظهرت عليها جملة «انتهى التحميل». شعر بدوي بفضول كعادته وهو يظن أن صديقه قام بتحميل أحد فيديوهات الفتيات اللطيفة. قام بالضغط على الشاشة بتلقائية فتحرك مكان الفأرة ففتح الفيديو القصير. وقف وقد تسمر وعقد حاجبيه بتركيز، ومن ورائه جاء صوت رضا الذي دلف إلى الغرفة مرة أخرى وهو يحمل الفطير:

- إيه ده؟! ده الفيديو اللي كان بيحمل؟!

عاصم

الآن

تناثرت الملفات على سطح مكتب عاصم الذي قلَّب في الأوراق أمامه بتركيز وهو يرتشف ببطء من فنجان قهوة وضعه بجواره. أشعل سيجارة ونفث دخانها وهو ما زال يقلِّب بصره بين المعلومات التي امتلأ بها سطح المكتب. كانت زوجته قد نبهته إلى أن شيئًا أسفل غبار الماضي لا بد أن يكون سبب هذه الزوبعة. تشابكت علاقات وائل بدينا ونانسي وجاسر، بل لاح تساؤل عن نهلة زوجة جاسر الراحلة، ومن ورائهم أولادهم. اعتقد أيضًا أنها محقة، فثمة شيء ما في الماضي عاد ليعكر صفو الحاضر وانتهى بقتيلين!

دعا أن يأتيه ملف قضية وائل العدل التي كان متورطًا فيها منذ خمسة عشر عامًا، تحديدًا سنة ٢٠١٠. يذكر شخصيًّا هذه القضية، فقد تداولتها الصحف وانتشرت على مواقع التواصل الاجتماعي. كان والد وائل ما زال حيًّا يُرزق، بل كان لا يزال في منصبه في مجلس الشعب. بلاغ من مجهول عن بعض المخالفات في شركة وائل العدل؛

رجل الأعمال الشاب الذي ذاع صيت شركته في غضون بضعة أعوام من انطلاقها. تدخَّل والده بسرعة، ولكن بعض الأدلة كانت دامغة، وبدا أن وائل سيقضي بضع سنوات وراء القضبان، والحق أن جزءًا كبيرًا من القضية وحصولها على هذا القدر من الاهتمام كانا بتحريض من منافسي والده، ولو لم يكن الأمر كذلك فما كانت لتحظى بهذا القدر من الضجة، ولكن الأمر انتهى فجأة بلا تبرير، فقط تم حفظ القضية وانتهى الأمر. تساءل الناس بضعة أسابيع ثم انشغلوا بأمر خلاف الموضوع.

أراد عاصم أن يقرأ ملف القضية بالتفصيل لعله يجد أي علاقة بين ما حدث وقتها وما يحدث الآن. جابت عيناه السطور يقرأ، ثم توقف عند اسم نانسي الرحمي الذي برز بوضوح في التحقيقات. بدا أن جزءًا كبيرًا من الأموال التي نُقلت من الخارج من خلال شركة وائل كانت تأتي من حسابها الشخصي، واتضح أن معظم الصفقات التي وضعت عليها توقيعها كانت في الغالب صفقات وهمية، وهو ما أثار تساؤلًا عن كنه هذه الأموال ومن أين وإلى أين تسير وما الغرض الحقيقي وراءها! ظهر في الأوراق الرسمية أن حريقًا محدودًا في غرفة الأدلة أتلف كثيرًا من أدلة وتسجيلات هذه القضية بذاتها، فلم يعد هناك مجال لإحالتها إلى المحكمة. قامت الشرطة بالطبع بالتحقيق في هذا الحريق المفتعل، وظهر اسم جاسر مرتضى، ولكنه أيضًا لم تثبت عليه أي تهمة وإن تم نقله من القاهرة إلى إحدى قرى الصعيد. لم يلبث أن تُوفيت زوجته بعد عدة أشهر من هذه الأحداث، فقط ليصبح كالقنبلة منزوعة الفتيل. لم يكمل سنة

ثم تم تسريحه من الشرطة، ومرة أخرى لم تثبت عليه أي مخالفة غير قانونية. أرخى عاصم ظهره على مقعده وهو ينفث دخان سيجارته. من السهل أن تتخيل أن وائل ونانسي تورطا في قضية غسل أموال، وأن جاسر مرتضى تدخَّل واستطاع أن يخفي الأدلة ثم يمسح أثره هو شخصيًّا، ثم يفقد جاسر عقله وعمله على إثر موت نهلة، وقبل أن يموت هو شخصيًّا بعدة سنوات يقرر أن يتعافى ويصحح مسار حياته، فقط ليسبقه القدر فيصبح قتيلًا على الأرض في بيت دينا المرعشلي.

تنهد وهو يقلب الملفات فيقرأ تقرير الطب الشرعي لمقتل جاسر مرة أخرى. ارتطم رأسه بجسم حاد وإن لم يكن الجرح غائرًا. لم يقتله الجرح، ولكنه حتمًا أفقده الوعي، ثم جثا أحدهم على ركبتيه ليوقف مسار الهواء فيموت جاسر مختنقًا. استمر عاصم في نفث دخان سيجارته وهو يفكر: لماذا قُتل خنقًا؟ ألم يكن من الأسهل أن يهوي قاتله بنفس الجسم الحاد على رأسه حتى يموت؟ خَنْقه احتاج إلى وقت أطول وغل، بل الأعجب أن سلاح جاسر الناري ظل غالبًا في مكانه إلى أن التقطه رضا بعد ساعتين تقريبًا، وإن ظل عاصم عند رأيه أن قتل جاسر كان مصادفة، فلم يخطط أحدهم لقتله أو تعمَّد ذلك، فقط هي فرصة أتيحت له فانتهزها. من يكره جاسر إلى هذا الحد؟ ومتى سنحت له الفرصة اقتنصها؟

التقط عاصم من أحد الملفات صورة سيارة جاسر يوم مقتل نهلة، «٩ ديسمبر ٢٠١٠»، هل عني اليوم أي شيء؟

أسئلة تتطاير في عقله بلا إجابة. قرب الصورة إلى عينيه وكانت السيارة في حالة مزرية من شدة الارتطام والسقوط في حفرة إنشائية

كبيرة. كان أحد البيوت ظاهرًا في الخلفية، بدا مألوفًا لعاصم. الشارع الذي وقعت فيه الحادثة كان في هذا الوقت تقريبًا خاليًا من أي شيء، لم تكن المنطقة قد اكتمل إعمارها بعدُ. الآن الوضع مختلف، فقد امتلأت بالبيوت والفلل. أما في الصورة فقد ظهرت السيارة وعدة شوارع خالية وعدة بنايات تحت الإنشاء، ومن بعيد ظهر هذا البيت الذي استوقف عاصم. ضغط على بضعة أزرار ليرى شيئًا ما على تطبيق الخرائط على هاتفه المحمول. قام بتغيير الرؤية إلى الرؤية بالقمر الصناعي، فظهر البيت والشارع الذي وقعت فيه الحادثة بوضوح، وإن امتلأ الشارع الآن. تمتم عاصم بصوت مسموع:

- ده بيت وائل!

لارا

عدة أشهر قبل الحادث

هزت لارا رأسها على نغمات الأغاني التي انسابت إلى أذنيها من خلال سماعات الأذن التي وضعتها. كان الصوت مرتفعًا، يمكن أن تسمعه لو مررت خارج غرفتها. لم تكن في المعتاد تهوى الصوت العالي والأغاني الصاخبة، ولكنها بدأت في ذلك بعد طلاق والديها. كانت ترفع الصوت لعله يغطي على صوت خواطرها المضطربة. أرادت أن تهرب ركضًا إلى أي مكان بعيدًا عن هنا، تهرب من الآن إلى الغد. لم تمتلك سوى عقلها، تترك له العنان للهروب على ظهر موجات الصوت المرتفعة، فهي لا تقوى على الهروب الحقيقي!

أحبت والدها بشدة، وغضبت من والدتها عندما أصرت على الطلاق. لم تفهم كيف لها أن تفعل ذلك! كيف لها أن تتخلى عن أفضل رجال العالم! هكذا رأته دائمًا، أفضل رجال العالم، بطلًا خارقًا يحقق أحلامها، فقط لتستيقظ على كابوس رحيله من البيت ثم رحيلهم إلى بيت آخر! رفعت عينيها تتأمل غرفتها الجديدة التي

حرصت دينا على أن تماثل غرفتها القديمة، بل تفوقها جمالًا. لا تنكر أنها بداخلها تُقدِّر ما تفعله لها والدتها، تعرف في قرارة نفسها أنها تفعل كل ما في وسعها لتجعلها تشعر بأن هذا موطنها الجديد، ولكنها تتوق إلى بيتها القديم، إلى صوت خطوات والدها في ردهات البيت حين يعود متأخرًا إلى المنزل، تتمنى أن تسمع صوته في الأرجاء حتى إن كان هذا الصوت هو صوت شجاره الدائم مع دينا.

انسلت دمعة من عينها رغمًا عنها وهي تفكر فيه وفي كل ما يحدث في الآونة الأخيرة، ولكنها مسحتها ووقفت على بُعد خطوات من الفراش ودارت حوله لعلها تصرف عنها بحركتها هذه الذكريات والأفكار. أرخت السماعات على عنقها للحظة فخُيِّل إليها أنها تسمع صوتًا من خارج الغرفة. ألقت نظرة على شاشة هاتفها المحمول لتتبين الوقت، فوجدت الساعة تتخطى الواحدة بعد منتصف الليل. يغط عمر بالتأكيد في نوم عميق، وكذلك تفعل دينا في المعتاد. من أين يأتي هذا الصوت إذن؟ اقتربت ببطء من الباب ثم وضعت أذنها على سطحه لتسمع بشكل أوضح. هناك صوت شخص يتحدث، هذا مؤكد، ولكن من؟ لم يبدُ الصوت صوت دينا. هل هناك شخص آخر، بل «رجل» آخر؟ هل عاد والدها؟

تهللت أساريرها وهمت أن تفتح الباب، ثم تذكرت أن هذا البيت ليس بيت والدها أساسًا. هذا بالتأكيد غير حقيقي. هزت رأسها وقد تناقضت كل مشاعرها، ثم أصاخت السمع مرة أخرى. هذا الصوت يأتي من ناحية غرفة دينا! فتحت باب غرفتها ببطء شديد، ثم أخرجت رأسها من الباب فاستطاعت أن تسمع بوضوح صوت دينا وهي

تتحدث وإن شاب صوتها شيء لم تستطع أن تتبينه. هل هذا نحيب؟ انزعجت لارا وساورها القلق، فخطت خطوات صغيرة على أطراف أصابعها، فاستطاعت أن ترى بوضوح باب غرفة دينا المغلق وإن بدأ الصوت يتضح أكثر فأكثر. من الذي تتحدث معه دينا، أم أنها تبكي وحيدة؟ سمعت لارا صوتًا آخر في الغرفة. هي متأكدة. اقتربت من الغرفة أكثر وقد تناهت الآن إلى مسامعها الكلمات بوضوح:

- أنا مش عارفة إنت عايزني أعمل إيه؟! أنا خلاص اتطلقت! فاهم؟ اتطلقت وخسرت بيتي! عايزني أخسر أكتر من كده كمان؟!

وقفت لارا في مكانها منتظرة أن تسمع رد الطرف الآخر إن وُجد، ولكنها سمعت صوت خطوات بدت أنها تقترب من فراش دينا، ثم صوت بكاء دينا الحار. اقشعر جسدها لثوانٍ وقد رُسم في مخيلتها أن هناك شخصًا ما تبكي والدتها الآن بين ذراعيه. احتدمت مشاعرها حتى كادت تفتح بنفسها باب الغرفة لتتأكد مما جال بخاطرها، ولكنها تراجعت ركضًا على أطراف أصابعها وتوارت خلف باب غرفة عمر الأقرب إلى غرفة والدتها حين سمعت صوت الخطوات يتجه إلى حيث باب الغرفة. سمعت من حيث وقفت خلف الباب وقد كتمت أنفاسها حتى لا يصدر منها أي صوت. رأت ظل مَن كان بالتأكيد رجلًا ما يمر من جوار باب الغرفة الموارب، فكتمت شهقة كادت تخرج من فمها، ثم فجأة توقفت الخطوات وتسمر الظل للحظات، وجاء صوت دينا بهمس خافت وإن كان واضحًا للارا من حيث تقف:

- جاسر! ما تسيبنيش! أنا محتاجالك!

خالد وبيت نانسي

الآن

زفر خالد الذي ظل يجلس في سيارته لبضع دقائق يرد على رسائل خطيبته المنهمرة التي تقص فيها مأساة البحث عن مُورِّد طعام لحفل الزفاف. ما زال يحاول تفادي النطق بما يجول بخاطره نظرًا إلى انهماكه وانشغاله فيما هو أهم. يحبها ويخشى خسارتها، ويعلم ما الذي سيقال في مثل هذه المواقف. كان قد توقف في الشارع المواجه لفيلَّا نانسي الرحمي وجلس يتبادل معها الرسائل في حين يعمل عقله في مائة اتجاه مختلف، فقد علم يقينًا أن من كان يحمل الحقيبة الطفولية وذهب إلى رضا في المتجر هو فارس نفسه، وكذلك أمر عاصم بالتحري أكثر عن نانسي وعلاقتها بوائل وجاسر بشكل مختلف. عزم خالد على أن يذهب إلى فيلَّا نانسي وينتظر أن تخرج إلى النادي كما تفعل يوميًّا في روتين وموعد شبه ثابتين. أراد أن ينفرد بمدبرة المنزل وعامل الحديقة، وكذلك تمنى أن يتحدث مع فارس بشكل مطول من دون أن يضطر إلى حضور نانسي. كان

فارس قد توقف عن الذهاب إلى المدرسة في الآونة الأخيرة، ولم يره أحد تقريبًا منذ عدة أيام. ظهر مرة واحدة في النادي مع زياد ولارا، ثم لم يكن له أثر في أيٍّ من الأماكن المعتاد أن يرتادها. ظن خالد أن نانسي ربما أودعته في إحدى المصحات كما كانت تنوي، ولكنه علم يقينًا أن فارس في البيت لم يخرج.

ظلت عيناه تنتقلان بين شاشة هاتفه ورسائل خطيبته الحسناء وبوابة الفيلَّا في ترقب، إلى أن فُتحت البوابة وخرجت منها سيارة نانسي الفارهة. تنهد وهو ما زال يقرأ الرسائل ثم هز رأسه وهو يمني نفسه بأحضانها في ليلة الزفاف، عليه إذن أن يحتمل بضعة أشهر إضافية من هذا الهراء ليصل إلى مبتغاه. اجتهد في أن يحافظ على نغمة صوت هادئة واهتمام أراده أن يكون حقيقيًّا، ثم ضغط على زر الرسائل الصوتية وقال:

- والله يا حبيبتي إنتِ معاكِ حق. اختيار منيو الأكل صعب جدًّا ومرهق. بصي، أنا آسف، مضطر أسيبك دلوقتِ، بس إيه رأيك أعدي عليكِ بالليل نروح نجرب samples الأكل مع بعض؟ وممكن كمان نشوف الورد اللي كنتِ عايزاه.

أرسل الرسالة وانتظر لثوانٍ لتضع هي قلبًا على رسالته، فتنفس الصعداء وتمنى لو استطاع أن ينتهي من عمله في وقت مناسب حتى لا ينهال عليه وابل من الاتهامات بعدم الاهتمام. ترجل من سيارته واتجه إلى بوابة الفيلَّا، وقد تعمد أن يدلف إليها على قدميه حتى يتسنى له التحدث مع أيٍّ من العاملين في هذا البيت.

- أيوه، مين حضرتك؟

لاحقه حارس الأمن على البوابة، فقال خالد بصوت حازم قوي:

- المقدم خالد المصري، مباحث. إنت اسمك إيه؟ وبتشتغل هنا بقالك أد إيه؟

اعتدل رجل الأمن ببعض التوتر، ثم رد قائلًا:

- أنا إبراهيم، باشتغل هنا يا باشا من خمس سنين تقريبًا.

- إنت اللي ماسك البوابة والأمن لوحدك؟

- لا سعادتك، إحنا اتنين شيفتات بنبدل.

- مين تاني بيشتغل هنا يا إبراهيم؟

- سعادتك فيه عم فتحي الجنايني وفيه مريسا المربية.

- تعرف الراجل ده؟ كان بييجي هنا؟

وضع خالد صورة جاسر مرتضى أمام عينَي إبراهيم الذي نظر بدقة، ثم أومأ برأسه وقال:

- أيوه سعادتك، ده أستاذ جاسر الله يرحمه بقى، كان بييجي كتير هنا سعادتك.

- كتير إزاي يعني؟

ابتلع إبراهيم ريقه وقال ببعض التردد، فهو لا يريد أن يقول ما لا يليق عن مخدومته التي يدين لها بالولاء، ولكن عينَي خالد الصارمتين جعلتاه يتحدث:

- كان بييجي سعادتك تقريبًا كل يوم، آخر كام شهر و...

تردد إبراهيم مرة أخرى، فاستحثه خالد:

- وإيه يا ابني؟ اخلص!

- بات هنا سعادتك كذا يوم!

عقد خالد حاجبيه مفكرًا: ما الذي يدفع رجلًا أعزب للمبيت في بيت سيدة متزوجة عدة أيام؟ وإن كان هناك شيء بينهما، فهل يُعقل أن يبيت في بيتها وهي محاطة بكل هؤلاء وابنها المراهق يبيت أيضًا في البيت نفسه؟ هل كان يساعدها على العناية بفارس كما قالت؟

- آخر مرة كان هنا إمتى؟

- يوم التلات اللي قبل اللي فات سعادتك.

قالها إبراهيم على الفور. إذن كان جاسر هنا قبل أن يموت بيومين بالضبط، فقد قُتل ليلة الخميس.

- هو جوز مدام نانسي آخر مرة كان هنا إمتى؟

- والله سعادتك أنا ما شفتوش أبدًا.

ازداد انعقاد حاجبي خالد وهو يفكر: خمس سنوات لم يظهر زوجها في هذا البيت! أيُعقل أن يكون مجرد زواج وهمي يضعها في إطار فقط؟ هل يمكن أن يكون فارس ابن جاسر كما فكر عاصم؟ فقد كانت نانسي بلا شك في علاقة مع جاسر في هذا الوقت، بل إنها أنجبت فارس قبل أن يولد زياد ببضعة أشهر! مرة أخرى تخبطت في عقله هذه الفكرة، فإن صدقت فما الذي تعنيه الآن بعد ما يقرب من ثمانية عشر عامًا؟ قلَّب خالد في الصور ثم وضع صورة أخرى أمام عينَي إبراهيم وسأل:

- طيب وده، كان بييجي هنا؟

نظر إبراهيم بطرف عينه وتعرف فورًا على وائل العدل، وقال من دون تفكير:

- سعادتك مدام نانسي وأستاذ وائل مش بيفترقوا!

مريسا

عدة أيام بعد الحادث

قامت مريسا، مدبرة منزل نانسي، بالشروع في تنظيف الغرف واحدة تلو واحدة، كما اعتادت أن تفعل كل يوم. دلفت إلى غرفة فارس الذي كان قد غادر إلى المدرسة، فتوقفت لوهلة وهي تتأمل الفوضى التي اعتادت عليها منذ سنوات. ملابسه متناثرة في كل مكان، النظيف منها امتزج بالمتسخ، وكأن عاصفة صغيرة مرت بالغرفة.

زفرت بضيق وهي تفكر في العادات التي لم تُزرع فيه منذ صغره، فلم تُعلِّمه والدته يومًا كيف يعتني بأغراضه أو ينظمها، وهو دائم الاعتماد على من يخدمه، وكأن ذلك من المُسلَّمات في حياته. تعثر لسنة أو اثنتين في الدراسة، فلم تهتم به والدته كذلك. شعرت رغمًا عنها بوخزة حزن تسري في صدرها وهي تفكر في حال فارس. لم يكن بالنسبة إليها مجرد ابن مخدومتها، بل كانت دائمًا تشعر بأنه ابنها هي، فلقد ربته منذ أن كان في الثالثة من عمره.

جاءت إلى البيت في نفس الأسبوع الذي عادت فيه نانسي مصطحبة فارس من الخارج حيث تزوجت والده. وضعت في هذه الغرفة بنفسها ألعابه وثيابه التي لم يتعدَّ طولها الذراع. ابتسمت بأسى وهي تتذكر أنه أتاها في نفس اليوم ليلًا في غرفتها ليستقر في أحضانها، فلم يكن يريد أن ينام وحيدًا. تعجبت، فلم يكن يعرفها أو يثق بها بعدُ، ولكنه مثل الأطفال جميعًا يشعر بالحب الصادق، ولا شك أنها أحبته بحق منذ أن وقعت عيناها عليه. والآن تتابع في صمت ما يحدث في حياته، ويضيق صدرها كلما فكرت في أنه ينزلق في هاوية تشعر بها حتمًا وإن لم تفهم بعدُ طبيعتها. تعرف حتمًا أن نانسي تحبه، ولكنها مشغولة عنه، ولم يرَ والده قَطُّ. تنتبه بصعوبة لوجود فارس، تعامله كطفل صغير، تَصرفه إلى غرفته كما تَصرف مشاعره بلا أدنى اهتمام، كأنها تغلق الأبواب عليه. لا تدري ما متاعبه الحقيقية أو معاناته الصامتة التي جعلته يتخبط لسنوات من دون أن يشعر به أحد سوى مريسا نفسها.

ومع ذلك لم يكن هناك الكثير مما تستطيع مساعدته به الآن. تنهدت بعمق وقد انتهت أخيرًا من ترتيب الغرفة، ثم أغلقت بابها خلفها وانطلقت إلى غرفة نوم نانسي.

زمَّت شفتيها وهي تلتقط الملابس أيضًا من على الأرض، فغرفة المدام لم تكن أقل فوضى من غرفة ولدها المراهق. همهمت بكلمات بلغتها الأصلية، واثقة أن أحدًا لن يفهمها حتى لو سمعها بالمصادفة. خرجت من الغرفة لتحضر ثياب نانسي المكوية وتعيد ترتيبها في الأدراج والرفوف، ولكنها توقفت فجأة وهي تفتش في خزانة

الملابس. هناك معطف مفقود! فتحت الأدراج مرة بعد مرة وأعادت البحث في الرفوف بلا جدوى. هل ضاع، أم اختلط بالملابس التي أُرسِلت إلى المغسلة؟ اعتراها التوتر وهي تعلم أن المدام لا تتهاون أبدًا فيما يخص ثيابها، وكل قطعة لديها تعني الكثير.

إن لم تجد المعطف قبل أن تلاحظ نانسي فقدانه فقد تخسر وظيفتها، وهذا آخر ما تحتاج إليه. وضعت يدها في جيب ثوبها القصير وأخرجت هاتفها، ثم ضغطت سريعًا على رقم الدراي كلين للتحقق من أن المعطف لم يذهب إلى منزل زبون آخر بالخطأ. وبينما تنتظر الرد شاردة في زجاج النافذة التي تطل على الحديقة الخلفية دققت نظراتها، فقطبت جبينها وهي تُقرِّب وجهها من الزجاج إلى حيث نانسي في الحديقة.

بدا الأمر غريبًا. كانت المدام تجثو على ركبتيها وسط العشب الأخضر، رأسها منخفض نحو مصرف المياه المعدني ذي الأشرطة الحديدية المستقيمة الموجود في زاوية الحديقة. ظلت مريسا تحدق في المشهد متعجبة: ما الذي تفعله المدام هناك؟ اقتربت أكثر، حاجباها يزدادان انعقادًا، رأت نانسي بوضوح تام تمد ذراعها بالكامل داخل المصرف، يداها تختفيان داخله، في حين تنظر بتركيز إلى الداخل كأنها تبحث عن شيء ما. هل أسقطت أحد أقراطها الثمينة؟ لو كانت القصة كذلك فلماذا لم تطلب منها أو من أحد عمال الحديقة البحث في المصرف بدلًا من أن تفعل ذلك بنفسها؟

لم تستطع فهم الأمر، وظلت عيناها مثبتتين على نانسي الجاثية على ركبتيها، ثم فجأة ومن دون سابق إنذار اصطدمت عينا نانسي

بعينَي مريسا التي تراجعت إلى الخلف في اضطراب على الرغم من أنها متيقنة أن نانسي لا تستطيع أن تراها، ولكن الهاتف سقط منها على الأرض من شدة اضطرابها، في حين دوى صوت موظف الدراي كلين على الطرف الآخر:

- ألو، ألو، دراي كلين السعادة، مين معايا؟

دينا المرعشلي

الآن

نظرت دينا إلى أمواج البحر المتلاحمة وقد ارتطمت المياه بالصخور بعنف فتناثر الرذاذ البارد على وجهها. قادت سيارتها إلى حيث بحر الساحل الشمالي، إحدى القرى التي امتلكت فيها أسرتها شاليهًا صغيرًا على البحر مباشرة، الساحل الطيب كما يقال. كانت تذهب إلى هناك منذ أن كانت طفلة. تركت سيارتها أمام باب الشاليه الخالي، وقد بدت القرية كلها كقرية أشباح، فقد خلا الساحل الشمالي من أي مخلوق وقد اشتدت برودة الجو في شهر ديسمبر البارد. سارت إلى حيث الصخور ووقفت عليها في ثبات في نهاية الممر الصخري اللسان الكائن في منتصف الشط الرملي بالضبط. وقفت على إحدى الصخور صامتة وقد انسلت الدموع من عينيها. ما الذي تفعله هنا في هذا الشتاء القارس وسط كل هذه الأحداث؟ أرادت أن تهرب من تسارع الأحداث لعلها تستطيع أن تفكر بهدوء، ما الذي عليها أن تفعله الآن؟ وربما أرادت أن تتلمس طيف صديقتها

الراحلة نهلة. ابتسمت بأسى لطيفها الذي استلقى على الرمال أمامها. هنا على هذه الرمال منذ سنوات عديدة سارت بجوارها نهلة وقد تشابكت أحلامهما وامتد البحر وحمل مع أمواجه ضحكاتهما! هنا على هذه الرمال استلقت نهلة بجوار جاسر لأول مرة، واحمر وجه نانسي وتعاظم غضب وائل! هنا كانت بداية القصة! ظلت دينا تنظر إلى طيف نهلة الذي ما زال يجلس على الرمال أمامها، وذهبت بخطوات بطيئة إليه، ثم جلست بجواره وقالت بصوت مسموع وقد اختنق صوتها بالدموع: «أعمل إيه يا نهلة دلوقتِ؟ أنا عارفة إني غلطت جامد أوي أوي، بس إيه الحل دلوقتِ؟ قوليلي!».

تردد صوتها في الفراغ وقد تلاحمت الأمواج بعنف مع الصخور مرة أخرى. تعلم يقينًا أن من استلقى بجوارها طيف يطاردها بإصرار كما طارد جاسر لسنوات. تمنت اليوم فقط لو استطاعت أن تسمع صوت صديقتها الحكيمة. لطالما علمت نهلة ما الذي عليها فعله بالضبط. كانت دينا أكثر ذكاءً، ولكنها لم تكن الأكثر حكمة قَطُّ. مدت دينا يدها إلى وجه صديقتها المتخيَّل وسمعتها تقول: «أنا قلتلك يا دودو، قلتلك بس إنتِ ما سمعتيش الكلام! وشوفي دلوقتِ بقينا فين؟!».

انتحبت دينا رغمًا عنها لهذه العبارة المتخيَّلة، فقد كان طيف نهلة محقًّا تمامًا. حذرتها مئات المرات، ستشتعل النيران حتمًا، فلا يمكن أن تسلم من خطر سيجارة مشتعلة بجوار خزان الوقود، ولكن دينا ضربت بكل شيء عرض الحائط لتنجرف وراء سرابٍ ما إن وصلت إليه حتى انفرط عقد حياتها بأكمله، فجلست على

الأرض تحاول جاهدة أن تلملم شتات الأحداث التي تلاحقت منذ أن وارت صديقتها التراب. أرخت رأسها على الرمال متجاهلة البرد والبلل الذي أصاب أجزاء من وجهها وثوبها، وتمنت لو كانت هي من ماتت في هذا اليوم المشؤوم. كادت تقع في نفس الحفرة التي وقعت فيها صديقتها لاحقًا في نفس اليوم، ولكن القدر اختار أن تنجو هي بإصابة بسيطة في ذراعها وأن تهوي صديقتها وتتحطم عظامها بأكملها.

تحملت بصبر وحب حقيقي زياد الذي أصبح ابنًا آخر لها، ولكنها لم تنسَ قَطُّ ما حدث في هذا اليوم الذي انحفر في ذاكرتها وذاكرة الجميع. كانت نهلة قوية الشخصية تدير الدفة دائمًا، تعرف ما الذي يتحتم عليهما فعله، تقرر وتتحرك وتسير خلفها دينا شاردة مطمئنة أنها لن تضل الطريق ما دامت تتبعها، والآن لا تستطيع أن تذهب إلى نهلة للمساعدة ولا إلى جاسر.

تسارعت أنفاسها ودموعها حين جاءها طيف جاسر، استطاعت أن تراه بجوار نهلة وقد جلس هو أيضًا على الرمال. ابتسمت من وراء دموعها لثوانٍ، فقد بدا منظر جاسر ونهلة على الرمال - وإن كان خيالًا محضًا - مبهجًا، فقد حان وقت اجتماع الأحباء. كانت نهلة تعشقه، ولم تتخلَّ عنه ببساطة، بل تكاد تجزم أن الدفاع عنه كلفها حياتها، وهو مهما حدث لم يسكن قلبه قَطُّ سواها. تنفست دينا ببعض الصعوبة، ثم مسحت وجهها الذي ابتل تمامًا، واستقامت واقفة على الرمال بحزم. لا بد أن تودعهما الآن وتتحرك إلى الأمام. سارت ببطء تعانق قدماها أمواج البحر وهي تفكر في أنه لم يعد هناك

كثير من الوقت للتفكير، لا بد أن تفكر الآن في النجاة فقط! لا بد أن تنجو بنفسها وبأسرتها، فليس للارا وعمر سواها! صمتت عند هذه الفكرة وأدارت رأسها إلى الوراء لتصطدم عيناها بعينَي طيف جاسر تحديدًا هذه المرة، فقالت وكأنها تتحدث معه بحق: «صدقني ده عشان خاطرك إنت بالذات، الولاد محتاجيني!».

أشاحت بوجهها ومسحت دموعها وقد استقرت على ما انتوت فعله. أسرعت الخطى هذه المرة إلى مكان سيارتها ودلفت فيها، وهي تنظر بثقة وحزم لنفسها في المرآة. الحي أبقى من الميت، هكذا يقولون. لن يعود الزمن إلى الوراء، لا يمكن أن تتراجع عقارب الساعة، الآن عليها أن تحيا وينتهي هذا الكابوس بأكمله. التقطت هاتفها المحمول وقد وضعت السيارة على وضع التشغيل استعدادًا للتحرك. لن تنظر خلفها إلى حيث خُيِّل إليها أن جاسر ونهلة ما زالا هناك. الآن ستتحرك إلى الأمام، هذا هو الاتجاه الصحيح. ضغطت على أزرار الهاتف وكتبت في رسالة:

موافقة.

ثم ضغطت على زر الإرسال وانتظرت الرد الحاسم.

وائل العدل

٢٠١٠

تابعها وائل بعينيه وهي تلملم ثيابها من فوق الأرض وترتديها بصمت. تفادت النظر إلى عينيه وتفادى هو أن ينطق. التقط سيجارة من علبة سجائره وأشعلها، وما زال الصمت يخيم على الغرفة. كانت ستائر الغرفة مسدلة وقد خيم الظلام على الغرفة على الرغم من أن الساعة لم تتجاوز العاشرة صباحًا. استطاع أن يرى دموعها على الرغم من الظلام. زفر بصوت خفيض. شعر ربما لأول مرة في حياته بالخسة: هل كان عليه حتمًا أن يحصل عليها؟ استدرجها، يعلم ذلك. لم تكن لتأتي من دون أن يفعل، هذا حقيقي وهو يعلمه، وكان يعلم في قرارة نفسه أنه إذا اختلى بها فلن تقاومه، سينتهي الأمر في بضع دقائق، فكل الحصون التي تدعي وجودها ستتهاوى مع كلمات حانية ولمسات رقيقة تحتاج إليها بشكل رهيب! ظل يتابعها وينفث دخان سيجارته التي أضاءت نيرانها البسيطة الغرفة. كانت قد انتهت من ارتداء ملابسها ولملمت من فوق الأرض ما سقط

من حقيبتها، ثم سارت إلى حيث الباب من دون أي كلمة. ظل هو في مكانه وقد اعتراه شعور غريب لم يعهده في نفسه قَطُّ، شعور بالذنب! دائمًا ما استطاع أن يحصل على من يشاء من النساء بلا أي جهد، لماذا اهتم أن يركض ويخطط بخسة وراءها وقد تمنَّعت عليه سنوات طويلة؟! لم تكن مهمة له بشكل خاص، ولكنها ظلت بعيدة المنال من عدة جوانب، فظلت نفسه تراوده أنها معركة لا بد أن ينتصر فيها. لماذا إذن يشعر بهذا الثقل في قلبه؟ لماذا رغمًا عنه تطارده عبارات التمنُّع التي وإن كانت صادقة لم تصمد أمام قوة رغبته؟ زفر نافضًا من عقله هذه الأفكار. لم يجبرها، فقد أتت بقدميها راغبة، فلا تلُم إلا نفسها. لماذا عليه أن يتحمل أخطاء غيره؟ بدأت نفسه تطمئن لهذه الفكرة، وتبدد غيم الذنب والحزن قليلًا ليدخل نفسه قليل من نشوة الانتصار، ولكن صوت جلبة بجوار الباب جعله ينتبه ويعتدل في جلسته. فُتح الباب فجأة ودلفت هي مرة أخرى وقد بدا عليها الفزع.

- إيه؟! إيه اللي حصل؟! ما روحتيش ليه؟!

- جاسر بره!

انتقل الفزع إليه وقد غاب اللون من وجهه تمامًا، وخرج صوته متحشرجًا وهو يقول:

- شافك؟

- مش عارفة! أنا شفته داخل البوابة رجعت من نص الجنينة!

انحنى يلتقط ثيابه من الأرض وارتداها في عجل، وقال لها وهو يتحرك نحو الباب:

- ما أعتقدش لحق شافك. أنا هاطلعله وأول ما يمشي هابعتلك تطلعي.

همَّ أن يخرج من الباب فأحكمت قبضتها على يده وقالت برجاء حقيقي:

- وائل!

وضع يده على يدها بتفهم وحنان حقيقي تعجب لهما، ثم قال وقالت عيناه نفس الكلمات:

- ما تخافيش!

خرج تاركًا إياها في الغرفة، فهوت على الأرض منتحبة في صمت، ولم تشعر بالوقت، فقط ظلت على حالها إلى أن تعالت نغمة هاتفها المحمول فأجابت ليصلها صوته على الفور:

- خلاص اطلعي.

أغلقت الخط وقامت تكاد تركض، وقطعت المسافة من حيث كانت إلى «...»، في لحظات قليلة مرت من داخل الفيلَّا وهي تتلفت رغمًا عنها يمينًا ويسارًا، وقد رأت وائل في منتصف المدخل ينتظرها لتخرج من باب البيت. لم تتبادل معه الكلمات، واتجهت إلى حيث الباب لتخرج هاربة من هذا الكابوس الذي أوقعت نفسها فيه، ولكن الزمن بدا أنه توقف تمامًا حين خطت خارج البيت لتصطدم عيناها بعينَي جاسر الذي بدا أنه عاد أدراجه لسبب ما! تسمر ثلاثتهم، وظلت عينا جاسر تنتقلان بين عينيها وعينَي وائل الذي وقف من وراء كتفها متوترًا!

عاصم

الآن

دار عاصم حول فيلَّا وائل العدل بسيارته عدة مرات. خرج من الشارع الخلفي إلى حيث الشارع الذي وقعت فيه سيارة جاسر مرتضى في الحفرة، وأودت بحياة زوجته نهلة منذ أكثر من خمسة عشر عامًا. وقف في محاذاة الرصيف وخرج من السيارة، ثم أشعل سيجارة وهو يتخيل الشارع وقت الحادث. بالتأكيد اختلف الشارع عما كان عليه حينها. الآن الشارع اكتمل رصفه واصطفت على جانبيه بعض الفيلَّات والحدائق المنمقة. تأمل عاصم الفيلَّات التي بدا معظمها حديث البناء، ثم توقف عند إحداها وهو يفكر: ربما هذه الفيلَّا تحديدًا قد بُنيت منذ عدة سنوات مضت. لم يكن يأمل أن يجد شيئًا ما في حادثة مرت عليها كل هذه السنوات، خصوصًا أنها قُيِّدت بوصفها حادث سيارة بلا أي شكوك. لقد قرأ بنفسه ملف الحادثة عدة مرات: ليلة ممطرة، شارع لم يُرصف، حفرة عميقة تُركت بلا تغطية مناسبة في شارع جانبي، هوت السيارة في الحفرة وارتطمت

بالأرض بقوة، طارت نهلة من المقعد الأمامي حين ارتطم جاسر بالـ«airbag»، وبقي زياد معلقًا بحزام الأمان في الأعلى حيث ظلت السيارة معلقة، ولكن أخرجه جاسر بنفسه، لم تفتح الـ«airbag» الخاصة بنهلة، إذ إن حزام الأمان لم يكن مغلقًا. وكما شرح له خالد من قبل، لا يمكن أن يكون حادثًا مدبرًا بأي شكل، مجرد حادث مؤسف أدى إلى موت شابة صغيرة السن. يعلم عاصم ذلك، لكن شيئًا ما يحوك في صدره، مصادفة غريبة أن تكون هذه الحادثة على بُعد عدة شوارع من بيت وائل العدل! غريب أن تتشابك العلاقات وتثار الشبهات ثم لا شيء! لماذا اختفت الأدلة وانتهت القضية ثم ساد الصمت فجأة في كل الأرجاء؟ خبرته في المباحث تقول إن شيئًا ما بشكل ما ليس في محله! بدا كل شيء كأجزاء من الأحجية لم تكتمل بسبب قطعة لم توضع في محلها بعدُ. سيدة يختلف عليها وائل وجاسر! من هي؟ نانسي الرحمي؟ دينا؟ امرأة أخرى توارت وراء الحُجب؟

كان يفكر وهو يسير في اتجاه الفيلَّا القديمة على أمل أن يجد بمعجزة ما من يتذكر الحادثة. وقف أمام الفيلَّا ورفع عينيه إلى أعلى ليرى إن كان قاطنو هذه الفيلَّا لهم زاوية رؤية على الشارع. توقفت عيناه على كاميرا عتيقة وُضعت أعلى الفيلَّا. خرج رجل خمسيني من بوابة الفيلَّا السفلية التي تبدو أنها من جراج الفيلَّا الخاص، هو بلا شك بواب هذه الفيلَّا، قال:

- أيوه، أي خدمة يا بيه؟

- العقيد عاصم الحسيني. إنت بقالك أد إيه هنا يا حاج؟

- ييجي عشرة اتناشر سنة سعادتك، من ساعة ما البيه الكبير بنى الفيلَّا دي.

زفر عاصم بضيق. إذن لم يرَ الحادث ولن يروي شيئًا عنه. بدت خيبة الأمل على وجه عاصم، فقال الرجل:

- إيه يا باشا؟ قلي بس حضرتك محتاج إيه، إحنا خدامينك!

ابتسم عاصم للرجل وقال:

- تسلم يا حاج، بس كان فيه هنا حادثة من أكتر من خمستاشر سنة كنت عايز بس أشوف لو حد فاكرها.

- ياه يا باشا! ما كانش فيه فلل اتبنت في الشارع ده أصلًا، يا دوب عم مرعي في الفيلَّا اللي هناك دي كان سعادتك بيحرس الأرض. عم مرعي، يا عم مرعي.

نادى البواب بصوت مرتفع، فالتفت عاصم الحسيني إلى حيث ينظر، فوجد رجلًا أكبر نسبيًّا في العمر، تدل بشرته على أنه من إحدى قرى الصعيد، يعبر الطريق من أمام فيلَّا مقابلة لا تبدو أقل حداثة من معظم الفيلَّات المجاورة.

- خبر إيه يا سيد؟ بتزعق كده ليه؟!

- الباشا بيسأل على حد يكون هنا من خمستاشر سنة كده أو أكتر.

- اؤمر يا بيه، أنا بقالي هنا من قبل الثورة سعادتك بتلات سنين.

انتبه عاصم وقال لمرعي:

- قبل الثورة بسنة كده، شهر ديسمبر في الشتا حصلت في الشارع قدام الفيلَّا دي حادثة كبيرة، توعى عليها أو تفتكرها؟

عقد الرجل حاجبيه وقد تشابكت تجاعيد وجهه بشكل غريب، ثم قال بعد ثوانٍ وبلا تردد:

- يوووه يا باشا! ده كان يوم زحل راحت فيه الست المسكينة! هم بتوع البلدية دول الله يسامحهم! راح في الحفرة دي أربعة سعادتك، وما غطوهاش غير لما الست المسكينة ماتت قدام ابنها! الدنيا اتقلبت سعادتك على البتاع ده اللي اسمه الفيستوك.

عقد عاصم حاجبيه وهو يتخيل حفرة عميقة تُركت في شوارع القاهرة الجديدة التي كانت لا تزال مهجورة في هذا الوقت، يروح ضحيتها عدة أشخاص في حوادث متفرقة إلى أن ينتهي الأمر بموت نهلة نفسها! ماذا إذن عن جاسر وزياد؟ كيف نجوَا بالضبط؟

سأل عاصم الرجل بتركيز:

- تقدر تقولي يا حاج أي تفاصيل حصلت اليوم ده؟

- يوووه سعادتك! ده أنا فاكر اليوم ده زي ما يكون إمبارح، أصل سعادتك اللي حصل ما يتنسيش! اليوم كان زحل وبرق ورعد وحاجة صعبة، وأنا سعادتك كنت جوه تحت خشباية كده كنا عاملينها ومولع نار أتدفى، وفجأة يا باشا لقيتلك عيل صغير طاير كده! والله سعادتك أنا اتخضيت زي ما أكون شفت عفريت! وفين يا باشا لما طلعت أجري لقيته سعادتك واقع على الأرض، عايش بس متخرشم! أمه الله يرحمها رمته من العربية قبل ما تقع في الحفرة! سبحان الله يا باشا على قلب الأم بقى! هي الله يرحمها أخدوا ييجي ساعة عشان يطلعوها من الحفرة عشان وش العربية كان مفعوص جامد!

لاح في عقل عاصم رغمًا عنه مشهد درامي مؤثر لنهلة وهي تلتقط زياد بشكل تلقائي وتلقيه خارج السيارة قبل أن تهوي السيارة إلى داخل الحفرة، وتنتهي حياتها وآخر شيء فيها إنقاذ طفلها الوحيد من موت محقق! ماذا عن جاسر إذن؟ سأل عاصم:

- محدش تاني كان في العربية؟

قال الرجل وهو يهز رأسه وكتفيه وكأنه سيروي شيئًا عجيبًا:

- لا يا بيه، كان فيها أبو الواد اللي كان سايق سعادتك، وكان سكران ريحته فايحة، بس لله في خلقه شؤون سعادتك والله، نجي وطلع عايش سبحان الله، والست الغلبانة هي اللي ماتت!

ضرب الرجل كفًّا بكف وهو يتكلم، وما زال عاصم يستمع له وهو يكمل:

- يا باشا العربية نزلت بوشها في الحفرة اللي كانت غويطة أوي، بس سعادتك نزلت بزاوية. هو سعادتك لف الدركسيون عايز يتفادى الحفرة بس ما لحقش فنزلت بميل.

أشار الرجل بكف يده إلى عاصم ليوضح له كيف كان وضع السيارة وهو يكمل بمزيج من حماسة الراوي والحسرة على الحادث المؤسف:

- فسعادتك راسه هو بقى ما اتخبطتش، وكمان سعادتك البلونة التي قدام دي سعادتك فتحت عنده وما فتحتش عند مراته. قدر الله بقى يا باشا. بس سعادتك كان مدشدش والعربية متطبقة عليه. أنا والله يا بيه قلت مستحيل هيطلع عايش!

ظل عاصم يفكر لبعض الوقت صامتًا بعد أن حيَّا الرجل ووقف

يجوب بعينيه في المكان نافثًا دخان سيجارته. لحظات ظلت خلالها المشاهد التخيلية تتناثر في عقله: زياد أُلقي بقوة من السيارة قبل سقوطها بثوانٍ، جاسر يدور بعجلة القيادة في محاولة يائسة لتفادي الحفرة، السيارة تهوي بزاوية فتستقر على الجانب الذي جلست فيه نهلة في حين يرتفع الجانب الآخر بضعة سنتيمترات كانت كفيلة لينجو جاسر! لا شك أن الجروح والإصابات التي ظهرت في تقرير الطبيب الشرعي هي من أثر هذا الحادث. شعر كأنه يرى الحادث بعينيه وإن لم يرَ إطلاقًا أن هذه المعلومات مفيدة في قضية قتل جاسر ورضا. هذه الحادثة لا يمكن أن تكون مدبرة، فقط حظ عاثر لعائلة تخبطت في الظلام.

telegram @
yasmeenbook

دينا المرعشلي

٩ ديسمبر ٢٠١٧

استلقت دينا على فراشها القديم الذي نامت عليه في صغرها. قررت أن تقضي الليلة في بيت والديها اللذين انتقلا للعيش في هذه المنطقة منذ عدة أشهر. انتقل كثير من الناس إلى القاهرة الجديدة هروبًا من القاهرة القديمة التي ضاقت بسكانها. لم تكن عادةً تحب النوم في بيت والديها، فحتى إن تغيَّر المكان فإن قطع الأثاث ظلت محملة بذكرياتها، ولكنها اليوم أصرت على أن تقضي سواد الليل على هذا الفراش حتى لا تضطر إلى قيادة سيارتها ليلًا بعد أن انتهت من زيارة إحدى صديقاتها التي امتدت لوقت طويل. غطَّت لارا في نوم عميق وارتفع صوت أنفاسها. تأملتها دينا وقد بدت كملاك وانكمشت بجوارها على نفس الفراش. وضعت دينا يدها تتحسس بطنها المنتفخ، فقد كانت تحمل في أحشائها طفلًا ذكرًا، عساه يكون وسيمًا كوالده. والده! تمثلت ملامح زوجها الوسيمة في فراغ الغرفة فانقبض قلبها رغمًا عنها. أرادت أن تأخذ أفكارها بعيدًا عنه. سنوات

طويلة مرت على هذه الزيجة المدبرة وأثمرت طفلة مبهجة جميلة، وعلى وشك أن تزيد ثمارها بهذا المولود المرتقب. لم تحبه ولن تحبه، لكن هل أحبها هو حقًّا؟ لا تظن هذا أبدًا. زوجة مثالية لحياة أرادها ورسمها هو بدقة. المهندسة الهادئة الشابة ابنة صديق والده، رجل أعمال متطلع وابن أحد رجال الدولة المهمين طرق باب مكتب والدها وخطا إلى غرفة نومها بسرعة البرق. أعاصير اجتاحت حياتها حين أصر والدها على هذه الزيجة. تدخلت نهلة لتنهي الصراع بطريقة عملية قاسية. لطالما غضبت منها لموقفها في هذا الوقت وإن تفهمت مخاوفها. خمسة أشهر من المعارك انتهت بزواجها. تسعة أشهر وعدة أيام وأتت لارا إلى هذه الدنيا لتصبح كاللون الزهري في خلفية سوداء. لن تتمكن من الفرار الآن، لكن هل امتلكت القدرة على الفرار أساسًا؟

رُسمت لها هذه الحياة منذ البداية فلم يكن لها خيار، فلن تقوى أبدًا على مواجهة اللواء أحمد المرعشلي. ملأت رئتيها بالهواء في محاولة يائسة أن تشعر ببعض السعة في صدرها المنغلق. تحركت من الفراش ببطء حتى لا تستيقظ لارا، ووقفت أمام المرآة. تأملت انعكاسها ثم التقطت إحدى الكرات البلاستيكية في صندوق الألعاب الذي يجاور المرآة وألقتها بانفعال في مواجهة المرآة. ارتطمت بصوت ضعيف على سطح المرآة، فالتفتت دينا إلى حيث جسد لارا واطمأنت أنها لم تستيقظ. هل يمكن أن تضع اللوم على والديها لما يحدث الآن في حياتها، أم لا بد أن تلوم نفسها فقط؟ لم تتمتع ببعض الخصوصية، لم يُسمح لها بأن تحلم أمام المرآة من دون نقد أو تقريع.

سيقت إلى زيجة لم تأخذ منها شيئًا مختلفًا، لتجد نفسها في نفس الغرفة وقد زاد حملها واشتدت غربتها. تراجعت من أمام المرآة بعد أن أغلقت الإضاءة، واندست بجوار لارا في الفراش، وأغلقت عينيها لعلها تحظى ببعض الراحة. ضغطت جفونها عنوة كأنها تغلق عقلها لا عينيها فقط، ثم التقطت هاتفها وهمَّت أن ترسل رسالة إلى نهلة، ولكن هاتفها المحمول توهج باسم شخص آخر، ترددت للحظات، ثم ضغطت بحزم على زر رفض المكالمة.

خالد وفارس والحقيبة

الآن

دلف خالد إلى داخل الفيلَّا بعد أن أنهى حواره مع رجل الأمن، وقد ظلت كلماته عن جاسر الذي يقضي ليالي في هذه الفيلَّا ووائل الذي لا يفترق هو ونانسي تدور في رأسه. ما زالت علاقات هذه المجموعة تتشابك وتبدو غريبة غير مفهومة. سيدة متزوجة لم يُرَ زوجها قَطُّ، ويقضي خطيبها السابق ليالي نائمًا في بيتها، وصباحًا لا تفترق هي وصديقه الحميم! جالت بخاطره المشاجرة التي كانت بين جاسر ووائل وما قاله الشاهد لعاصم. الشجار كان حول امرأة، أهي نانسي إذن؟ زفر خالد وهو يسير في الممر الخارجي للفيلَّا إلى أن وصل إلى باب الفيلَّا التي يعلم أن صاحبتها قد خرجت وأن فارس بالداخل. طرق الباب وانتظر لحظات إلى أن فتحت الباب مريسا مدبرة المنزل الآسيوية، ثم قالت بعربية ركيكة:

– مدام مش هنا.

– عارف. do you speak Arabic?

قالها بإنجليزية متقنة، فقد كانت مدرسته تهتم كثيرًا باللغات، وكان هو من محبي التعلم. هزت مريسا رأسها وهي تحرك يدها وتقول:

- شوية شوية.

- إنتِ بتشتغلي هنا من إمتى؟

آثر أن يتحدث معها بالإنجليزية حتى تستطيع أن تفهمه أكثر. ردت بنفس اللغة:

- من أول ما المدام رجعت هي وفارس. تقريبًا من خمستاشر سنة.

- شُفتي أبو فارس كام مرة؟

- ولا مرة.

فكر خالد: هذا الزواج حتمًا ليس حقيقيًّا! هذه صورةٌ ما أرادت نانسي أن ترسمها. عادت الأفكار بأن فارس في الغالب هو ابن جاسر، لكن ذلك، مرة أخرى، لا يعني أي شيء في هذه القضية.

عاصم ووائل

الآن

ظل عاصم يدور حول فيلَّا وائل العدل بعد أن أنهى حواره مع حارس الأرض الذي قص عليه تفاصيل حادثة نهلة. أراد بشدة أن يتحدث مع وائل، فهو محور أساسي في هذه القضية من جميع الاتجاهات، ولكن التحقيق معه بشكل رسمي ليس سهلًا، فهو أحد أشهر رجال الأعمال في مصر وله نفوذ عظيم، فقط تم استجوابه بوصفه صديقًا حميمًا للقتيل. بعض الجمل القصيرة ألقاها على مدير عاصم نفسه ولم يحضر عاصم التحقيق، إذ كانت هذه هي التعليمات العليا. زم عاصم شفتيه وهو يفكر في أن هذا الرجل قد تنصل من جميع التهم المنسوبة إليه على مدى سنوات، وظل بعيدًا عن يد العدالة. كان هذا دائمًا يثير غيظ عاصم، فلماذا ينتهي المطاف بصغار المجرمين خلف القضبان في حين يظل من هم مثل وائل ينعمون بالحرية؟! تأمل من بعيد فيلَّا وائل العدل التي كانت تقترب في حجمها من القصور، ثمة حديقة واسعة لها مدخلان، مر على كليهما: الأول يبدو مدخلًا

أساسيًّا على باب الفيلَّا نفسها، والآخر يلتصق بما بدا من الخارج غرفة منفصلة للضيوف، وإن كان هذا الباب مغلقًا على ما بدا له. حسم أمره وقرر أن يطرق باب الفيلَّا ويتحدث بشكل مباشر إلى وائل. فلتذهب التعليمات العليا إلى الجحيم! لحظات وفتحت الباب مدبرة المنزل التي تساءلت عما يريد بالضبط، فقال بشكل قوي حازم:

- العقيد عاصم الحسيني. محتاج أكلم الأستاذ وائل العدل.

أشارت إليه بالجلوس على أحد مقاعد مدخل الفيلَّا الواسع ودلفت إلى الداخل. ظل عاصم ينظر بدقة في تفاصيل الفيلَّا بعينيه. كان هناك ممر واسع في مواجهة المدخل، استطاع أن يرى منه نهاية غرفة المعيشة التي كانت محاطة بزجاج شفاف يمكن أن ترى منه الحديقة. لم يكن يرى التفاصيل كلها من حيث يجلس، ولكنه خمن أن هذا الزجاج ستمتد من ورائه الحديقة ثم غرفة الضيوف التي رآها من الخارج. لم يستطع رؤية أي شيء غير بعض التابلوهات والصور التي تناثرت، وبعض أحواض الزرع التي وُضعت في أماكن متفرقة. استرعت انتباهه إحدى الصور التي وُضعت على طاولة مرتفعة بجوار الباب مباشرة. نهض وخطا بضع خطوات ليقف أمام الصورة حتى يراها بشكل واضح: وقف وائل والتصق به جاسر مرتضى وقد وضع جاسر ذراعه حول وائل في حين اتسعت ضحكة وائل. بدا كلاهما في الصورة يتخطى العشرين بقليل، كلاهما يرتدي ثياب البحر، وقد حمل جاسر في يده الأخرى سمكة كبيرة بدا أنهما تشاركا في اصطيادها من البحر. كانت الصورة في الغالب على سطح مركب صيد صغير، في الغالب مملوك لوائل نفسه. بدت صورة عادية

مبهجة لصديقين، ولكن شيئًا معينًا استوقف عاصم وجعله يلتقط الصورة من على الطاولة ويقربها من عينيه! في طرف الصورة على الأرض بجوار قدم وائل العدل مباشرة قبعت حقيبة ظهر طفولية عليها مصباح علاء الدين. لم يكن قد رأى الحقيبة التي تحدث عنها خالد من قبل، ولكنه كان شبه متأكد أن هذه هي الحقيبة التي رآها خالد على ظهر فارس، وربما لهذا السبب استوقفت خالد الذي حتمًا رأى هذه الصورة ولو بشكل خاطف حين أخذ أقوال وائل في أول التحقيقات. هل يعني هذا أي شيء؟ هل هي حقيبة مشابهة، أم هي نفس الحقيبة التي امتلكها وائل أو جاسر وقد وصلت إلى ظهر فارس بعد هذه الصورة بما يقرب من عشرين عامًا؟!

- إيه؟ الصورة عجبتك؟

انتفض عاصم وقد سمع من ورائه صوت وائل الذي رفع أحد حاجبيه ببعض الصلافة، فقال وهو يضع الإطار في مكانه مرة أخرى:

- صورة حلوة لحضرتك إنت والقتيل!

ضغط على حروف كلمة «القتيل» فتغير وجه وائل للحظات، ثم قال:

- أه، صورة حلوة لجاسر الله يرحمه. بالمناسبة، عرفتوا توصلوا لأي حاجة عن اللي قتله؟

حدقت عينا عاصم في عينَي وائل بشيء من التحدي، ثم قال عاصم بعد برهة قصيرة من الوقت:

- لسه.

- طيب تحت أمرك يا سيادة العقيد، أأقدر أساعد إزاي؟

قالها وائل ولم يعرض على عاصم الدخول إلى غرفة المعيشة أو حتى الجلوس، كأنه يقول ستكون مقابلة سريعة مقتضبة على باب الفيلّا. لم يُبالِ عاصم وقال بحزم:

- كنت محتاج أعرف أكتر عن علاقتك بدينا المرعشلي!

اصطبغ وجه وائل بلون غريب، وسرت رعشة بسيطة في يده اليمنى لم تغب عن عينَي عاصم الذي علم أن سهمه أصاب الهدف، وانتظر ما سيقوله وائل الذي تلفَّت برأسه إلى مدبرة منزله ثم قال:

- تقصد إيه؟ دينا صديقة من زمان، مفيش علاقة معينة.

حدق عاصم في عينيه بثبات، فبادله وائل نظرات ثابتة، فقال عاصم وهو ما زال ينظر في عينيه:

- حد غير جاسر كان عارف إنكم بتناموا مع بعض؟

علا بعض التوتر ملامح وائل، ثم قال لمدبرة المنزل التي ما زالت واقفة:

- لينا، make some coffee and get it inside.

ثم أشار إلى عاصم بلا أي كلمات إضافية أن يدلف إلى حيث غرفة المعيشة الواسعة. صدق حدس عاصم أن الزجاج الشفاف يواجه الحديقة التي يقبع بيت الضيوف فيها على الواجهة الأخرى من السور. جلس وائل وأشعل سيجاره الفاخر، فاتخذ عاصم المقعد المواجه وانتظر رد وائل على السؤال.

- لا، محدش عرف غير جاسر الله يرحمه.

كان عاصم يتوقع أن ينكر وائل، ولكنه تفاجأ أنه رد بشكل مباشر، فأكمل على نفس الخيط:

- بقالكم أد إيه في علاقة؟ كانت موجودة من قبل ما تتطلق، مش كده؟

شرد وائل لثوانٍ وهو ينفث دخان سيجاره في اتجاه معاكس لوجه عاصم. متى بدأ الأمر؟ متى تعثرت دينا في شباك نسجها هو بصبر لسنوات طويلة؟ مثَّلت له تحديًا صعبًا أراد اجتيازه، وما إن فعل حتى نهش الذنب قلبه. كانت مختلفة في كل شيء، وكان ما تحمله له في قلبها مشاعر حقيقية. لم تكن مجرد لحظات آثمة تفعلها بلذة المغامرة. غرقت في مشاعر متناقضة وصراع عنيف. صدقها فلم تكن قَطُّ كاذبة، بل إنه على جبروته وسوء خلقه تفهَّم ما تمر به، وإن لم يمنع نفسه من تعذيبها إلى أن تدخَّل جاسر.

- من قبل ما تتجوز أصلًا؟ صح؟

أومأ وائل برأسه ثم قال:

- اتقابلنا في الساحل في نفس اليوم اللي شاف فيه جاسر نهلة.

- طيب إيه اللي خلاها تتجوز حد تاني؟

كان عاصم يعلم بالتأكيد أن وائل لم يعرض عليها الزواج، وأن ما حدث بين جاسر ونهلة هو الاستثنائي. وائل وجاسر هما رمز الباد بوي الذي تعشق النساء الوقوع في شباكه، ثم لا تقبل به زوجًا.

- أبوها أجبرها وأنا ما كنتش مستعد للجواز.

وأكمل بسخرية وهو يلقي نظرة خاطفة على شعره الأبيض في المرآة في نهاية الممر:

- ولسه مش مستعد.

تمثل وجه دينا الهادئ وعيناها العسليتان ونظارتها الطبية في عقل

عاصم، ورغمًا عنه تعاطف معها. لم تكن لتستطيع الهروب بسهولة من رجل مثله، وتذكر رغمًا عنه عشرات مثل دينا مررن في حياته هو شخصيًّا. نظر بطرف عينه إلى شعره الأبيض أيضًا في المرآة ثم بلع ريقه بصعوبة وهو يزيح عن قلبه الشعور بالذنب، ثم قال:

- طول سنين جوازها وإنتو مع بعض؟

هز وائل رأسه نافيًا، ثم قال بصدق:

- لا، كانت بتروح وترجع.

- قصدك بتقاوم وتحاول تبعد وإنت ما بتسيبهاش في حالها؟

التقت عينا وائل بعينَي عاصم مرة أخرى بتحدٍّ، ثم قال وائل:

- أنا راجل واضح وسنجل. كل واحد يشيل شيلته!

- اتطلقت بسببك؟ جوزها عرف؟

هز رأسه نافيًا، وأكمل قائلًا:

- لا، هي أصرت فجأة على الطلاق. محدش فهم السبب بالظبط، حتى أنا.

- وجاسر؟

- ماله؟

- كان موقفه إيه بالظبط من علاقتكم؟

زم وائل شفتيه وهو يتذكر ليلة البار حين خطا جاسر فجأة نحو الطاولة التي جلس هو عليها ثم اقتلعه من مقعده حرفيًّا، وكاد يفتك به، وأمره أن ينهي علاقته بدينا وإلا فلن يحدث ما تحمد عقباه، ثم قال:

- جاسر كان زي ما يكون ولي أمرها!

دينا وجاسر

عدة أشهر قبل الحادث

قاد جاسر سيارته في جنح الليل صامتًا. التفت بصعوبة عن الطريق أمامه لينظر إلى دينا المرعشلي التي جلست في المقعد بجواره صامتة تمامًا.

اقتربت الساعة من الثانية صباحًا، وعلى الرغم من ذلك لم تخلُ الشوارع، فهي ليلة صيفية اعتاد الناس فيها السهر. كان يشعر بغضب شديد تجاه كليهما. نبهها عدة مرات إلى أن الانخراط في علاقة برجل مثل وائل العدل لا يناسبها، وحذر وائل في مواقف عديدة أن يترك دينا وشأنها، فهي ليست كغيرها من النساء اللواتي اعتاد مرافقتهن.

كانت في نظره أشبه بطفلة ساذجة في مشاعرها، لا تتناسب تصرفاتها مع كونها في الأربعين من عمرها أو أنها مهندسة ومديرة متميزة.

زفر بضيق وهو يضرب بيده عجلة القيادة غاضبًا، ثم نظر إليها

بطرف عينه فوجدها قد بدأت في بكاء صامت. حاول جاهدًا أن يسيطر على غضبه ليبدو هادئًا، ثم قال بصوت منخفض:

- إنتِ كويسة؟

أومأت برأسها في صمت من دون أن تتحدث، وقد شردت في إحدى المرايا المنعكسة على زجاج النافذة الجانبية. تمالكت نفسها كيلا يخرج منها صوت البكاء، على الرغم من أن دموعها انهمرت بسرعة.

التفت إليها وغابت عيناه عن الطريق للحظة، ثم أعاد رأسها في اتجاهه لتتمكن من رؤية عينيه للحظات قبل أن يعيد تركيزه على الطريق. تنهد بعمق قبل أن يقول بصوت دافئ غلب عليه الصدق الحقيقي:

- اللي زي وائل ده يا دينا مش بتاعك، مش هتطلعي من نُقرة تقعي في مصيبة! إنتِ تستاهلي واحد يحبك ويحافظ عليكِ، راجل محترم، مش أومرتي وبتاع نسوان!

أعادت وجهها نحو النافذة الجانبية وهي تقول بصوت سمعه بوضوح:

- بتقول كده على صاحبك؟!

- ما هو عشان صاحبي أنا عارفه كويس يا دينا، وعارفك إنتِ كمان!

- إنت مش عارف حاجة!

قالتها بصوت ملتاع يفيض بكثير من المشاعر. كيف له أو لغيره أن يفهم ما يتعارك بداخلها؟ ظلت حبيسة بين جدران وهمية حتى

اختلطت عليها حدود القضبان التي تحجزها عن نفسها الحقيقية. من هي حقًّا؟ المهندسة ابنة اللواء أحمد المرعشلي التي يشهد لها الجميع بدماثة الخلق والهدوء، أم مجرد فتاة طائشة تهوى الانطلاق وتشتاق إلى أن تتذوق طعم حياة حُرِمت منها طويلًا؟ من هو ليخبرها بما ينفعها وما لا يليق بها؟ ألم يكفها والدها وزوجها السابق لسنوات لم تقوَ فيها على الصراخ بصوت مسموع؟!

أوقف السيارة أسفل بيتها واستنشق نفسًا عميقًا ملأ به صدره، لعله يستطيع أن يُحجِّم مشاعره المتضاربة هو الآخر، فهو يعشقها، ويخاف عليها من الهواء الطائر كما يقولون. ساندته حين تُوفيت نهلة، وانتشلت زياد وجعلته جزءًا من بيتها، ساندته على الرغم من أنها علمت أنه غاب عن وعيه بسبب الخمر قاتلًا صديقتها الحميمة، انقلبت حياته وتخلى عنه الجميع إلا دينا. ظلت كنسمة ترعاه هو وابنه زياد بلا مقابل، بل جرَّته سرًّا إلى جمعية «المدمنون المجهولون» (AA)، واستضافت زياد شهرًا كاملًا في حين ذهب هو إلى إحدى المصحات ليُشفى.

يحبها بلا أي مواربة، فقد انتقلت إليها روح من زوجته الراحلة، كأنها أودعتها عهدًا لا تُخِلُّ به، ألا تتركه هو وابنه وحيدين، وقد فعلت، فكانت الحائط الصلب الذي استند إليه في أيام طال ليلها وغاب عنها القمر تمامًا، واليوم يحتاج هو إلى أن يكون لها هذا الحائط.

- دينا، صدقيني، أنا فاهم كويس أوي أوي، وعارف إنتِ عشتِ في بيت أبوكِ إزاي، وعارف أبو عيالك كان عامل إزاي. والله فاهم إن من حقك تعملي اللي ما عملتيهوش في حياتك كلها،

بس أنا عايزك تفكري، الراجل ده بقاله أد إيه بيشدك ويبعدك زي اليويو؟ ولو كانت نيته في أي لحظة طول السنين دي أي خير ليكِ كان اتصرف بطريقة مختلفة. اللي بيحب بجد يا دينا مش بيأذي اللي بيحبه كده أبدًا.

انتحبت رغمًا عنها. تذكرت أنها اتصلت به لينقذها بعدما خرجت مع وائل الذي غاب عن الوعي تمامًا بين كؤوس الخمر، وكاد يفتك بها في لحظات شهوة دامية. تملصت منه بصعوبة وخرجت من المكان وقد استطاعت أن تلتقط حقيبتها وتحتشم ببعض الثياب على جسدها، لتقف في الشارع على أحد الطرق الدائرية لا تعلم ما الذي عليها فعله الآن. سيارتها تركتها أسفل بيته بعدما جاءت معه ممنِّية نفسها بليلة مختلفة في هذا المكان الذي بدا ساحرًا. ظلت تتلفت حولها في ظلام مرعب وعقلها الخاوي الملتاع لم يجد سوى رقم جاسر، اتصلت به فجاء لنجدتها فورًا. ظل يتنفس بصوت مسموع، يتركها تُخرج ما اختزنته ضلوعها من مشاعر، ثم، وبشكل مفاجئ، احتضنها.

التفت ذراعاه حولها فاندست بكاملها داخله. دلفت رائحة شعرها إلى أنفه، واصطدم دفء أنفاسه بأعلى رأسها. تذكَّر آخر مرة احتضن فيها زوجته الراحلة نهلة. اختلج قلبه، فقد كان هذا الحضن هو أول حضن دافئ حقيقي تستقر فيه أنثى يهتم لأمرها بعد كل هذه السنوات. قال وهي بين ذراعيه:

- دينا، إنتِ اتطلقتِ عشان تدافعي عن نفسك، تتحرري، وأول واحد لازم تخلصي منه عشان تقدري تعيشي بجد هو الزفت ده!

عارفة يا دينا، أنا أول أسبوع عدى عليَّ في المصحة لما كنت باحاول أخرَّج الخمرة من جسمي كنت حاسس إن روحي هتطلع، بس بعدها لما الوجع راح عرفت إني عذبت نفسي وابني سنين على حاجة ما تستاهلش! خلاص يا دينا بقى، كفاية سم الزفت ده في حياتك!

أبعدت رأسها عنه والتقت عيناها بعينيه لثوانٍ. اليوم ترى شيئًا لم تره من قبل في عينَي جاسر. ابتلعت ريقها وجفف دموعها بأطراف أصابعه. وضعت يدها على مقبض الباب والتفتت إليه قبل أن تترك السيارة:

- جاسر، أنا متشكرة إنك أنقذتني!

هزَّ رأسه لها من دون أن ينطق، ثم ناداها بعدما وصلت إلى مدخل بنايتها:

- دينا.

التفتت إليه مترقبة.

- إنتِ اللي أنقذتيني!

التحقيق

الآن

ظل عاصم ينظر من زجاج النافذة وهو يحتسي القهوة منتظرًا خالد الذي تأخر على غير عادته. آثر عاصم أن يلتقي به في المقهى المجاور للمديرية كما فعلا المرة السابقة. كلاهما يحب القهوة ويحتاج إلى بعض الساعات بعيدًا عن جو المديرية الخانق. وضع عاصم بعض السطور في ورقة صغيرة أمامه وظل يضع خطوطًا بشكل عشوائي، فقط لتسري الأفكار بشكل منتظم في عقله. وائل ودينا كانا على علاقة لسنوات طويلة، وظلت تتقلب فيها دينا إلى أن تم الطلاق بينها وبين زوجها، ثم انتهت العلاقة تمامًا بعد الطلاق على غير المتوقع، ولكن جاسر كان له يد في هذا الأمر. تأكد عاصم من لقطات الفيديو أن الحقيبة التي كانت على ظهر فارس تقريبًا لا تختلف إطلاقًا عن تلك التي رآها في الصورة التي جمعت بين وائل وجاسر على سطح اليخت بجوار قدم وائل. ابتسم عاصم وهو يرى خالد يدلف إلى المقهى وهو

مطأطئ الرأس يكتب بعض الكلمات على شاشة هاتفه المحمول وهو مغتاظ، فقال له بعد أن جلس أمامه:

- لسه مطلَّعة عينك في ترتيبات الفرح؟

زفر خالد وهز رأسه وقال:

- ده لو فرح أوناسيس كان زماننا خلصنا الهبل ده، بس إنت عارف يا عاصم بيه الستات!

ضحك عاصم وقال بسخرية:

- إنت هتقولي! معلش، ما إنت اللي عايز تدخل دنيا، قابل بقى يا سيدي، إنت لسه شفت حاجة!

- معلش، ما الجواز علينا حق برضو يا عاصم بيه.

ضحك كلاهما، وقال عاصم وهو يضع كوب القهوة جانبًا ويتشارك مع خالد الورقة الصغيرة التي امتلأت الآن بخطوط وتقاطعات عديدة:

- طيب سيبك من العروسة والعريس وخلينا في القاتل والمقتول. ده خلاصة اللي عرفناه، دينا ووائل في علاقة، نهلة عملت حادثة بعد ما خرجت من بيت وائل في حفلة كلهم كانوا فيها، فارس هو اللي راح لرضا، واللابتوب اللي اتصلح ده لابتوب نهلة نفسها، والشنطة شنطتها. فيه حاجة تانية؟ خلاص علاقة دينا بوائل مفهومة، بس علاقة وائل بنانسي مش مفهومة، ولا علاقة جاسر بنانسي قبل ما يموت واضحة.

أومأ خالد برأسه ثم قال:

- ولا سعادتك علاقة دينا بجاسر برضو.

- معاك حق. هي علاقات الجروب ده على بعضه غريبة شوية،

وزي ما إنت عارف، بالذات نانسي، لأن الناس أجمعت إنها هي ووائل على طول مع بعض، بس برضو اللي كان بيبات عندها وكانت بتحبه زمان هو جاسر. مش مفهوم هو مين فيهم إيه، وجوزها برضو ظروفه إيه؟ أنا ما عرفتش أوصل لمعلومة مفيدة عنه غير إنه رجل أعمال خليجي.

- نانسي دي لوحدها لغز، بس الأهم إيه علاقة لابتوب نهلة وشنطتها باللي بيحصل دلوقتِ؟ حادثة موت نهلة دي كانت حادثة مليون في المية.

- ممكن مفيش علاقة سعادتك، اللي فهمته من فارس إن زياد اداله اللابتوب يصلحه عشان يديه لعمر ابن دينا عشان اللاب بتاع عمر اتكسر في النقل.

- معاك يا خالد، بس رضا ده مفيش أي علاقة بينه وبين أي حد في القضية دي غير عن طريق اللابتوب ده!

التمعت فكرة في عقل خالد وقال بانتباه:

- ما يمكن سعادتك اللابتوب ده كان عليه حاجة معينة جاسر مخبيها، ولما عرف إن زياد وداه هناك راح ياخدها من بيت دينا وهو عارف إنها مش موجودة.

عقد عاصم حاجبيه مفكرًا، ثم قال:

- والله يا خالد فكرة منطقية جدًّا، بس إيه اللي جاب رضا بقى هناك في نفس الوقت؟

- مش يمكن رضا خد نسخة سعادتك من اللي جوه اللابتوب وكان بيهدده؟

- ماشي، بس إيه اللي هيودي رضا عند دينا برضو؟ وهيعرف منين إن جاسر بالذات هناك؟

- مش عارف سعادتك، بس أعتقد إن البداية هي اللابتوب ده. ألا هو فين صحيح؟

الحفلة

ديسمبر ٢٠١٠، ٧:٣٠ مساءً

ركض زياد بسرعة شديدة ومن ورائه لارا التي لاحقته ومن خلفهما تعثر فارس وعلا صوت بكائه. قامت إليه نانسي وربتت على كتفه واحتضنته، فانطلق في إثر صديقيه بسرعة. تابعت عينا نهلة نانسي بشيء من الاشمئزاز، وإن لم تُعِرها الأخيرة أي اهتمام، وجلست مرة أخرى حيث مجموعة أخرى من النساء اللاتي يحضرن هذا الحفل الذي أقامه وائل العدل. اعتاد وائل أن يقيم حفلات شواء وغيرها لأصدقائه المقربين منذ أن سكن هذه الفيلَّا الجديدة في إحدى المناطق السكنية التي ما زالت بكرًا لم يقطنها الناس بعدُ.

أخرجت نانسي من حقيبتها باهظة الثمن إحدى سجائرها الرفيعة ثم قامت مرة أخرى لتخرج إلى الحديقة التي ما زالت الشمس تضفي عليها قليلًا من الدفء على الرغم من برودة الجو في هذا الشتاء. التمع العشب الأخضر من انعكاس الشمس، ولكنها ما إن خطت بقدميها عليه حتى شدت معطفها ثم أغلقت الباب الزجاجي من خلفها حتى

لا يتأذى أيٌّ من الأطفال من البرد القارس الذي شعرت به. ظلت عينا نهلة تتابعانها من وراء الزجاج الشفاف وهي تتفحص جسدها المغري من الخلف، وقد ظهرت مفاتنها في ثوب ضيق فضي اللون. خرج الدخان من فمها فظهر على جانبَي وجهها الذي لم تتمكن نهلة من رؤيته من حيث تقف خلف الزجاج، ولكنها رغمًا عنها شعرت كأن الدخان يخرج من أذنيها هي. رأت جاسر يخطو بخطوات ثابتة ليقف بجوار نانسي واستطاعت أن ترى وجهه، فقد دلف من باب آخر للحديقة في مواجهة الباب الزجاجي الذي تقف عنده نهلة وإن وقف بزاوية بسيطة فظهر جزء من وجهه والجزء الآخر كان قد وجَّهه إلى نانسي. أشعل هو أيضًا سيجارة وتحركت شفتاه وعلت وجهه ابتسامة، فأخذت نهلة نفسًا عميقًا وهمت بالتحرك، ولكن صوت وائل العدل الذي وقف خلفها بالضبط، وإن ارتفعت قامته عن قامتها فاستطاع أن يرى بوضوح ما تراه، استوقفها:

- مجرد سيجارة بتتولع وتنطفي تحت الرجلين بعد ما تخلص! هيخلصها ويدخل تاني!

التفتت برأسها إليه وأطالت النظر في عينيه، وقد فهمت ما يلمح إليه، ثم التفتت بكامل جسدها فأصبح وجهها على بُعد بضعة سنتيمترات من وجهه، وأصبحت حرارة أنفاسها ترتطم بوجهه، ثم قالت:

- عارف يا وائل، اللي بيحب حد بجد ممكن يعمل إيه عشانه؟

ظل يحدق في عينيها، جميلتان بلا شك، ويقبع وحش كاسر بداخلهما يراه الآن وائل وإن تعمد أن يتجاهله. قال بعد برهة من الوقت:

- باقولك إيه يا نهلة، لو حد فينا وقع هياخد جاسر معاه على فكرة!
- ساعات عشان حد يفوق بيكون محتاج يقع واقعة جامدة!
ثم أردفت وقد واجهته بكامل جسدها ونظرت إليه بحزم صادق:
- أنا باحذرك. دوسة واحدة مني وهتلاقي نفسك لابس بدلة زرقا!
تراجع وائل خطوة إلى الوراء بشكل عفوي، فلا يمكن أن يصف ما شعر به حين نطقت بهذه الحروف، فقد قالت جملتها بلهجة مخيفة، وفهم ما تقصده منها بالضبط، وهذه المرة بالذات دخل قلبه الهلع فعلًا.
- فيه إيه؟ مالكم واقفين كده ليه؟
قالتها دينا من خلف كتف وائل وقد دخلت إلى الحجرة مرة أخرى بعد أن انتهت من استخدام دورة المياه الملحقة بالمكان. ابتلع وائل ريقه ولم يتكلم في لحظتها، في حين ظلت ملامح نهلة جامدة وهي تنظر نظرة طويلة هذه المرة إلى صديقة عمرها دينا التي ظلت علامات عدم الفهم محفورة على وجهها، وقالت مرة أخرى:
- إيه؟! فيه إيه؟! مالها نهلة يا وائل؟!
- مفيش حاجة يا دودو. إنتِ أخبار دراعك إيه؟
قالها وائل أخيرًا لدينا مشيرًا إلى جرح حديث متوسط الحجم على ذراعها وقد وضعت عليه بعض الشاش. قلَّبت نظرها بين نهلة ووائل للحظة ثم ردت على وائل وهي تهز رأسها:
- الحمد لله، ربنا ستر بجد، الحفرة كانت عميقة بشكل فظيع! الحمد لله إني أخدت بالي.
- الحمد لله. عربيتك حصلها حاجة من خبطة العمود؟

هزت رأسها نافية وهي تتذكر الحفرة التي تفادتها في آخر لحظة لترتطم بطرف الشارع وتُجرح ذراعها من أثر الارتطام. كانت على بُعد عدة شوارع من بيت وائل، فآثرت الذهاب إليه عن العودة إلى بيتها بعد الحادث. قال لها:

- ما أنا قلتلك يا دودو هاتي سواق، إنتِ ملكيش في السواقة يا بنتي!

- مش سواقتي اللي فيها مشكلة، الصحرا اللي إنت جيت سكنت فيها والشوارع اللي مليانة حفر رهيبة!

أومأ برأسه موافقًا، وقال:

- معاكِ حق، الشوارع هنا لسه قدامها كتير أوي عشان تتظبط، بس المكان هنا أحسن من الزحمة الرهيبة اللي كنا عايشين فيها.

لم تغير نهلة من وقفتها أو جمود ملامحها وهي تتابع الحديث البسيط الذي يدور بين وائل ودينا، وإن ظلت دينا تنظر إليها بشيء من الترقب. قال وائل بعد عدة ثوانٍ:

- أستأذنكم أنا عشان أشوف الأكل هيجهز إمتى.

هزت له دينا رأسها، ثم التفتت إلى نهلة وقالت بجدية:

- فيه إيه يا نهلة؟! شكلك غريب أوي! هو فيه حاجة حصلت؟!

نظرت إليها نهلة بملامح متناقضة، وظهر على صوتها مزيج لم تفهم دينا كنهه بالضبط، هل هو حنق أم اهتمام؟!

- قوليلي إنتِ يا دينا، إيه اللي حصلك؟ للدرجة دي مغيبة؟! ولارا مش بتفكري فيها خالص؟! اتجننتِ؟ مش عارفة أبوكِ ولا جوزك لو شموا خبر هيحصل إيه؟!

- أنا مش فاهمة أي حاجة يا نهلة! هو إنتِ بتتكلمي عن إيه؟

أشارت نهلة وقد احمر وجهها وظهرت علامات الغضب عليه، وقالت وهي تضغط على حروف كلماتها:

- باتكلم على بيت الضيوف يا دينا!

عاصم ودينا

الآن

تخطى عاصم بسيارته سور الكومباوند الذي وقعت فيه كل هذه الأحداث وهو ينظر بعينيه إلى المكان الذي دقق فيه عدة مرات في الأسابيع الماضية. ما زالت الشوارع خالية، لم يُمهَّد معظمها بعدُ، تناثرت بعض السيارات أسفل بنايات متفرقة. كان يفكر في زوجته الحالية وهو يتخيل ماذا لو اقتنى شقة في أحد هذه المجمعات وسكنا معًا. تعجب من أفكاره: هل تغيرت مشاعره بحق إلى هذه الدرجة؟! ظلت مشاهد خيالية تزور عقله، ولكنها هذه المرة على غير العادة خارج حدود غرفة النوم، لعله يحتضن يدها ويسيران معًا في ممر مشابه لهذا الذي يراه الآن، على أطرافه بعض الورد والزرع الأخضر. ابتسم لتصوره ثم هز رأسه بعنف وهو يقول لنفسه بصوت مسموع تردد صداه في السيارة: «إيه يا عصومي؟ إنت هتخيب ولا إيه؟ زرع إيه وورد إيه؟ ركز وحياة أبوك، عندنا جثث أهم!». ولكنه بعد أن توقف بالسيارة أسفل بيت دينا المرعشلي أخرج هاتفه وأرسل إليها رسالة من كلمتين:

عشا النهارده؟

وانتظر لثوانٍ، ثم اتسعت ابتسامته رغمًا عنه وهو يقرأ:

٨ هاكون عندك. أجيب حاجة معايا؟

فأرسل لها:

لأ، أنا هاطبخ!

وضعت علامات وجه مشدوه على رسالته، ثم أرسلت قلبًا أحمر ينبض. زم شفتيه ولم ينكر شعوره. يحب أن يقضي معها وقتًا، ومرت عليه سنوات طويلة لم يقم بتحضير وجبة لامرأة يهتم لأمرها. دائمًا ما كان يهوى الطبخ وتعلَّمه صغيرًا على يد والدته، ولكن دوره بصفته ضابطًا حازمًا وقلبه الذي غلفه كثير من الجفاء منعاه من أن يمارس هوايته. كان يعلم أن الوقت ربما ليس في صالحه وهو يحقق في جريمة قتل مزدوجة، ولكنه يعلم أيضًا بداخله أن الوقت المناسب لأي شيء هو ببساطة الآن.

صعد الدرج في بناية دينا التي عادت إليها هي وأطفالها منذ عدة أيام، وطرق الباب وانتظر. فتحت له لارا بعد عدة دقائق ووقفت تنظر إليه متسائلة!

- ممكن تندهي ماما يا لارا. أنا العقيد عاصم لو فاكراني، إحنا اتقابلنا قبل كده.

أومأت برأسها ثم تنحت جانبًا ليمر عاصم، ثم ارتفع صوتها وهي تقول:

- ماما، ماما.

- إيه يا لارا؟! بتزعقي ليه؟! أنا في المطبخ.

قالتها دينا وهي تخرج رأسها من باب المطبخ وقد ظل جسدها

بداخله. التقت عيناها بعينَي عاصم الذي أظهرت ملامحه أنه يريدها في شيء مهم. تنهدت ثم قالت له بعينيها: «سآتي».

أعادت رأسها إلى داخل المطبخ وأطفأت النار، في حين تقدمت لارا عاصم إلى غرفة المعيشة وتركته إلى غرفتها. لحظات وكانت دينا تقف أمامه في غرفة المعيشة. قبل أن تجلس أشار إليها بعينيه أن تغلق الباب. لم تمانع لسبب ما. فهمت أن ما سيدور بينهما من الأفضل ألا يصل إلى مسامع أطفالها. أغلقت الباب ثم جلست أمامه وعلى مقربة منه. كانت منهكة تريد بلا شك أن تضع عن أكتافها حمل الحقيقة. قال بصوت حازم منخفض:

- احكيلي كده إيه الموضوع بالظبط.

ابتلعت ريقها ثم قالت:

- موضوع إيه؟! قصدك إيه؟!

- قصدي وائل.

التقت عيناها بعينيه وقد التمعت رغمًا عنها دمعة لم تسمح لها بالنزول. ضمت كفيها إحداهما إلى الأخرى واجتمعت قطرات من العرق البسيط على جبينها على الرغم من برودة الجو. تعاطف معها رغمًا عنه، فقد تصارعت في قلبها المشاعر وأرهقها الذنب أكثر من أي شيء. قال بعدما طال صمتها:

- آخر مرة اتقابلتوا إمتى؟ القصة دي استمرت أد إيه؟

- الموضوع خلص بعد طلاقي تقريبًا بشهرين.

- إشمعنى؟ مش غريبة إنك تقطعي علاقتك بيه بعد الطلاق مش العكس؟

- أنا كنت باحاول باستماتة أسيبه، ولما ما عرفتش اتطلقت.
- اتطلقتِ عشانه؟
- لأ، عشان نفسي.

فهم ما تعنيه، فلم تكن قِيمها كقِيم وائل بأي شكل وإن انساقت وراء رغبة مهينة، ولكنها خاضت معركة مع نفسها لتخرج زحفًا من عدة علاقات مؤذية في آنٍ واحد. أكمل:

- وجاسر؟ ما كانش ليه دور؟

أشاحت بوجهها ونظرت باتجاه النافذة وقد تمثلت ملامح جاسر في عقلها. جاسر كان البطل الخارق الذي حلَّق في السماء لينقذها. تركت دموعها تنزل وقالت وهي ما زالت تنظر في الاتجاه المعاكس:

- جاسر ساعدني، جاسر قواني عشان أتطلق، ووقف جنبي لغاية ما خلصت من سم وائل ده!
- بس هو فضل صاحبه!
- ما هو عشان صاحبه كان أكتر حد عارف إنه بيستغلني وإنه شخص سادي وشرير مع الستات.
- جاسر كان بيحبك؟

تسمرت لبضع لحظات، ثم قالت بأسى وهي ما زالت تتفقد ملامح جاسر في عقلها:

- الحب ليه أشكال كتير أوي، وأنا وجاسر كنا ما نستغناش عن بعض.
- طيب ونهلة؟

قالها بشكل مباغت خارج عن سياق الحوار، فالتفتت إليه وقد

سرت رعشة في جسدها لم تخفَ على عينيه قَطُّ، وقالت بصوت مخنوق:

- الله يرحمها. مالها؟

ظل ينظر في عينيها بثبات وهو يترقب ملامح وجهها التي اختلطت فيها التعابير:

- دينا، هو اللابتوب بتاع نهلة فين؟

توقع أن تنكر أو أن تنفي ما يحمله كلامه من مغزى، ولكنها قالت بعد أن استنشقت بعض الهواء كأنها تجاهد لكي تتنفس:

- مش عارفة، أنا حقيقي ما أخدتش بالي خالص إنه اختفى غير لما رجعنا البيت من يومين.

- مفيش أي حاجة تانية اتاخدت غيره، مش كده؟

- أيوه. أنا ما كدبتش أول مرة لما قلت مفيش حاجة اتاخدت من البيت، بس فعلًا ما كانش في بالي اللابتوب القديم اللي عمر بيلعب بيه.

بدت صادقة، وإن شعر بأنه ما زال هناك ما تخفيه، فأكمل:

- وهو إيه اللي على لابتوب نهلة يخلي أصلًا حد يفكر يسرقه؟

نهلة

أكتوبر ٢٠١٠

انحنت نهلة لتربط رباط حذائها الرياضي ثم اعتدلت وسارت بخطوات ثابتة إلى حيث باب شقتها. انحنت مرة أخرى لتلتقط حقيبة الظهر الملونة التي كانت على الأرض بجوار الباب. ألقت نظرة خافتة عليها ثم وضعتها على ظهرها ثم خرجت من البيت. نزلت الدرج بسرعة وهي تشد حمالات الحقيبة الملونة بيديها. دائمًا ما تفعل ذلك وهي تسير، تضع كلتا يديها على الحمالات وتسير شاردة إلى أن تصل إلى المقهى الذي اعتادت أن تعمل فيه أوقاتًا كثيرة. كانت اليوم تسير وقد احتدمت الأفكار في عقلها، وظلت تشد بيدها على حقيبتها. زمَّت شفتيها لثوانٍ وهي ترى الألوان والأشكال الطفولية على سطح الحقيبة. ابتسمت وهي تتذكر أنها امتلكت هذه الحقيبة في نفس الأسبوع الذي قابلت فيه جاسر في الساحل. وقف كلاهما في أحد الممرات التي تحتوي على متاجر عديدة وقد تبادلا الحديث، وكانت نانسي في هذا الوقت غير

موجودة. نانسي، غريمتها اللدود، كانت في هذا اليوم قد اضطرت إلى ترك الساحل إلى القاهرة، وأمضت هي وجاسر اليوم كله تقريبًا وحدهما بعد أن اختفت دينا مع وائل في مكان ما. وقفا أمام المتجر وقد تعالت ضحكاتها وابتسم هو بجاذبية رهيبة لم تعتدها في أي شخص قابلته من قبلُ. التقت أعينهما في لحظة لن تنساها أبدًا، لحظة علمت فيها أن هذا هو الرجل الذي ستمضي معه ما تبقى من عمرها في الغالب. أشاحت بوجهها إلى حيث واجهة المتجر لتهرب من عينيه، فقال لها:

- إيه؟ بتبصي على إيه؟ الشنط دي؟

قالت مازحة وهي تشير إلى الحقيبة الملونة التي ظهر عليها مصباح علاء الدين:

- بابص على علاء الدين والأميرة الغلبانة.

- الأميرة هي اللي غلبانة برضو؟!

- طبعًا، مش هو اللي مَثَّل عليها إنه حاجة غير نفسه فلبست وحبته؟

- ما هو عمل كل ده عشان خاطرها، وعرَّض نفسه لخطر جعفر الشرير مخصوص.

قالها بلهجة مسرحية، فدوت ضحكتها مرة أخرى وقد احمرت وجنتاها، ثم قالت:

- كان الأحسن يبقى صادق ويقولها الحقيقة وهي تختار، مش يمكن كانت هتحبه على حاله؟

التف فواجهها بكامل جسده وقد ثبت عينيه في عينيها، وقال بصوت فيه كثير من الصدق:

- ما هو خايف، خايف ترفضه، ما تحبوش على حاله، وإنه لازم يركب البساط عشان يوصلها.

قالت وهي ما زالت تنظر في عينيه:

- ويمكن توافق وتحبه!

ليلتها دلفت إلى غرفة الفندق الذي سكنته هي ودينا ووجدت على فراشها صندوق هدايا كبيرًا مغلفًا بفيونكة حمراء. فتحته فوجدت الحقيبة الملونة التي طُبعت عليها الشخصيات الكرتونية لقصة علاء الدين، ثم وجدت كارتًا أبيض اللون كُتبت عليه عبارة واحدة فقط، تتلوها علامة استفهام:

تحبيه على حاله؟

سرت في جسدها قشعريرة وهي تتذكر هذا اليوم، وكيف نامت وقد احتضنت الحقيبة وهي تعلم أن حاله ليس ما تحب في العادة أو تتقبل، ولكنها أحبته، أحبته وقبلت به زوجًا على سقطاته. أصبح أبًا لطفلها الوحيد، واليوم بعد كل هذه السنوات عاد إلى حاله، فهل تقبل أن تتركه يهوي في بئر عميقة مرة أخرى؟ لم تغب عن عينيها الهالات السوداء التي انحفرت تحت عينيه ولا زجاجة الخمر التي وُضعت فارغة في صندوق القمامة، لم يخفَ على عينيها عودة نانسي التي التفت كثعبان رويدًا رويدًا حول عنقه، ينسل من بين يديها إلى سهرات وائل وأحضان نانسي، بل ورطه كلاهما في إخفاء أدلة لصفقة مشبوهة دخلها كلاهما، والحق أن جاسر ربما كان ضعيفًا أمام جسد نانسي الفاتن أو كأس من الخمر أدمنها، ولكنه يساعدهما بدافع من شهامة الأصدقاء، ولكنها هي أميرته، ستقوم اليوم بدورها بأن تنقذه من أي شر يحيط به.

وصلت إلى حيث المقهى واتخذت أحد المقاعد بجوار النافذة وقالت لأحد العاملين تعرفه جيدًا:

- كابتشينو بقى بسرعة يا سليمان والنبي.

- تحت أمرك يا باشمهندسة.

أومأت برأسها وأخرجت حاسوبها المحمول من حقيبة ظهرها وفتحته. ثوانٍ وكانت قد تراصَّت أمامها بعض أسطر الكود البيضاء على شاشة سوداء. أنهت بعض الأسطر ثم ظهرت على الشاشة بوضوح جملة: «download is complete». انتهت من تحميل كل الملفات التي وُضعت على هاتف جاسر، وكذلك الملفات التي نُقلت من بريده الإلكتروني وبريد وائل. قامت ببعض سحر القرصنة الإلكترونية، واتخذت من كل ما تم تحميله سلاحًا تدافع به عن بيتها. تصفحت الملفات بسرعة لتجد ما يكفي لوضع وائل وراء القضبان لسنوات عديدة، ثم تسمرت واتسعت عيناها بحزن وهلع حين فتحت أحد الفيديوهات التي بدت لوائل بين أحضان امرأة ما. همست وقد تسربت الدموع من عينيها: «أه يا دينا! كده يا حبيبتي؟!».

أغلقت الفيديو وابتلعت ريقها، ثم وضعت بعض الأسطر لحماية الملفات لتتأكد أن عينًا غير عينيها لن تقرأها، ثم توقفت عند فيديو دينا تحديدًا، أرادت أن تمحوه، فهو لن يضيف إلى ما تمتلك شيئًا، ولكنها بعد عدة ثوانٍ من التفكير آثرت أن تتركه، ربما تستطيع به أن تجعل عينَي دينا تريان حقيقة هذا الوغد الخسيس. وضعت الملفات المشفرة بشكل خفي في حاسوبها المحمول، ثم وضعت مفتاح الشفرة الإلكترونية في ملف منفصل، ثم ضغطت زر الإرسال. اتخذت

بعض الـ«screenshots» من أجزاء صغيرة متفرقة من الملفات قبل تشفيرها، فقط أجزاء لا تحمل الصورة كاملة، ولكنها تكفي لتهديد وائل ليتأكد أنها تملك ما يكفي لإدانته. أغلقت الحاسوب وقد اطمأنت على كل شيء، واعتدلت في جلستها وقد اشتدت رغبتها في الانتقام من هذا النذل وائل العدل، الذي ورَّط زوجها وصديقتها الوحيدة فيما لا يليق. أنهت جلستها ثم أرسلت إلى وائل رسالة وقد أرفقت الـ«screenshots» بها، تقول له:

لو ما بعدتش عن جاسر ودينا هتكون نهايتك على إيدي!

رضا

قبل الحادث

وقف رضا يدخن سيجارته منتظرًا أن تخرج. لم يصدق نفسه حين وقع بين يديه ما بدا كنزًا ثمينًا، أو كما كان يتمنى، المصباح الذي إن فركه فسيخرج الجني محققًا آماله. اعتاد أن يأخذ نسخة من أي حاسوب محمول يقوم بإصلاحه، يفعل ذلك احتياطيًّا فربما احتاج العميل إلى أي معلومة قديمة، وربما أساء إصلاح الجهاز فمسح ما عليه عن طريق الخطأ. اعتاد أن يفعل ذلك ثم يجلس في المساء في غرفته فوق السطح ويراجع ما تم حفظه. يضحك أحيانًا على بعض الصور والفيديوهات التي يقتنيها أصحاب الأجهزة، يتفاجأ أحيانًا أخرى بأشياء غريبة يحتفظ بها الناس. اعتاد ألا يجد شيئًا مهمًّا أو مثيرًا على هذه الأجهزة القديمة، ولكنه هذه المرة وجد نفسه ينظر إلى وجه وائل العدل بنفسه. لم يكن متأكدًا في البداية أنه هو نفس الشخص، فقد بدا أصغر بكثير، ولكن الملفات المقتضبة التي احتوت اسمه أكدت أنه هو. ظل أسبوعًا كاملًا يفكر فيما عليه

فعله بالضبط. هو مشدوه متعجب، كيف احتفظ هذا الجهاز القديم بكل هذه المعلومات من دون أن يعلم أحد بشأنها؟! والحقيقة أنه بعد تفكير عميق آثر ألا يذهب إلى وائل نفسه، فقد بدا صعبًا الوصول إليه من الوهلة الأولى.

استطاع رضا أن يصل إلى اسم السيدة التي تجتمع معه في وضع لا يليق. علم أنها أيضًا من عائلة لها نفوذ وصيت، فالأسهل أن تكون هي من يأتي بالبيضة الذهبية. ستخشى الفضيحة، وتمتلك حق إسكاته في نفس الوقت، وهي بالتأكيد آمَن من أن يقوم بابتزاز وائل نفسه بما معه من مستندات. ظلت أفكاره تجوب في عقله وهو يثبِّت عينيه على الباب منتظرًا أن تخرج ويقابلها. مضى نصف ساعة وهو ينتظر بصبر إلى أن وجدها تخرج متجهة إلى سيارتها، فقطع عليها الطريق وقال بصوت قوي:

- مدام دينا المرعشلي؟

توقفت دينا وهي تنظر إليه متسائلة، فقال:

- أنا رضا.

عاصم ودينا

الآن

انتظر عاصم أن ترد دينا. ما الشيء المهم الذي يجعل هذا الحاسوب المحمول القديم له قيمة فيحدث القتل بسببه؟ ابتلعت ريقها ثم قالت:

- أنا ما كنتش أعرف إن أنا عندي في البيت الـ«source» نفسه! أنا ما كنتش مربطة الحاجات ببعضها غير بعد الحادثة!
- source إيه؟ أنا مش فاهم، وضحيلي أكتر!
- قبل الحادثة بأسبوع أو أكتر شوية خرجت من الشغل لقيت رضا في وشي.
- رضا السيد؟

أومأت برأسها، فصمت عاصم منتظرًا أن تكمل، فقد بدا أن هذه القضية أوشكت على الانتهاء.

- أيوه رضا، كان معاه صور من فيديو قديم بيني وبين وائل.
- والفيديو ده جابه منين؟

- ما كنتش أعرف وقت لما جالي، بس اللي استنتجته بعد كده إنه كان في اللابتوب بتاع نهلة.

- وإيه جابه عند نهلة أصلًا؟

telegram @
yasmeenbook

هزت رأسها وقالت بمرارة:

- ما أعرفش، ولا أعرف إزاي أتصور!

- طيب عملتِ إيه لما شفتِ الصور مع رضا؟

- كنت هاموت، وما كنتش عارفة أعمل إيه، بس هو قالي إنه مستعد يديني الفيديو لو جبتله نص مليون جنيه.

- وبعدين؟ عملتِ إيه؟

صمتت وابتلعت ريقها وهي تتنهد بأسى:

- كلمت جاسر، وقالي أدي لرضا ميعاد في شقتي الجديدة وأنا في الشغل، وإن هو هيقابله ويتصرف.

- وإشمعنى في شقتك يعني؟

- ما زي ما إنت شايف، حتة مقطوعة ومفيش أي كاميرات شغالة، وكمان جاسر كان عايز يبقى مكان مقفول عشان لو اضطر يهدده أو يضربه مثلًا، وعشان يتطمن وييجي ويجيب معاه نسخة الفيديو.

- طيب وإنتِ كنتِ هتعرفي إزاي إنه ما عملش نسخ تانية؟

هزت رأسها وقالت:

- مفيش طريقة أتأكد بيها مية في المية، بس فيه app معينة تقدر تحدد عدد المرات اللي تم نسخ الفيديو فيها، اديته لجاسر.

- يعني إنتِ كنتِ عارفة إن رضا في البيت هو وجاسر!

مرة أخرى أومأت برأسها، فقال:

- وبعدين لقيتِ رضا نازل بمسدس جاسر فخبطتيه عشان تموتيه وتخلصي؟

انتفضت ملسوعة وهي تقول بهلع:

- لأ، أنا ما خبطتوش عن عمد، أنا فعلًا اتخضيت لما شفته نازل يجري بالمسدس، وزي ما قلت بالظبط، رجعت لورا بدل ما أطلع لقدام!

ظل عاصم ينظر إليها وقد اختلطت مشاعره تجاه كلامها، فقد بدت صادقة من اتجاه ومذنبة بشدة من اتجاه آخر. قال بعد بضع لحظات من الصمت:

- طيب والفيديو اللي كان جايبه كان فين؟

هزت رأسها وقالت بصدق:

- ما أعرفش، ما أعرفش أصلًا إذا كان جاي معاه حاجة بجد!

صمت عاصم وفكر قليلًا، فلم يوجد مع رضا على حد علمه أي شيء، فهل أعطاه لجاسر قبل موته ثم أخذه مَن قتله؟ هذا بالتأكيد ليس منطقيًّا، فجاسر قُتل قبل أن يأتي رضا إلى البيت. الذي قتل جاسر كان في المنزل قبله، وعاصم الآن على يقين أن من دخل إلى البيت دخل ليأتي بالحاسوب المحمول الذي امتلكته نهلة قديمًا. قال وهو ما زال يفكر مَن غيرها علم بوجود الحاسوب هنا:

- وعرفتِ منين إن الـ«source» اللي جاب منه الفيديو اللابتوب بتاع نهلة؟

- عشان زياد وفارس اتعرفوا على رضا. زياد قالي إنه هو وفارس

كانوا متعودين يدوا رضا حاجات يصلحها. فارس بالذات كان يعرفه كويس. بعد الحادثة بدأت أربط الأمور ببعضها. رضا أكيد خد نسخة من أي حاجة كانت في اللاب ده، ويمكن يكون هدد حد غيري، وبرضو عرف إن اللاب هنا.

- حد غيرك زي مين؟ قصدك وائل؟ وبعدين لو ظهر الفيديو ده مش هيحصله أي حاجة، إنتِ بس اللي هتستفيدي لو اللاب ده اختفى! إلا لو...

صمت، فقالت هي:

- لو فيه حاجة تانية على اللاب غير الفيديو!

وائل ونانسي

بعد الحادث بيومين

استلقى وائل على أحد المقاعد الطويلة في حديقة منزله مستمتعًا بشمس الشتاء اللطيفة. آثر اليوم البقاء في المنزل وعدم الخروج، فقد اشتد التعب وشعر كأنه كبر فجأة في يومين. لم يكن سهلًا أن تنتهي صداقته بجاسر بهذه الطريقة. أغمض عينيه من تحت نظارته الشمسية وضغط بجفونه كأنه يُحكم إغلاق عينيه أكثر. تطارده هذه الأيام كل أخطائه وسقطاته. يشعر بأن الشعر الأبيض زحف في كل رأسه، وأن وقت النهاية ربما اقترب. ماذا يملك الآن بالضبط؟

لم يكن له صديق حقيقي غير جاسر، وها هو قد فقده. لم يتزوج ولم تكن له حبيبة حقيقية. سيخطو إلى الخمسين قريبًا وقد أغلق شركته وودع صديقه وانتهت العلاقة الوحيدة التي أحبته فيها امرأة. تململ في مقعده ثم اعتدل ليلتقط سيجارة من سجائره الفاخرة وقد فتح عينيه يجوب بهما في محيط الحديقة الشاسعة. تنهد وهو يفكر، امتلك ما تمنى بالتأكيد، ولكنه لا يمتلك من يشاركه معه! هز رأسه

وهو ينفث دخانًا بعيدًا، والتقط هاتفه وهمَّ أن يتصل بإحدى صديقاته لعله ينعم ببعض الصحبة الزائفة، ولكن رقم نانسي ظهر متوهجًا على الشاشة فأجاب في لحظتها:

- ألو.

- هاي يا وائل، أنا على الباب، ممكن تفتحلي.

- بجد؟ ثواني.

كان اليوم عطلة أسبوعية لمدبرة المنزل، لذلك لم تفتح الباب لنانسي، وقد تعجب وائل من مجيء نانسي إلى باب بيته الآن. اعتدل في مقعده، وألقى نظرة سريعة على انعكاسه في زجاج الغرفة، وأصلح من وضع خصلات شعره البيضاء، وهندم ثيابه. ما زال وسيمًا كالشيطان، وما زالت فاتنة كفينوس نفسها. اصطدمت عيناه في طريقه إلى الباب بصورة جاسر وهو يقف بجواره سعيدًا على سطح اليخت. ابتلع ريقه وقال في سره: «الحي أبقى من الميت يا صاحبي»، ثم ذكَّر نفسه في الثواني التي أوصلته إلى الباب أنها لم تكن أساسًا مع جاسر منذ سنوات بعيدة. فتح الباب بابتسامة وقد التمعت عيناه من جمالها:

- أهلًا يا نانسي، نورتِ، اتفضلي.

مالت لتضع قبلة على خده كما اعتاد كلاهما، ثم قالت وهي تعدل من وضع حقيبتها على كتفها وتزيح نظارتها الشمسية من فوق عينيها حيث رأى بوضوح آثار البكاء، فموت جاسر لم يكن هينًا عليها أيضًا:

- قلت أنزل الجيم أغير مود شوية، بس لقيت نفسي فرهدت بسرعة ومش قادرة، قلت أعدي عليك.

- إنتِ تنوري في أي وقت يا ناني.

قالها وقد طافت عيناه على جسدها المتناسق الذي بدا بثياب الجيم أكثر تناسقًا. كانت ترتدي بنطلونًا أسود اللون عليه رسمة النمر الشهيرة، وقد التصق بجسدها بنعومة وارتفع عن كعبها ببضعة سنتيمترات، كاشفًا عن band عصري حديث. اعتلى وسطها توب أسود عاري الكتفين، وتدلت من رقبتها سلسلة ذهبية تلمع كبشرتها التي التمعت بلون برونزي تعجب لوجوده في الشتاء. وضع يده على ظهرها بحركة عفوية واقتادها إلى حيث كان يجلس في الحديقة، فقالت له بلهجة يشوبها دلالها المعتاد:

- هو محدش هنا، مش كده؟

- لأ، كلهم أجازة النهارده، ما إنتِ عارفة.

أومأت برأسها وقالت بلهجة مفاجئة:

- عندك سجاير؟

فهم على الفور ما تعنيه. زم طرف شفتيه بابتسامة بدت حزينة رغمًا عنه. اعتاد ثلاثتهم، هو وهي وجاسر، هذه الجلسة، وكان جاسر نفسه يأتي دائمًا بهذا النوع من السجائر التي تقصدها. غاب جاسر عن جلستهم عندما تزوج نهلة، ثم عاد إليها مرة أخرى إلى أن غاب عن الدنيا كلها. عجيب! كيف يشعر كلاهما بالحزن، ومع ذلك هي هنا الآن تطلب جلسة حميمة وهو يريد ذلك؟! أومأ برأسه وقال لها:

- استنيني وأنا هاجيب من فوق وآجي.

- لأ، هاخد دش من الجيم وأستناك في الـ«guest house».

تسمر وظل ينظر في عينيها في حيرة:

- إنتِ عايزة إيه يا نانسي النهارده؟! مش عوايدك!

قالت بصدق وأسى حقيقي بحروف ضغطت عليها بشدة:

- إحنا خلاص ملناش غير بعض يا وائل، واللي عايزينه ومصلحتنا واحدة!

صدقت بلا شك، وكان طوال عمره يشتهيها، وقد غاب الآن جاسر من المشهد بشكل نهائي، وكلاهما وحيد، ولكن كليهما يحمل في ثنايا صدره أسرار الآخر، فكلاهما يأمن الآخر بما يحمله ضده، فلن يغدر هو بها حتى لا تغدر هي به، أفعى وعقرب كلاهما يسري في جسده سم سريع المفعول. ابتسم ابتسامة خافتة لعبارتها وقال:

- معاكِ حق، ملناش غير بعض. خدي دش براحتك. هتلاقي هناك هدوم كمان لو عايزة. هاجيب السجاير وأجيلك.

تحركت وقد ظلت حقيبة الجيم الرياضية على كتفها، وقطعت الحديقة ببطء وهو يتابعها إلى أن اختفت داخل بيت الضيوف.

عاصم وخالد

الآن

أطلق عاصم صفيرًا منخفضًا وهو يفكر مغمض العينين في كل تفصيلة في هذه القضية: حاسوب محمول عليه أسرار تستحق القتل من أجل الحصول عليها، علاقة شائنة استمرت لسنوات، حادث سيارة منذ أكثر من خمس عشرة سنة لا يمكن أن يكون مدبرًا، ولا يمكن أن يكون مصادفة كذلك! كان خالد يجلس في مواجهة عاصم على الأريكة التي تتوسط غرفة مكتب عاصم. كان هو الآخر صامتًا يفكر، يشعر حتمًا بأن الحل قد اقترب ولو لم يزل يبدو بعيدًا وغير مفهوم. فتح عاصم عينيه فجأة واعتدل وقال لخالد:

- هو رضا ما لقوش معاه فلاشة أو هارد أو أي حاجة كده، صح؟
- على حد علمي لأ يا عاصم باشا. ليه؟
- أصل لو هو جاي يقابل جاسر عشان يديله الفيديو فلازم كان معاه حاجة.
- مش يمكن سعادتك ما جابهوش معاه.

- وممكن عدت علينا.

التقط عاصم هاتف مكتبه ثم قال للطرف الآخر:

- باقولك يا أسعد بيه، هي هدوم ومتعلقات الواد رضا اللي اتخبط من أسبوعين حد جه استلمها؟ تمام، يعني موجودة، شكرًا شكرًا، لأ، هاجي بنفسي، متشكر.

قام عاصم بعدما وضع سماعة الهاتف، واعتدل خالد واقفًا أيضًا من دون أن يطلب منه وسار وراءه خارج الغرفة، وقال له عاصم:

- تعالَ كده نبص بصة على حاجات رضا، لسه تحت في الأمانات.

أومأ خالد برأسه وسار بجوار عاصم وما زال كلاهما يتحدث إلى الآخر. قال خالد:

- أنا حاسس سعادتك إن لسه فيه حاجة ناقصة برضو أو مش مفهومة! جاسر اتقتل ليه؟ ما كانش معاه الفيديو، وعلى كلام دينا، هي نفسها ما كانتش تعرف إن اللاب فيه حاجة. اللي قتل جاسر قتله ليه؟

- دخل لقاه بياخد اللاب فضربه على دماغه وموته وطلع يجري.

فكر خالد لثوانٍ ثم قال بعدم اقتناع لعاصم:

- لو كان مات بأي طريقة غير الخنق كان ممكن سعادتك. اللي قتله سعادتك قتله عن عمد وهو مدروخ من الخبطة، كان ممكن يجري لو الموضوع إنه يهرب بس.

أومأ عاصم برأسه موافقًا، فخالد في الغالب محق، ربما كان وجود القاتل مصادفة، لكن القتل كان بالتأكيد عن عمد.

- إنت صح يا خالد، المشكلة إن مفيش حد لغاية دلوقتِ في

الدوشة دي عنده سبب قوي أو مقنع إن يقتل جاسر عن عمد، وبرضو اللي قتله ده راح بيت دينا ليه أصلًا؟ عشان اللاب بتاع نهلة، ما هو أصلًا محدش يعرف إن اللاب ده بالذات عند دينا غير زياد وفارس.

- مش يمكن فارس سعادتك اللي قتله؟

فكر عاصم للحظة ثم قال:

- ليه؟ غيرة على أمه؟ ماشي. راح هناك ليه بقى؟ ما هو لو يعرف إن اللاب ده مهم كان أصلًا ما وداهوش.

علا الإحباط وجه خالد وقال:

- إحنا بنلف في دواير مقفولة سعادتك.

كانا قد وصلا إلى غرفة الأمانات التي توجد بها أغراض رضا. طرق عاصم الباب ودلف كلاهما إلى الغرفة، وحيًّا عاصم العاملين بها ببعض الكلمات والإيماءات، وثوانٍ وكانت أغراض رضا بين يديه، وقد وُضعت في أكياس بلاستيكية متفرقة. اتخذ كلاهما مقعدًا وهو يقلب في الأكياس التي حملت أغراضًا عادية جدًّا، أحدها حمل بقايا ثيابه، وآخر حمل حافظة نقود قديمة وسلسلة مفاتيح بها بعض الدلايات البلاستيكية المختلفة.

قال عاصم لأحد الرجال حوله:

- اديني جوانتي كده.

أعطاه الرجل أحد الجوانتيات. ارتداه في عجالة ثم أخرج حافظة النقود والسلسلة وقلَّبهما بين كفيه. وضع السلسلة وفتح الحافظة ليجد بها بعض الأوراق المالية القليلة وصورة صغيرة بالأبيض والأسود

بدت لوالدته. تنهد عاصم وهو يقلِّبها عدة مرات ثم يعطيها لخالد الذي لم يجد أيضًا أي شيء مريب بها. همَّ عاصم أن يترك الغرفة هو وخالد، فليس هناك أي إضافة من البحث هنا، ربما عليهما البحث في شقة دينا أو حول مكان الحادث مرة أخرى، ولكن غالبًا لن يسفر هذا أيضًا عن أي شيء جديد، فقد مر وقت طويل ولن يضاف شيء إلى قائمة أحراز هذه القضية بأي حال.

قال خالد بغتة لعاصم وهو يحمل السلسلة بين يديه:

- عاصم بيه، بص كده سعادتك!

- إيه ده؟

- دي فلاشة سعادتك.

التقطها عاصم متعجبًا، فلم يرَ مثلها من قبل. كانت الفلاشة صغيرة جدًّا، تكاد تُرى بصعوبة، تبدو كـ«sim card» الذي يُوضع في الهواتف المحمولة. كانت مخبأة في الدلايات البلاستيكية. تبادل مع خالد النظرات وقال له في عجالة:

- تعالَ نطلع على الشباب بتوع التك على طول.

وائل ونانسي

ليلة فرح نهلة وجاسر

- خدي اشربي.

وضع وائل أمام نانسي التي جلست أمامه باكية منفعلة كأسًا من الويسكي وبعض الثلج، بعد أن اقتادها بعيدًا عن قاعة الأفراح، حيث فرح جاسر ونهلة. أجلسها على البار في بهو الفندق الذي يقام فيه الفرح. نظرت إلى الكأس وإليه بحنق وحسرة، فقال وائل بهدوء:

- يا بنتي إنتِ هتعيطي زي العيال؟! جاسر إيه ده اللي هتعيطي عليه؟! إنتِ رجالة العالم كله تعدي تحت رجلك! إنتِ تشاوري وأتخن تخين يركعلك!

لم تستطع التوقف عن البكاء، فعلى الرغم من أن وائل محق، فهي كالأميرات اللاتي يتسابق عليهن الرجال، فإنها لا تستطيع أن تصدق أن جاسر تخلى عنها بهذه الطريقة القاسية. ربما ظهرت كسيدة قوية لا يعرف الحب إلى قلبها طريقًا، ولكنها أحبت جاسر بصدق، وتخلت عن حذرها معه بشيء من السذاجة، وها هي الآن تدفع الثمن وحيدة.

- اشربي طيب يا نانسي.

التقطت الكأس ثم توقفت ولم تمس شفتاها المشروب، فعقد وائل حاجبيه وهو يتأملها مفكرًا، ثم شعر بأنه فهم أخيرًا سبب كل هذا الانفعال والغضب، وقال متسائلًا:

- إنتِ حامل؟

أومأت برأسها باكية، فقال وقد جلس بجوارها واضعًا ذراعه حول كتفيها:

- قلتِ لجاسر؟

هزت رأسها نافية، وقالت من بين دموعها:

- من ساعة ما الزفتة دي ظهرت هي وصاحبتها وهو اتغير، وخلاص النهارده بيتجوزها وعاملها فرح بعد ما شافها بخمسة وأربعين يوم، تخيل؟! وأنا بعد كل السنين دي، أنا واللي في بطني، رمانا من غير حتى ما يفكر!

صمت وائل وأشعل سيجارة ونفث دخانها بعيدًا عنها وهو يفكر في هذا المأزق الذي وقعت فيه صديقته. نقر على الطاولة بأصابعه، ثم قال بحماسة:

- بصي، اللي حصل حصل، وجاسر شوية وهيزهق من لعبة الشرف والاستقامة دي ومسيره يرجع. خلينا دلوقتِ فيكِ وفي اللي في بطنك، عايزة تنزليه؟

نظر إليها متسائلًا وقد اغرورقت عيناها بالدموع، ثم هزت رأسها نافية، فلماذا تتخلى عن جزء منها أحبته قبل أن تراه؟ أليس كافيًا أن حب حياتها تركها؟! ظل وائل صامتًا وهو يفكر، ثم لمعت عيناه وقال:

- أنا في دماغي فكرة كده ممكن تنفعنا إحنا الاتنين.

نظرت إليه بعينيها الدامعتين متسائلة:

- قصدك إيه؟

- هاقولك، أنا عندي واحد صاحبي رجل أعمال خليجي، بقالنا فترة عايزين نشتغل مع بعض ومش لاقيين طريقة متدارية للموضوع.

- إيه اللي إنت بتقوله ده يا وائل؟! شغل إيه وبتاع إيه في المصيبة اللي أنا فيها؟! إنت ما عندكش دم!

- اهدي بس واسمعي...

وائل ونانسي

قبل الحادث

- إيه يا وائل؟! أنا جيت على ملا وشي من الرسالة بتاعتك!

قالتها نانسي لوائل بلهجة متعجلة قلقة وهي تدلف إلى سيارته التي وقفت بجوار المقهى الذي اعتادت الجلوس فيه. كان قد أرسل إليها رسالة على هاتفها المحمول يخبرها أن حدثًا جللًا حدث وأنه يريد أن يتحدث معها في شيء مهم على وجه السرعة. أرسلت إليه أنها في المقهى، فانطلق إليها على الفور. نظرت إلى وجهه فوجدته قد اختفى لونه وظهر عليه القلق بحق.

- ما تنطق بقى يا وائل! بجد إنت رهيب أوي!

ابتلع ريقه وقال على الفور:

- ما تهدي يا نانسي، هاقولك أهو! فيه حد بعت يهدد دينا بفيديو بيني وبينها!

حدقت في وجهه وهي لا تعرف ما يعنيها في الأمر! علاقة غريبة

لم تفهمها، خصوصًا من دينا التي تعاطفت معها وإن غارت منها وكرهتها كذلك. لم تقل شيئًا منتظرة منه أن يفسر أكثر.

- نانسي، هو إنتِ مش فاكرة مين اللي كان عنده الفيديو ده وحاجات تانية؟!

ضغط على حروف كلمتَي «حاجات تانية» فوصل إلى عقلها ما يريد قوله بالضبط، فشردت رغمًا عنها في شبح ظل يطاردها في كوابيسها طويلًا، وتذكرت عرض وائل منذ ثمانية عشر عامًا أو أكثر، حين عرض عليها مساعدتها بأن تتزوج صديقه الخليجي بشكل صوري، فيكتب فارس باسمه ويستطيع هو أن يحول الأموال لها بشكل عادي بوصفها زوجته، ثم تستخدم هذه الأموال بأشكال مختلفة كما يريد وائل. تذكرت هذا الفخ الذي قادها إليه وهي تبكي ولا تجد لنفسها مخرجًا آخر، وركضت السنوات من دون أن تستطيع التحرر من تلك الصفقة، على الرغم من أنها تمنت لسنوات أن تفر هروبًا إلى أحضان جاسر وتخبره أن فارس ابنه لعله يستطيع مساعدتها، ولكنها لا تنكر أنها على الرغم من رغبتها في التحرر فإن الثراء الفاحش والنفوذ جعلاها تظل على صمتها ويظل فارس ابنًا له على الأوراق، فيقتطع لنفسه الكثير مما يترك هذا الأب الوهمي.

قالت بعد برهة من الشرود ومحاولات التركيز:

- قصدك نهلة؟

أومأ برأسه، فقالت:

- ما يمكن جاسر بيلاعبنا.

نظر إليها نظرة أن هذا ضرب من ضروب المستحيل، والحق أنه كان محقًّا بالتأكيد، فقد امتلك جاسر هذه الملفات من الأساس، بل شاركهما في إخفائها عن أعين العدالة بنفسه، ثم ما الذي يجعله يفعل ذلك بعد خمس عشرة سنة؟ شخص ما وصل إلى ما خبأته نهلة وهددتهما به من قبل، من هو؟ ما الذي يريده بالضبط؟ هذا شيء آخر.

- إنتِ فيه حد كلمك أو هددك بحاجة؟

هزت رأسها نافية، ثم قالت له:

- ما يمكن ممعهوش غير الفيديو بتاعكم وخلاص؟

- ما أعتقدش. أعتقد كان عايز يوصَّلي التهديد من خلال دينا.

- هتعمل إيه؟

- مش عارف لسه، بس دينا دخَّلت جاسر في الموضوع.

تنهدت، وقالت وقد علا وجهها القليل من الارتياح:

- خلاص، جاسر أكيد هيعرف يتصرف أحسن مني ومنك.

- أنا مش قلقان من الواد العبيط ده، ده جاي لقضاه، جاسر مش هيسيبه يقرب لدِينا.

- أومال قلقان من إيه؟

شرد وهو ينظر من خارج زجاج سيارته ويقول لنانسي التي تنتظره مترقبة:

- إحنا لغاية النهارده ما عرفناش نهلة كان معاها إيه بالظبط ولا خبته فين! النهارده وقعت في إيد عيل أهبل جاي يهددنا بشكل مباشر، بس الأمر ما يسلمش يا نانسي، وإحنا لسه خارجين من موضوع جديد. لو حد نخور ورانا مش هنطلع منها المرة دي!

لم تنطق وهي تفكر فيما يقول، ثم قالت بعد بضع دقائق:

- هو إنت عرفت أي حاجة عن الواد اللي بيهددها ده؟

- جاسر قالها إنه عيل تافه بيشتغل في محل بيصلح لابتوبات.

عقدت حاجبيها وهي تحاول أن تتذكر شيئًا قد التمع رغمًا عنها في عقلها بعد فوات الأوان، وقالت بصوت منخفض كأنها تحدث نفسها فقط:

- كانت شنطة نهلة!

فارس وزياد

قبل الحادث

- حاساااااب! وطي، وطي! يا فاراااااس مش كده!

علا صوت زياد الذي جلس بجوار فارس على الأرض وكلاهما مندمج في لعبة قاتلة على البلاي ستيشن. بدا الانفعال على وجه فارس كما هو على وجه زياد. كلاهما مندمج في قتل الأعداء على الشاشة كأنهم أعداء حقيقيون. نظر فارس بطرف عينه إلى زياد وشعر ببعض الامتنان لوجوده في حياته، فإن كره جاسر أو غار من وجوده في حياة والدته بشكل ما، فهو يحب زياد بعمق. صديق طفولته، بل هو أخوه، وكثيرًا ما قالها الناس لهما في كل مكان، نفس البنية ولون الشعر، تتقارب ملامحهما ولا يفترقان. في الآونة الأخيرة فقط ابتعد عنه فارس إلى عالم آخر شديد القسوة، ربما لأن زياد انشغل في الجامعة وتأخر هو في الدراسة، أو ربما انشغل زياد عنه بمشاعره تجاه لارا. لا يدري فارس بالضبط، فقط وجد نفسه وحيدًا منعزلًا غارقًا في دوامة سامة ومشاعر غريبة متخبطة. اليوم طلب من زياد

أن يأتي إليه ويمضي معه عطلة نهاية الأسبوع. كاد زياد يرفض، وقال إن لديه كثيرًا من الأعمال المعلقة التي يريد إنهاءها، وإنه وعد عمر شقيق لارا بأن يعطيه حاسوبًا محمولًا بدلًا من الذي كُسر يوم أن نُقل الأثاث، وإنه لا بد أن يقوم بإصلاحه والتأكد من كل شيء، ثم عليه أن يذاكر لامتحاناته المقبلة. ترجاه فارس قائلًا:

- تعالَ يا زيزو والنبي! إحنا بقالنا زمن ما قعدناش مع بعض، ولو على اللاب هاته معاك وأنا هاوديه للواد اللي اسمه رضا ده اللي على طول بيصلحلي الحاجات، وأجيبهولك بنفسي تاني يوم وأوفر عليك المشوار. إيه رأيك؟

وافق زياد وقد شعر بأن فارس يحتاج إليه حقًّا. آثر أن يأتي وأن يمضي معه الليل كما اعتادا طفلين، ثم إنه أعجبته فكرة أن يقوم فارس عنه بهذا المشوار ويتفرغ هو لقضاء بعض الوقت مع لارا والاستعداد للامتحانات. ظل كلاهما يلعب بحماسة إلى أن طرقت مريسا الباب ودخلت بعد أن دعاها فارس إلى الدخول. قالت وهي تقف على باب الغرفة:

- Do you want something to eat, boys?

ابتسم لها فارس وقال وهو ما زال مندمجًا في قتل الأعداء:

- أنا مش عايز حاجة. زيزو، عايز تاكل أي حاجة؟

- لأ، شكرًا يا مريسا، بس ممكن حاجة ساقعة.

- وأنا كمان عايز حاجة ساقعة.

اتسعت ابتسامة مريسا وهي تدور لتخرج من الغرفة، فقط لترتطم بالخطأ بنانسي التي كانت تمر من الردهة متجهة إلى غرفتها.

- Sorry mam. Didn't see.

أشاحت نانسي بيدها كأنها تقول لا تهتمي، ثم قالت لزياد وفارس وهي تقف خلف مريسا:

- إزيك يا زيزو؟ بقالنا كتير مش بنشوفك يا حبيبي.

رفع زياد عينيه عن الشاشة وابتسم لنانسي وقال:

- مشغول شوية في الجامعة، بس فارس وحشني قلت أقضي معاه يوم كده على السريع.

- تنور يا حبيبي في أي وقت. أسيبكم أنا بقى عشان عندي مشوار لازم أجهز.

حياها كلاهما برأسه وبعض الهمهمات الشاردة، عائدَين إلى عالمهما الافتراضي. همت بالتحرك إلى غرفتها، ولكن عينيها توقفتا للحظات تنظران ببعض التخبط إلى حقيبة ملونة موضوعة على الأرض بجوار قدم فارس الذي يجلس بجوار زياد على البين باجز. لا تدري لماذا شعرت بأنها تعرف هذه الحقيبة تحديدًا! اجتهدت في أن تتذكر للحظات، ولكن عقلها ظل خاليًا، فلم تظن الأمر مهمًّا بما يكفي لتعطيلها، فأكملت إلى حيث غرفتها وأغلقت الباب.

لحظات حاسمة

الآن

وقف عاصم قليلًا على باب غرفة اللواء الكردي منتظرًا إياه أن يدعوه إلى الدخول. لحظات قليلة ثم دلف إلى الغرفة ليجد اللواء منهمكًا تمامًا في بعض الأوراق أمامه. أشار إليه أن يجلس من دون أن يرفع عينيه عن الأوراق، فجلس صامتًا إلى أن ينتبه إليه اللواء. كان قد تفحص الفلاشة التي حوت الفيديو الذي جمع دينا ووائل وحوت مقتطفات من عدة أوراق يظهر منها أنها إن قُرِئت كاملة تدين وائل العدل بشكل مباشر في القضية التي أُغلقت عام ٢٠١٠. لم تحوِ الفلاشة الملفات كاملة، فقط ما يثبت أنها مع رضا. في الغالب كانت هذه الأوراق مع جاسر نفسه ثم انتقلت بشكل ما إلى حاسوب نهلة المحمول، لتنتقل عن طريق ابنها إلى بيت دينا. غريبة هي ترتيبات القدر! أنهى اللواء فحص ما كان يقرأه ثم التفت إلى عاصم الذي اعتدل أكثر في جلسته. قال له اللواء:

- ها يا عاصم، عارف، وصلتوا لحاجة في قضية بنت اللواء المرعشلي وكنت عايزني، قلي.

- والله سعادتك لقينا فلاشة كده عليها أجزاء من الملفات اللي كانت اتحرقت سعادتك في غرفة الأدلة من خمستاشر سنة.

عقد اللواء حاجبيه وقال بجدية:

- لقيتوا الملفات كلها؟

- لأ سعادتك، مجرد صور متفرقة مش كاملة من أصل الملفات. أعتقد سعادتك مفيش شك إن باقي الملفات كانت في لابتوب عند دينا نفسها.

ازداد انعقاد حاجبي اللواء وهو يستمع إلى عاصم الذي أكمل بتركيز شديد:

- واضح سعادتك إن الحاجات دي كانت مع مرات القتيل الأولاني جاسر، وظهرت فجأة بالصدفة بعد السنين دي، وطبعًا سعادتك كده دافع قوي إن اللاب ده يختفي وإن جاسر كمان يموت.

أعاد اللواء ظهره إلى الوراء وهو ما زال ينظر إلى عاصم بتركيز. يعلم تمامًا لماذا جاء إليه عاصم قبل أن يأخذ خطوة، فوائل العدل رجل له نفوذ وحصانة، والتحرك بشأنه يحتاج إلى ترتيبات. قال لعاصم:

- إنت شُفت الصور دي بنفسك؟

- أيوه سعادتك.

- طيب ابعتلي نسخة أبص عليها بنفسي برضو. إنت عارف يا عاصم وائل ده له نفوذ عامل إزاي، وعلى كلامك الصور دي مش كاملة فتدينه.

أومأ عاصم برأسه، ولكنه قال بصوت يشوبه الرجاء:

- خلينا نفتش بيته سعادتك ونشده. اللي زي وائل ده سعادتك مغرور، مش هيتخيل إن فيه حد هيقرب لبيته أصلًا. ممكن نلاقي حاجة سعادتك. أنا متأكد.

صمت اللواء وقال له بعد قليل من التفكير:

- طيب ابعتلي بس الأول أشوف حجم الموضوع، وبعدها أنا هاكلم النائب العام وأبعتله نسخة من الصور دي ونطلب بشكل رسمي إذن بتفتيش بيته وضبطه وإحضاره. بس لو ما عرفتش تطلع منه أو من بيته بحاجة فخليك فاكر، مش هيرحمك!

ابتلع عاصم ريقه، فهو متيقن أن هذا الأمر يمكن أن ينتهي به في إحدى قرى الصعيد النائية. فكر للحظات في زوجته الجديدة، وجالت بخاطره فكرة هل يمكن أن يقابلها في الصعيد! بدا التخيل مضحكًا أكثر منه مأسويًّا، ولكن جدية الوضع أعادته إلى الواقع سريعًا، فقال وبأكبر قدر من الثبات:

- تمام سعادتك، فاهم طبعًا.

- اديني ساعة وأرجعلك يا عاصم.

- تمام سعادتك، شكرًا.

عاد عاصم إلى مكتبه وجلس منتظرًا، دقائق وطرق عليه خالد الباب ورفع أحد حاجبيه متسائلًا، ففهم عاصم على الفور أنه يريد أن يعرف ما حدث بالضبط مع اللواء، فقال من دون أن ينطق خالد:

- هيكلم النائب العام ونشوف.

أومأ خالد برأسه متفهمًا، وجلس صامتًا في مواجهة عاصم الذي

أشعل سيجارته وظل ينفث دخانها مترقبًا. لم تمضِ ساعة حتى صدر أمر النيابة بتفتيش بيت وائل وضبطه وإحضاره. اعتدل عاصم ومن ورائه خالد واقفَين، وانضما إلى القوة التي ستصاحبهما لإلقاء القبض على وائل وتفتيش بيته، وظل كلاهما صامتًا يفكر. كان أكثر ما يشغل بال عاصم: هل سيكون هناك دليل قاطع على تورط وائل في قتل جاسر كما يتمنى، أم سينتهي الأمر بأنه عادى رجلًا فاسدًا صاحب نفوذ ويُلقى به في إحدى قرى الصعيد النائية متحسرًا على اهتمامه بهذه القضية؟

وصلوا إلى الفيلَّا، وارتفعت الطَّرقات على الباب. هرعت مدبرة المنزل لترى ما الأمر، وخرج وائل أيضًا من غرفة مكتبه في عجالة ليعرف سر هذه الضجة. وقف بترقب وهو يرى على الباب عددًا من ضباط المباحث فتحرك في اتجاه الباب:

- فيه إيه؟! إنتو اتجننتوا؟! ده بيت وائل العدل!

قال عاصم الذي كان يقف في المقدمة وبجواره خالد:

- إحنا معانا أمر من النيابة بالتفتيش وضبط وإحضار حضرتك.

- إنت بتقول إيه؟! فين الأمر ده؟!

أطلعه عاصم على الأوراق فتراجع إلى الخلف وقد ظهر الجمود والتبلد على وجهه، وتحرك تاركًا القوة تدلف إلى البيت، في حين انتشر الضباط ورجال المباحث الجنائية في أرجاء المكان بحثًا. دلف عاصم هذه المرة إلى الداخل، ورأى بوضوح بيت الضيوف من وراء زجاج غرفة المعيشة المطلة على الحديقة. فتح الباب الزجاجي وسار بخطوات ثابتة مع بعض رجال المعمل الجنائي ودلف إلى بيت

الضيوف، في حين ظل وائل يقوم بعمل عدة اتصالات وإن لم يتحرك من مكانه. أدار عاصم عينيه في الكوخ الخشبي المنمق والفراش الوثير. لم يخفَ عليه قَطُّ أن هذا هو المكان الذي تم تصوير فيديو دينا فيه. رفع عينيه إلى حيث الزاوية التي تخيل أن الفيديو تم تصويره منها، ثم سحب أحد المقاعد وصعد عليه، ثم وضع يده في تجويف بدا أنه مصنوع للديكور. أخرج كاميرا صغيرة، فقد صدق حدسه. في الغالب هي كاميرا يضعها وائل لاستخدامه الشخصي لتصوير هذه الليالي مع دينا وغيرها. نزل من فوق المقعد وبدأ في البحث مع الرجال الذين قلبوا الكوخ رأسًا على عقب إلى أن وجد داخل العمود الذي تعلوه الكاميرا بالضبط تجويفًا آخر. وضع عاصم يده بالداخل لتصطدم أصابعه بشيء ما صلب، فنظر بوجهه كاملًا بالداخل ليجد حمالات حقيبة ما. أخرجها ببطء، فقط ليجدها حقيبة ملونة عليها مصباح علاء الدين! كانت في أسفل الحقيبة بقع من اللون الأحمر الداكن. اتسعت عينا وائل وهو يراها، في حين عقد عاصم حاجبيه وهو يرى الحقيبة. رفع عينيه إلى حيث مكان الكاميرا ثم تمتم شاردًا وإن سمع خالد ما يقوله:

- مش في زوايا الكاميرا خالص!

شق صوت وائل صمت الغرفة، وقد شعر عاصم رغمًا عنه بغرابة أن يجد الحقيبة بهذا الشكل، وأن التجويف يعتبر تقريبًا المكان الوحيد في الغرفة الذي لا تستطيع الكاميرا أن تصوره:

- أنا ما شفتش الشنطة دي قبل كده! إنتو جبتوها منين؟ لا، ده أنا وائل العدل! محدش هيلبسني جريمة ما عملتهاش!

التقط عاصم الحقيبة ليُخرج منها الحاسوب المحمول الذي لا يشك في أنه السبب وراء كل هذه الأحداث، حاسوب نهلة! ولن يكون صعبًا أن يتم إثبات أن هذه البقعة الكبيرة أسفل الحقيبة هي بقعة دم تخص جاسر مرتضى نفسه!

ظل عاصم صامتًا لبضع دقائق. لم يفهم خالد ما يفكر فيه بالضبط، ثم قال لأحد الضباط مشيرًا إلى وائل:

- حط يا ابني الكلبش في إيده وهاته على البوكس!

- إنت بتقول إيه؟! إنت اتجننت؟!

- معلش إنت هتشرفنا في الحجز شوية يا أستاذ وائل.

- حجز إيه؟! أنا هاقلب الدنيا! أنا هارفدك! أنا هالبسك أسود!

قال عاصم بحزم وهو يأمر بأن تُوضع الأصفاد في يده ويتم اصطحابه وأخذه إلى حيث سيارة الشرطة:

- وإنت بقى وشك هينور في الأحمر إن شاء الله!

الحفلة

ديسمبر ٢٠١٠، ٩:٣٠ مساءً

ظل وائل يتبادل مع نهلة النظرات كلما اصطدمت عيناها بعينيه. بدت جادة في تهديدها، ويعلم أنها حصلت على كل شيء لدى جاسر عن القضية، فقد أرسلت إليه بعض المقتطفات من الملفات لتؤكد له ما تملكه بالضبط. علم كذلك أنها استطاعت أن تلج إلى حاسوبه الشخصي وتحتفظ بأشياء كثيرة تهز صورته وكيانه بعدة أشكال. كان يراهن أنها لن تخاطر بتوريط جاسر نفسه، ولكنه رأى اليوم في عينيها أنها قد تضع جاسر نفسه في السجن إن لزم الأمر، فهي تريد حمايته من شيء أكبر من التورط في قضايا غير أخلاقية، هي تريد حمايته من نفسه، من كأس إن عاد إليها فلن يقوى على تركها مرة أخرى، هي كذلك تريد حماية دينا التي كانت كأخت لها، وإن تشابهت أشغالهما وقيمهما واختلفت شخصيتاهما، فهي دائمًا تلعب دور الحامي الهمام. بدت جادة هذه المرة، وظلت أفكار كثيرة تتصارع في عقله ليجد مخرجًا من هذه الورطة.

- مالك يا وائل؟ ما نزلتش عينك من على نهلة! هو فيه إيه؟!

قالتها نانسي، فالتفت وائل إليها وقال بصوت هامس:

- نهلة خدت نسخة من الملفات اللي كانت عند جاسر وبتهددنا بيها!

- يا خبر إسود! قلت لجاسر؟ بس ما هي لو عملت كده هيبان إن جاسر ساعدنا وهيتلط معانا. She's bluffing.

- ما أعتقدش، خصوصًا بعد ما شافت إيدك في بنطلون جاسر النهارده!

احمر وجهها غضبًا وليس خجلًا! ألم يكن جاسر ملكًا لها أولًا؟ ألم تغتصبه نهلة منها وهي حامل في طفله؟ ألم يعدها وائل نفسه أنها ستحصل على جاسر بعد أن يمل من المربعات الهندسية؟ ألم تكن هذه الخطة من الأساس أن تتزوج صوريًّا وتساعد وائل في هذه الصفقات ويساعدها وائل في أن تستميل جاسر مرة أخرى إليها وإلى طفلها؟ هي الآن فقط تحاول استعادة حقها من مغتصبه!

زمَّت شفتيها وقالت له بنبرة تحمل كثيرًا من المشاعر وصلت إليه من دون أن تبينها هي بالكلمات:

- سيبك من جاسر وبنطلونه والعبط ده! هنعمل إيه دلوقتِ؟

شرد وائل في دينا التي كانت تضع يدها السليمة فوق يدها التي أصيبت إثر تفاديها حفرة عميقة في أحد الشوارع الجانبية التي ما زالت مهجورة بجوار بيت وائل. ظلت عيناه تتأملان دينا التي لم ترَ عينيه، في حين اغتاظت نانسي وقالت بصوت غاضب خافت:

- هو ده وقت بصبصة؟! ما تخلينا في المصيبة اللي إحنا فيها!

أفاق وائل من شروده ونظر إلى الزجاج الذي بدأت مياه الأمطار تنهمر وترتطم به بصوت مسموع، ثم ترك نانسي وذهب في اتجاه أحد أركان الفيلَّا، في حين تابعته عيناها بتعجب. ثوانٍ وكان قد ظهر وبيده إحدى زجاجات الخمر التي يعشقها جاسر، ثم التقط أحد المجات الحرارية وملأه من الزجاجة ثم أعاد إغلاقه. لم تفهم نانسي، ولكنها آثرت الصمت وتركته يتحرك إلى حيث وقف جاسر ونهلة على باب البيت. كانا يهمان بالخروج، فقد تأخر الوقت وهي ليلة شتاء. نادت نهلة بصوت رحيم وإن ارتفع:

- زيزو، يا زيزو، يلَّا يا حبيبي عشان هنمشي.

- بسرعة كده؟ ما تخليكوا قاعدين.

قالها وائل وهو يشد بيده على المج الذي لم تلحظه نهلة، وقد نظرت إلى وائل نظرة ذات معنى، وعلت شفتيها ابتسامة سمجة وهي تقول:

- هنتقابل تاني أكيد قريب يا وائل!

كان جاسر قد احتسى بالفعل بضع كؤوس من الخمر وبدأ التركيز يتطاير من عقله. سبقت نهلة وقد اصطحبت زياد إلى الخارج بعد أن التقت عيناها بعينَي دينا للحظات قالت لها فيها الكثير، فبدأت دينا أيضًا في لملمة أشيائها والاستعداد للتحرك بلارا. ثوانٍ أخرى وبدأت تخرج من الباب مصطحبة لارا، في حين ظل جاسر للحظات وقد وضع وائل يده على كتفه وذراعه ووضع المج الحراري في يده الأخرى وغمز له بعينيه، ففهم جاسر أنه وضع له مزيدًا من مشروبه المفضل، فابتسم لصديقه بشيء من الامتنان، ثم قال وائل وقد وصل

صوته من بعيد إلى أذنَي دينا التي كادت تصل إلى سيارتها أمام باب الفيلَّا:

- خد بالك يا جاسر، الشارع اللي بتخرج منه على الشارع الرئيسي فيه حفرة غويطة أوي، اللي كانت هتقع فيها دينا. اخرج من هنا وادخل تاني شارع يمين هتلاقي نفسك على الشارع الرئيسي.

- مامي، مامي.

قالتها لارا مشوِّشة للحظة على مسامع دينا التي ظنت أنها سمعت وائل يصف الطريق بشكل خاطئ لجاسر، فامتقع وجهها وهمت أن تقول شيئًا ما لنهلة التي أغلقت باب السيارة عليها وعلى زياد. انشغلت لثوانٍ أخرى بلارا التي ظلت تطلب منها عدة طلبات متلاحقة، ثم رفعت عينيها إلى أعلى فقط لتدرك أن جاسر تحرك فعلًا بالسيارة. قالت دينا بصوت قاطع وهي تتابع سيارة جاسر تسير أمامها وقد دلفت مرة أخرى بسرعة إلى الداخل إلى حيث وائل ونانسي:

- وائل! هو إنت قلت لجاسر تاني يمين؟! ده اللي فيه الحفرة أصلًا!

نظر إليها وائل باستنكار:

- لأ طبعًا، قلتله تالت يمين، إنتِ بس ما سمعتيش كويس عشان مشغولة بلارا.

كانت دينا تضغط على أزرار هاتفها وهي تتحدث في محاولة سريعة لتؤكد لجاسر الشارع الصحيح لتفادي الحفرة.

«هذا الرقم لا يمكن الاتصال به الآن!».

حاولت عدة مرات الاتصال بكلٍّ من نهلة وجاسر بلا جدوى.

نظرت بتوتر حقيقي إلى البرق الذي شق السماء والرعد الذي دوى صوته في الأرجاء. لن تكون شبكة المحمول مستقرة أبدًا! ارتعبت دينا وسرى القلق بين ضلوعها. خرجت لتحاول أن تلتقط شبكة وتصل إلى نهلة أو جاسر لتحذيرهما، في حين وقفت نانسي بجوار وائل وقالت وقد عقدت حاجبيها:

- مش فاهمة إيه الهدف من الهبل ده؟! إنت تقصد توصفلهم غلط فعلًا؟! ما هو جاسر في العربية هو كمان؟!

أومأ برأسه لنانسي وقال بصوت خفيض وهو يتابع بعينيه من خلف الباب دينا التي ما زالت تحاول الوصول إلى هاتف نهلة وجاسر:

- دي فرصة يمكن ما تتكررش! لو راحوا فيها يبقى خلصنا، ولو طلعوا نبقى نفكر هنعمل إيه!

- بس جاسر... إنت اتجننت؟! أنا هاكلمه!

اشتدت ذراع وائل على ذراع نانسي وقال بصوت مخيف:

- بلاش عبط يا نانسي! وأصلًا ممكن جدًّا ما يحصلش حاجة. يلَّا شوفي ابنك عشان تروحوا!

شعرت بخوف عظيم منه، ولم تفهم كيف له أن يقرر التخلي عن أقرب أصدقائه من دون تفكير! ابتلعت ريقها وحدقت في عينيه وقد أخرسها هذا الرجل الذي قد يتسبب في قتل عائلة كاملة بها طفل صغير! نظرت بطرف عينها إلى فارس الذي ربما يفقد والده الحقيقي بلا رجعة، وهي تفكر أن رقبتها الآن لن يُفك أسرها من وائل أبدًا، فإن اختفى جاسر من الصورة بحق فستفقد أي فرصة للفرار من هذا الوضع.

خرج هو من الباب إلى حيث وقفت دينا في ساحة البيت الخارجية بجوار سيارتها وقد التصقت بها لارا وهي ما زالت تحاول الاتصال.

وضع وائل يده على كتفها وقال بحنان مصطنع:

- سيبك من التهيؤات دي، ما تشغليش بالك، أنا وصفتله الشارع صح! روحي إنت مع بنتك يا دينا يلَّا.

- الحفرة غويطة جدًّا يا وائل، لو ما شافهاش في الضلمة دي وهو سكران هيموتوا كلهم!

- ما تخافيش عليهم، جاسر لو شارب برميل هيبقى فايق ومصحصح، وأصلًا تلاقيهم غطوا الحفرة.

ظلت تنظر إليه برعب وتردد، فأكمل:

- روحي يا دينا، وشوية وهتلاقي نهلة بتتصل بيكِ تزهقك بالمواعظ!

مكتبة ياسمين
telegram @
yasmeenbook

عاصم وزوجته

ما الذي حدث حقًّا؟

- مكسي! مكسي!

نادت لميس كلبها الجولدن ريتريفر الذي ركض بسرعة على رمال البحر. رفع عاصم الحسيني عينيه يتابع الكلب الذي يركض بحماسة وسعادة ومن ورائه لميس زوجته الجديدة التي أخيرًا تذكَّر اسمها وعلم عنها الكثير. ابتسم لشعرها الذي تركته على طبيعته فتناثر في كل اتجاه بفعل هواء البحر. بدت جميلة نقية بثياب البحر المحتشمة التي ارتدتها. انحنى من دون أن يترك مقعد البحر الوثير ليلتقط من الآيس بوكس الموضوع بجواره زجاجة مياه غازية ويشربها باستمتاع. استحق هذه الإجازة بعد عناء الشهور الماضية التي تخبَّط فيها في حل قضية جاسر مرتضى، التي انتهت بالحكم المؤبد على وائل العدل بتهمة قتل جاسر وبعض القضايا الأخرى، والحكم على نانسي الرحمي بعشر سنوات في قضايا غسل أموال تورطت فيها مع وائل. ظل عاصم يشعر بأن وجود الحقيبة بهذا الشكل في بيت وائل شيء

غير واقعي، بل إن الملفات التي وُجدت على الحاسوب المحمول كانت تبدو مبتورة بشكل ما، ولكنها كانت كافية لأن تورط وائل، وما إن ظهرت بعض الأدلة الدامغة حتى لم يعد هناك من يسانده، فتكاثرت عليه الأيادي فسقط بسرعة البرق. العجيب أنه لم يظهر شيء إطلاقًا في الحاسوب يُدين نانسي، وكما كان عاصم يظن، كانت الأوراق والملفات تبدو مبتورة وكأن شيئًا آخر اختفى وفيه اسمها، ولكن بعد القبض على وائل بعدة ساعات وصل إلى خالد بريد إلكتروني من حساب وهمي يحمل ما بدا بقية الملفات والأوراق مورطًا نانسي أيضًا التي أُلقي القبض عليها في المطار وكانت قد أوشكت على الفرار. من الذي أرسل هذه الأوراق؟ لماذا لم يتخلص وائل من الحقيبة والحاسوب المحمول؟

ظل يشعر بأن الأمر أقرب إلى أن أحدهم يريد توريطه، فقد كان المنطق أنه إن لم يستطع التخلص من الحاسوب المحمول فعلى الأقل كان عليه أن يتخلص من الحقيبة التي عليها دم جاسر نفسه. لم يجد عاصم الإجابة، ولكنه ظن أن النهاية كانت مُرضية بما يكفي ليستلقي على البحر سعيدًا في شهر عسل جديد.

- عمريكو، يا عمر، اقف يا حبيبي مش قادرة أجري.

التفت عاصم غير مصدق أن هذا صوت دينا المرعشلي. يهرب من قضيتها فتأتي هي شخصيًّا. التقت أعينَهما فابتسم لها ولعمر الذي كان قد تلوث تمامًا بالرمال، وتألقت هي في ثوب سباحة أزرق اللون وربطت حول وسطها كاش مايوه ملونًا. على بُعد عدة أمتار رأى عاصم فارس وزياد تتوسطهما لارا، يسير ثلاثتهم ببطء يتحدثون.

قام عاصم من مقعده ليواجه دينا التي توقفت أيضًا وقد احتضنت عمر من ظهره، في حين توقفت لميس عن الركض وتابعت بعينين مترقبتين زوجها وهو يتحدث مع دينا.

- أهلًا يا باشمهندسة، صدفة غريبة! أول مرة أشوفك في القرية هنا!

- أنا باجي القرية دي من أيام ما كنت في الجامعة، قبل ما يكون في ساحل طيب وساحل شرير.

ابتسم عاصم وتحركت لميس لتقف بجواره وتبتسم في ترقب لدينا، فقال عاصم مشيرًا إليها:

- لميس مراتي. دينا المرعشلي.

التمعت عينا لميس وهي تسمع كلمة «مراتي»، فمدت يدها بثقة إلى دينا لتصافحها وهي تشعر بامتنان حقيقي، فقد بدا أن فصلًا جيدًا في قصتها هي قد بدأ، وانقلبت الأمور بشكل غير متوقع. صافحت دينا وأومأت برأسها تحييهما قبل أن تسير إلى الأمام وراء عمر الذي ركض أمامها مرة أخرى. تابعتها عينا لميس وشردت في أحداث القضية التي قصَّها عليها عاصم في الشهور الأخيرة. أسئلة كثيرة من وجهة نظرها لم تغلق بعدُ. بدا لها الأمر كأحجية تنقصها عدة قطع متناثرة. التفتت إلى عاصم الذي غابت عيناه في أمواج البحر وقالت وقد تذكرت شيئًا مهمًّا:

- هو صحيح لقيتوا المفتاح لما قبضتوا على وائل؟

ليلة مقتل جاسر مرتضى

نظرت بسرعة إلى الساعة لتطمئن أن البيت سيكون خاليًا تمامًا في هذا الوقت. اختفى وجهها خلف نظارتها الشمسية الكبيرة وكوفيتها. تأكدت من تغطية أصابعها بقفاز صوفي يتناسب تمامًا مع شدة البرد في هذا اليوم. لم تشعر بأي خطر، فقط قادت سيارتها إلى حيث شقة دينا الجديدة وهي متيقنة أنه لا توجد أي كاميرات على الطريق أو بداخل الكومباوند. ستصعد ببساطة الدرج وتدلف إلى البيت بالمفتاح الذي تضعه دينا داخل الزرعة التي يعرفها الجميع. تذهب إلى حيث غرفة عمر وتلتقط الحاسوب المحمول القديم حتى تنام قريرة العين بأن شيئًا من أسرارها لن يُكشف أبدًا. بدت الخطة بسيطة، وكانت نانسي تشعر بالهدوء، وبالفعل بدا الأمر سهلًا، فقد آثرت أن تضع سيارتها في الشارع الخلفي وليس أمام بناية دينا تحديدًا. شيء احترازي لا تدري لماذا فعلته، فقط تركت سيارتها في هذا المكان وسارت عدة خطوات إلى داخل البناية المهجورة تقريبًا إلا من شقة دينا. فتحت باب

الشقة ببساطة وتركته مفتوحًا، وظل المفتاح في يدها بلامبالاة. ما إن دلفت إلى غرفة عمر حتى وجدت الحاسوب على سطح مكتبه وحقيبة نهلة القديمة ذات المصباح الشهير على الأرض. امتقع وجهها قليلًا وهي تتذكر نهلة والحقيبة وهجر جاسر لها وتركها وحيدة بطفل في أحشائها. انتفضت وقد دوى في الأرجاء صوت جاسر نفسه وهو يقول:

- دينا؟ دينا إنتِ هنا؟ يا بنتي أنا مش موصيكي تفضلي في المكتب!

ارتفعت ضربات قلبها بشدة وهي تسمع بوضوح خطواته وهو يسير إلى حيث وقفت تمامًا متخشبة في غرفة عمر. ثوانٍ وكانت أعينهما تتلاقى. قال وهو يتراجع بدهشة:

- نانسي؟! بتعملي إيه هنا؟! إيه اللي في إيدك ده؟!

ظلت صامتة لا تدري ما الذي يفعله هو هنا! ظلت عيناه تتفحصانها بعدم فهم، وإن رأى بوضوح مفتاح الشقة ملتفًّا حول إصبعها وقد احتضنت حقيبة يعرفها وإن لم يرها منذ زمن. ظل يحدق في الحقيبة التي حملت معها الكثير من الذكريات بينه وبين نهلة، ثم قال بصوت مفعم بمشاعر متداخلة وعدم فهم:

- دي شنطة نهلة؟ إيه اللي جابها هنا؟! أنا مش فاهم أي حاجة! ما تردي يا نانسي!

نطقت أخيرًا وقالت بتوتر وحنق، فلم تتوقع أن تجد جاسر أمامها، وكانت تظن أن الأمر دقائق سريعة وينتهي:

- جيت آخد الشنطة اللي طلعتلنا من تحت الأرض بعد ما كنا خلصنا منها ومن قرفها!

- خلصتوا من شنطة نهلة؟! أنا مش فاهم أي حاجة بجد! هو إيه العبط ده؟!

نظرت إليه وقد شعرت بالتردد. ماذا تقول؟ هل وجب عليها إخباره بأن نهلة كانت تهددها هي ووائل قبل أن تموت؟

قالت أخيرًا بعد لحظات من الصمت:

- مش مهم تفهم، سيبني يا جاسر أمشي قبل ما دينا تيجي. أنا خلاص أخدت اللي كنت جاية عشانه. إنت كمان من مصلحتك إن مفيش حد يشوف اللي فيها!

وقف جاسر في مواجهتها وقد أصر على أن يفهم، فحال بينها وبين الخروج. لم تكن نانسي تقوى على زحزحته بحال، فهو قوي شديد البنيان، فتنهدت بقلة حيلة وقالت باستسلام:

- طيب تعالَ نقعد بره نتكلم شوية.

تحرك من أمام الباب وتركها تخرج بالحقيبة التي ظل يتتبعها بعينيه. جلس كلاهما في غرفة المعيشة الصغيرة وإن ظلت هي متشبثة بالحقيبة، في حين جلس هو في مواجهة الطاولة الزجاجية التي في المنتصف. قطعت الصمت أخيرًا قائلة:

- مراتك كانت بتهددنا أنا ووائل بملفات القضية إياها.

- نهلة كانت بتهددك إنتِ ووائل قبل ما تموت؟! غريبة أوي؟! ليه؟! إشمعنى يعني؟!

ابتلعت ريقها وهي متململة تريد أن تخرج من هذا الأمر برمته:

- عشان كانت خايفة عليك يا ننوس عين أمك! كانت شايفة إن أنا ووائل الشيطان اللي بيغويك إنت والمحروسة دينا بتاعتك!

تخبطت مشاعره وتسارعت ضربات قلبه. لم يكن يعرف إطلاقًا أن نهلة كانت تحاول حمايته بهذه الطريقة. أحبته من صميم قلبها، وأضاعها هو ببضع كؤوس من الخمر. قال متغاضيًا عن الذنب الذي ينهش قلبه وقد بدأ في الربط بين رضا وحاسوب نهلة المحمول الذي تم إصلاحه وجاء إلى بيت دينا بالمصادفة:

- يعني الواد رضا خد نسخة من حاجات نهلة!

- أيوه، أنا عارفة إنك هتعرف تتصرف معاه، بس الأصل اللي في اللاب ده لازم يختفي عشان مش كل شوية يطلعلنا خازوق يهددنا!

أومأ برأسه وقال وهو يقف منتصبًا:

- طيب امشي دلوقتِ، خليني أخلص موضوع رضا وأتطمن أهم حاجة على دينا.

اعتدلت واقفة وما زال مفتاح البيت ملتفًّا حول إصبعها والحقيبة بين ذراعيها، وإن اشتعلت غضبًا وهي تفكر بحنق حقيقي: أتطمن على دينا؟ أهذا كل ما يهمك؟! ماذا عني؟ ماذا عن فارس؟ ماذا عن كل هذه السنوات التي مرت وقد انزلقتُ رغمًا عني مع وائل في هذا الأمر فرارًا من هجرك لي بطفل لا حيلة لي في الخلاص منه؟

قالت بغضب حاقد وقد تحركت إلى الأمام وأصبحت الآن على مقربة شديدة من جسده القوي:

- أه، كل همك الملاك الطاهر دينا، صح؟ وأنا أغور في داهية مش مهم! مش كده؟! أنا وفارس مش مهم، لكن السنيورة سمعتها أهم، مش كده؟

أعاد رأسه إلى الوراء في قلة صبر وتأفف، فهل هذا وقت غيرة النساء؟ ثم إنها محقة، لن يتخلى عن دينا، وفي نظره دينا على سقطاتها مع وائل ليست كنانسي بحال. ظل يشعر بالفارق على الرغم من كل شيء. انزلقت دينا، بل تعددت سقطاتها مع وائل، ولكن نازعتها نفسها إلى الحق، تصارعت مع هذه العلاقة كما تصارع هو مع الخمر بالضبط. تفهَّم ما تمر به دينا، ولكنه علم في قرارة نفسه أن نانسي لم تنزلق أو تُجبر، بل سارت بخطوات ثابتة إلى حياة اختارتها بلا أي ضغط. قال لها بقلة صبر وحزم:

- اخلصي يا نانسي وامشي باللاب اللي جاية عشانه ده وملكيش دعوة بدينا! أنا حذرت وائل قبل كده وباحذرك إنتِ كمان أهو! كله كوم ودينا كوم تاني!

احمر وجه نانسي واصطبغ تمامًا باللون الأحمر، وبدت في ثيابها السوداء ووجه علته حمرة الغضب القاتل كالشيطان الذي جاء من الجحيم زائرًا.

- أه، أصلها طاهرة وشريفة وأنا اللي زبالة! إيش حال لما كانت بتنام مع وائل وهي متجوزة عادي؟! أنا أستاهل عادي أتساب أنا وفارس وأتذل لوائل عشان يداري على فضيحتي، والسنيورة المهم ما تتفضحش!

زم شفتيه وأراد أن ينهي هذا النقاش سريعًا حتى لا تتعقد الأمور، ولكن استوقفه ما تقول وقد شعر بأنها على وشك أن تخبره بشيء ما لم يخفَ على قلبه وإن أنكره. قالت بنفس الحدة والصوت:

- أيوه... أيييييوه فارس ابنك، وما تعملش نفسك عبيط! إنت

متأكد إنه ابنك، بس أنا أغور في داهية أنا وابني، وزياد هو اللي ابنك، ونهلة هي اللي بقت مراتك، وقال إيه دينا... دينا كوم تاني! إنت عارف دينا دي اللي جاي تخاطر بنفسك وممكن تروح في داهية عشانها، اللي إنت شايفها ملاك دي، سابت صاحبة عمرها تموت عادي وما نطقتش!

تراجعت إلى الوراء بعد أن نطقت هذه الأحرف بندم حقيقي وقد زل لسانها، وتمنت أن يظن أنها زلة لسان لا تعني شيئًا ما بحال، ولكنه انتبه وتخشب جسده وعقد حاجبيه ووضع كلتا يديه على كتفيها، وقال بصوت مخيف جعلها تنكمش رعبًا وتحاول أن تنفلت من بين ذراعيه:

- إنتِ بتقولي إيه؟! إيه اللي جاب سيرة نهلة والحادثة في الموضوع؟! سابت نهلة تموت إزاي؟! فهميني قصدك إيه؟! انطقي يا نانسي بدل ما أدفنك هنا!

تملصت منه بكل ما أوتيت من قوة، فلم يفلتها، فلا شك أن قوته تفوق قوتها بمراحل، فرفعت الحقيبة وهوت بها على رأسه. لم يكن ارتطامها بوجهه عنيفًا أو يسبب الضرر، ولكنه تراجع برأسه إلى الوراء ليتفادى الضربة. ارتطم المفتاح الذي بين أصابعها بوجهه محدثًا خدشًا بسيطًا، وكانت هي تتحرك بين يديه بعنف، فانزلقت قدمه الضعيفة فاختل توازنه للحظة فهوى برأسه مرتطمًا بالطاولة الزجاجية التي انفجر زجاجها وتناثر في كل مكان. لم يقوَ على الوقوف مرة أخرى سريعًا، فقد أصابته حافة الطاولة الزجاجية بجرح غائر، وسرى دمه على الأرض حيث استلقى. لعدة ثوانٍ ظلت نانسي متخشبة بجواره لا تدري ماذا عليها أن تفعل، ثم جثت على ركبتيها بجواره

ووضعت الحقيبة على الأرض بجوارها بجانب رأسه بالضبط. لم يفقد الوعي تمامًا وإن كان يشعر بدوار شديد. عيناه تنظران إلى الحقيبة التي رأى فيها رغمًا عنه صورة نهلة مكان الأميرة على البساط. قال وقد تشبَّث بمعطف نانسي بيده التي تلوثت قليلًا بدمه:

- نهلة... عايز أفهم!

تملصت نانسي من يديه اللتين تشبثتا بها بشدة، ثم أخذت إحدى المخدات الصغيرة الموجودة في غرفة المعيشة على الأريكة، وبلا أي تفكير وضعتها على وجهه وهي تصرخ بهستيريا:

- دينا... نهلة... وأنا... أنا ضيعت حياتي! أنا... أنا فين؟!

ظل يتشبث بمعطفها، وظلت هي تضغط على وجهه مانعة الهواء من المرور، وقد جعلها انهيارها وانفعالها أقوى منه وقد خارت قواه بارتطام رأسه وفقده الكثير من الدماء، وما هي إلا لحظات حتى ارتخت يداه على معطفها. تركت المخدة والتفتت غير مصدقة إلى جثة جاسر التي استلقت أمامها وقد فارقتها الروح. اعتدلت واقفة ورفعت الحقيبة من فوق الأرض ولم تلاحظ وقتها أن الحقيبة اصطبغت ببعض من دم جاسر الذي سال من رأسه، وخرجت من الباب بسرعة وظل المفتاح ملتفًّا حول أصابعها!

البحر

الآن

اندمج عمر في اللعب في الرمال، فتركته أمام عينَي أخته وفارس وزياد، وسارت ببطء على الرمال حافية القدمين تداعب المياه الباردة أطراف أصابعها. سارت شاردة تداعبها ذكريات قديمة مختلطة بذكريات أخرى أكثر حداثة، ثم توقفت تنظر إلى مياه البحر الممتدة بلا نهاية أمامها، وقفت تتذكر ما حدث في الشهور الماضية: جاءتها مكالمة من رضا الذي جاء مهددًا بالفيديو الذي ظهرت فيه في وضع مُخزٍ بين أحضان وائل، فيديو مر عليه خمسة عشر عامًا أو أكثر، اتصلت بوائل لتخبره بهلع حقيقي، وأخبرت جاسر الذي أمرها أن تجعل رضا يأتي إلى بيتها وقرر أن يذهب هو إليه وقد اصطحب سلاحه الناري، لم يعتزم قتله، بل تهديده وإخافته، سيدفع إليه بعض المال ويتأكد أنه لن يزعج دينا مرة أخرى، فلن يجرؤ على ما هو أكثر من هذا، فقط ليهوي جاسر قتيلًا، وتقتل هي رضا! لم يمهلها عقلها لحظات للتفكير، فقط رأته ينزل من الدرج حاملًا سلاح جاسر

فتيقنت أن جاسر أُصيب بمكروه، وأن رضا سيظل كالشوكة في حلقها إلى الأبد، فضغطت في لحظتها على R وارتطمت به قبل أن يفكر أو تفكر هي فيما قامت به، ثم انتظرت باكية الشرطة التي لم تكن لتُجرِّمها في هذه القضية. عادت إلى منزلها بعد عدة ساعات وهي ما زالت تظن أن رضا هو من قتل جاسر، إلى أن جاءها على هاتفها notification غريبة جدًّا، أن هناك من يحاول اختراق ملفات على الـ«google drive» تبدو أنها تنتمي إليها. لم تفهم بالضبط كنه هذا التنبيه، ولكنها التقطت حاسوبها المحمول وضغطت على link الـ«drive» لتجد لعجبها نفسها تستطيع الوصول إلى ملفات مشفرة. نظرت إليها ببعض التركيز ثم وضعتها في أحد البرامج التي كانت تستخدمها في شركتها القديمة حيث كانت تعمل مع نهلة، فقط لتجد نفسها أمام كل ما يُدين وائل ونانسي في قضيتهما القديمة. مَن وضع كل شيء بهذا الشكل ثم وضع عليه بريدها هي الإلكتروني؟ نهلة، بلا شك. ابتسمت دينا مرغمة وهي تتخيل نهلة وقد حرصت على حماية الملفات ثم وضعتها بين يدي دينا نفسها التي لم تعرف إلا في هذه اللحظة.

لم تفقد نهلة ثقتها بها إلى آخر نفس. لم تجد سواها تستأمنه على هذه الأسرار. انسلت الدموع من عينَي دينا مرة أخرى. تفوز عليها نهلة بأخلاق لم تستطع دينا أن تحاكيها قَطُّ. التقطت كوبًا من المياه ومسحت دموعها ثم فكرت: من إذن الذي يحاول الوصول إلى الملفات؟ لم يقتل رضا جاسر إذن. شخص آخر يمتلك الحاسوب الآن. ضغطت على بعض الأزرار وظهر العنوان بوضوح. نانسي

الرحمي هي من تمتلك الحاسوب وهي في الغالب التي قتلت جاسر!

فكرت لبعض الوقت: هل يمكن أن تستغل الوضع لتضع حدًّا لكل الأذى الذي أحدثه وائل في حياتها، وأن تأتي بحق نهلة المغتصَب من كلٍّ من وائل ونانسي؟

أرسلت إلى نانسي رسالة من مجهول تخبرها فيها أنها تعرف يقينًا أنها قتلت جاسر، وأنها تمتلك دليلًا قاطعًا أنها استخدمت حاسوب نهلة المحمول الذي اختفى من شقة دينا، ثم أمرتها أن تضع الحاسوب المحمول في بيت الضيوف عند وائل. خدمها الحظ بأنها لم تكن قد تخلصت بعدُ من الحقيبة التي تلوثت بدم جاسر، فأصبح الدليل قاطعًا. أرسلت لتوضح أكثر:

هافتح الملفات، هاشيل منها أي حاجة فيها اسمك، وإنتِ هتحطي اللابتوب في الـ«guest house» بتاع وائل، في تجويف في عمود كده تحت المكان اللي الكاميرا فيه. هاوصفلك مكانه بالظبط. المهم إنك لما تدخلي الـ«guest house» اقفي جنب الباب وروحي لمكان العمود عشان ما تظهريش في الكاميرا دي، ومحدش هيوصل للابتوب أبدًا غير مع تفتيش الشرطة.

وافقت نانسي مضطرة وعلى مضض، وتم بالفعل القبض على وائل حين جرى تفتيش بيته. تركتها دينا تظن أنها ستنجو تمامًا بفعلتها وبقتل جاسر نفسه، ولكنها بعد ساعات من القبض على وائل وتأكدها أن الحقيبة خرجت من التجويف وأنه سيتم اتهامه بالقتل كما ترجو،

أرسلت ما تبقى من الملفات المبتورة إلى خالد الذي استطاع أن يقبض على نانسي وهي في المطار. وقفت دينا بعدها بعدة أشهر تستقبل فارس وهو يخرج من المصحة، وتأخذ أطفالها وقد أصبح هو منهم إلى رحلة في الساحل حيث بدأ كل شيء وانتهى!

* * *

- لأ، ما لقيناش المفتاح.

- مش غريبة يا عصومة! شكل القضية كده ناقصة حتة!

تأملها عاصم وهي تنظر إليه بنفس الحماسة التي أسرت قلبه، وقال وهو يحتضنها:

- مفيش حاجة ناقصة، كل واحد دفع تمن اللي عمله يا لولو!

- متأكد؟ مش يمكن في حد لسه ما دفعش؟

شرد بعينيه إلى حيث سارت دينا، وزم شفتيه بابتسامة وقال لها وهو يداعبها بحنان:

- صدقيني، بعد السنين دي كلها في الشرطة محدش ما بيدفعش التمن، بس بيكون متأجل. rain check زي ما بيقولوا يا قطة!

مكتبة ياسمين

telegram @yasmeenbook

المؤلفة

إنجي هديب مهندسة ورحالة وروائية مصرية، تخرجت في كلية الهندسة، وحصلت على ماجستير في الإدارة وآخر في علم النفس. صاحبة مدونة «حدوتة إنجي». صدرت لها روايتان: «آخر كوباية قهوة» و«مقتل مريم الحاوي».